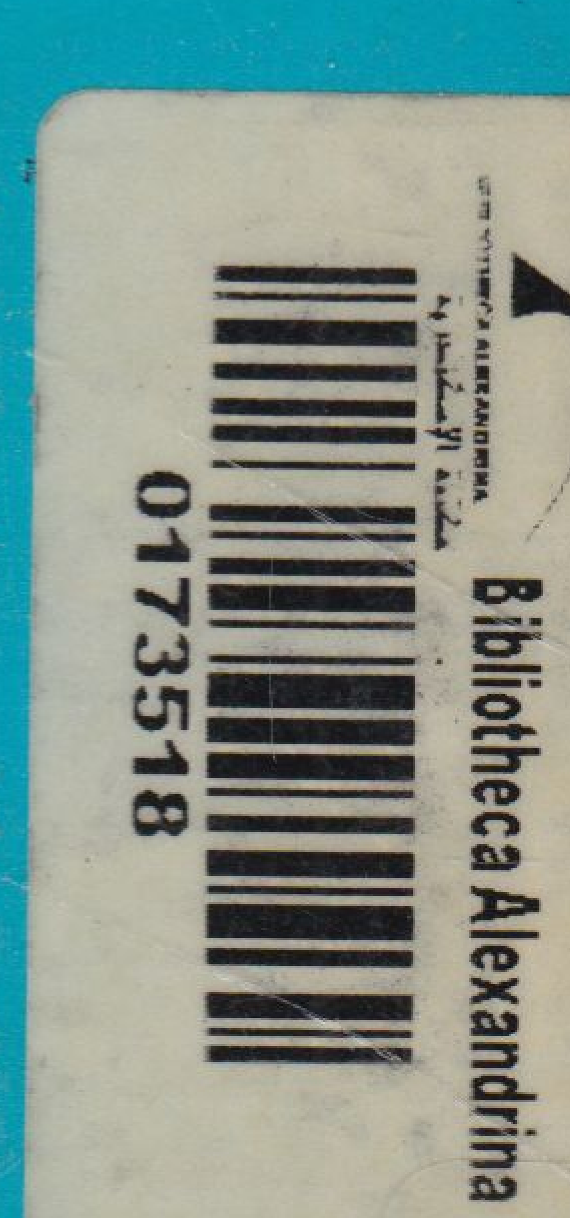
كمال البيضاوي
رئيس الديوان السابق
برئاسة الجمهورية اللبنانية

هؤلاء الصهاينة

"ستبتلعهم الصحارى العربية"

شارل ديغول



دراسة شاملة لحرب الخامس من حزيران ١٩٦٧ على الجبهة المصرية في غزة وسيناء بملابساتها الدولية والعربية وأسرارها السياسية والعسكرية المستفادة على كل صعيد كما يظهر جليًا في حرب السادس من تشرين الأول ١٩٧٣ العربية المظفرة أخيرًا.

مكتبة اسكواير
الحمراء . بيروت

هؤلاء الصهاينة
ستبتلعهم الصحارى العربية

كمال البيضاوي
رئيس الديوان السابق
برئاسة الجمهورية اللبنانية

هؤلاء الصهاينة

"ستبتلعهم الصحارى العربية"

(شارل ديغول)

ـ دراسة شاملة لحرب الخامس من حزيران ١٩٦٧ أو الايام الستة على جبهة الحرب المصرية الاساسية في غزة وسيناء بملابساتها الدولية والعربية واسرارها السياسية والعسكرية ودروسها المستفادة على كل صعيد . وستليها مستقلة دراسة لحرب حزيران الاردنية السورية ـ

إنْ نحيَ بالذكرى ، فالى بضعة مني ،
وأمل عبقري احتسبته ، أبثها لواعج قلب
وعقل !!

(ك. ب)

مقدمة

دخلنا في السنة السابعة لهزيمة حزيران التي ستظل كابوسا جاثما على حياتنا في كل ناحية ، لن تتحرر منه الا بنصر بحجمها ، ان لم يكن اكبر • فهزيمة كهذه بما خلفت من آثار مدمرة ، لا يتقادم بها العهد• بل لا تزول الا بزوال هذه الآثار ، وكل ما قبلها من آثار في الحربين السابقتين لها ، عن الخريطة ومن النفوس والعقول • ان يوما يمحو الهزيمة لبعيد جدا ، اذا لم ننظر الا الى الظواهر على السطح • ولكنه غير بعيد الى هذا الحد ، اذا نظرنا الى الاعماق •

الظواهر محزنة مثبطة ، بقدر ما نريد • امة عاجزة ، على كل ما تملك من اسباب القوة ، حتى عن رؤية فراقد الكاميكاز في سمائها ، مستسلمة للهزيمة ، وكأنما راضية بها • لا تريد ان تتعظ بثلاث حروب متعاقبة، استهدفت وجودها ، منقسمة على نفسها • تعيش قبائل وامراء مؤمنين ومنابر ، بشعارات خادعة افرغتها

الديماغوجية والانانية وحب السلامة ، أية سلامة ، من كل معانيها . فاذا الوحدة فيها حتى في زمن تتحدث فيه اوروبا عن وحدة اوروبية ، فرار من الوحدة . والحرب مجرد كلام عن الحرب . بل ان كل شيء مما يبني الامم ويوحدها ، ويجمع طاقاتها ، ويصون كرامتها ومصالحها ، هو فيها غيره ، عند الامم الموحدة العزيزة الناهضة . فأما في الاعماق ونضرب تباشير الفداء والمقاومة والوعي الطلابي العمالي لها مثلا ، فأمة أبية واعية لقوتها الكامنة فيها ، رافضة للهزيمة بضميرها وعقلها ، متحرقة الى معرفة كل ما حجبته الظواهر عنها الى الآن من حقائق عن هزيمتها ، تتحسس فيها مواطن ضعفها ، وتعي وجوه قوتها ، وتخرج منها بنتائج ، لا تظل الحسرات فيها حسرات ، ولا الامال امالا . وانما تتفجر بالمقاومة المتعاظمة والوعي طاقات ورياحا لواقح ، تخصب يبسها وتذرو عنها رمادها الذي سيغدو لها كفنا ، ان ظل يتراكم على هذه الصورة .

لربما صدم كتاب كهذا البعض ، بموضوعه واقتصاره على حرب حزيران المصرية يعالجها منفردة ، بمعزل عن الحربين الاردنية والسورية اللتين سنعالجهما عما قريب على حدة في كتاب آخر . فقد ألفنا ان نعتبر هذه الحروب حربا عربية واحدة ، لانها كلها عربية فقط ، ولمجرد انها دارت وانتهت معا في الوقت نفسه . ولكن اين هذا من

واقع لا يبدو هو بهذه الصباحة ؟ الحرب الواحدة تفرض قيادة فعلية سياسية وعسكرية واحدة ، وجيشا واحدا ، يتحرك ويحارب بارادة واحدة ، وسياسة واهداف واحدة. والاماني العذاب والمجاملات العربية ، والاتفاقات والمواثيق الشكلية ، والكلام الجميل الدعائي الانشائي الفارغ ، مهما تفتن وتبهر ، لا تغير ولو باسم (الجمهورية العربية المتحدة) الكبير ، الواقع المحزن ، فتجعل ما لم يكن بحرب واحدة ، حربا واحدة . ثم من يدري فلعل الالحاح في ابراز هذا الواقع بكل بشاعته ، لمما يساعد في ذاته ، على استنكاره ورفضه ، ويحث على تغييره ؟ حرب حزيران ، من يجرؤ على القول ، انها لو كانت حربا واحدة حقا ، بهذه المقاييس ، لما اختلفت نتائج وآثارا ، عما اسفرت لنا عنه من نتائج ، وآثار ؟

سيعرف قراء هذا الكتاب وقد تجاوب معهم بجهد متواضع في الاعماق ، وبكل موضوعية وامانة ، متخطيا ما استطاع ، اعتبارات الظواهر واكاذيبها وقيودها ، وربما لاول مرة ، كثيرا من الحقائق المرة النافعة ، عن حرب حزيران الاسرائيلية المصرية في سيناء ، واسبابها المعلنة والخافية واسرارها . وسيرون خصوصا انه قد كان هناك بالرغم من الهزيمة ، ابطال شرفوا في أقسى الظروف وأظلمها ، السلاح العربي . فلا يظلون يحسبون بتأثير

الهزيمة والدعاوة العدوة ، ان سيناء وغزة ، لم يكن لهما ابطالهما الكثيرون ، على صعيد الجيش ، وعلى صعيد الشعب • وانه حتى ولو لم يكن هناك ما كان ، من فساد رأي وسوء تدبير وغفلة وخيانة ، لانتصر العدو القوي ولا شك ، بحسن استعداده للحرب ، ايضا ، كما انتصر •

اسرائيل الدولة الصهيونية المنتصرة علينا ، ليست في فلسطين وكل الارض العربية المحتلة لاعتبارات تاريخية أو قانونية او قومية او انسانية معوضة ، ولا حتى لاعتبارات دينية ، كما قد يتوهم السذج المغفلون • فهؤلاء الصهاينة المختلفو الجنسيات والاصول، ليسوا ولو كانوا من اليهود، اولئك الذين تحدثت عنهم الاديان ، الا على قدر ما هم ، الترك والفرس والافغان وغيرهم من المسلمين الاجانب ، عرب ، لانهم مسلمون • أحاديث الكتب السماوية كلها من هذه الناحية ، تتناول قبيلة سامية خلت ، كانت تعيش وتتحرك في الاجواء السامية ، وتبني احيانا ولفترة عابرة ، دويلة سامية قبلية ، بموازين زمنها ومفاهيمه وأساطيره وخرافاته ، وتعتنق دينا سماويا يظهر فيها ويفشو منها ، باعتبارها قبيلة سامية ، من الاصول نفسها نابتة في المحيط نفسه ، متكيفة بأحواله ، لا هؤلاء الروس والتشيك والاميركان والالمان والانكليز وسواهم من المستعمرين الاميين وهم ـ منذ الصليبيين في ارض العرب، احدث

وآخر وابشع واوحش صورة للاستعمار الغربي ، بعد ان حسبنا مخططين مخدوعين ، ان قد ولى زمنه في المنطقة ، ببلوغ اقطارها المجزأة بين (ميني) و (ميكرو) دول ، الاستقلال ، دون الوحدة .

ضعفنا وتخلفنا وتفرقنا قبل أي تاريخ ووعود دولية ومؤامرات وقومية وقانون وانسانية ودين ، كل اولئك سمح بنشوء الدولة الصهيونية التي لن تكون حرب حزيران المصرية او الاردنية او السورية ، بحربنا الاخيرة معها . فقد خرجت قضيتنا مع اسرائيل منذ نشوئها ، حتى عن ان تكون ثأرا تطلبه ، او بعض الارض المحتلة نستعيدها ، بل حتى عن ان تكون جغرافيا وقوميا اندلس جديدة او اسكندرونة او محمرة عربية نفقدها ، لتكون شرط حياة عربية طبيعية حرة كريمة متقدمة ، لن تتوفر لنا ، على أي ارض عربية ولا في أية دولة تسوية فلسطينية ولا لابنائنا بعدنا ، ولا لابنائهم ، ولا لابناء ابنائهم ، ما دامت اسرائيل قائمة ، كدولة صهيونية في قلب وطننا . ولا بد لنا اذن ، من ان نتعلم كل يوم في هذا الكتاب وسواه من كتب ، نرجو ان تكثر جدا من ثمة ، وتأتي بالطبع ، أدق وأكمل ، وبأقلام أوفر معرفة ، وأصوب رأيا وحكما ، دروس حرب هزمنا فيها هذه الهزيمة !!

بيروت في ٥ حزيران ١٩٧٣ **كمال البيضاوي**

إسرائيل أرادت الحرب

الفصل الأول

لماذا انتصروا ؟ لماذا هزمنا ؟ وهل يمكن ان يظلــوا منتصرين ، وان نظل منهزمين ، خلافا لكل حتمية تاريخ وسنة حياة ؟ يحفل تاريخ كل أمة لعبت دورا في التاريخ، بالانتصارات والهزائم . فما من امة كانت حياتها كلهـا انتصارات ، مهما تبلغ من الكبر والقوة . ولكن الامــم الواعية تولــي هزائمها دائمـا ، اهتماما قــد لا توليــه انتصاراتها . فهي تريد ان تعرف كل اسبابها ، لا مــن مصادرها هي وحدها فقط . فالحكم على النفس ، ربما كان مدعاة احيانا ، الى التساهل والاغضاء عن العيوب والنواقص ، والتماس مختلف الاعذار لها وتبريرها . بل ان تعرف اسباب هزائمها من كل المصادر ، بما فيها مصادر العدو نفسها . فكلما عرفت الامة تلك الاسباب ، وأحاطت بدقائقها وخفاياها من كل مصدر ، اجتمع لها منها وعي كاف ، يحفزها الى معالجة عيوبها ونواقصها ، وكـانت بالمعرفة المتوفرة لها عن الهزيمة ، اقدر على احراز النصر .

فرنسا عرفت في تاريخها العسكري أزهى الانتصارات على اوروبا كلها . وعرفت كذلك اشنع الهزائم . ولم تشذ

المانيا وايطاليا واسبانيا وبريطانيا وروسيا واليابان وامريكا، وأية دولة معروفة عن هذه القاعدة . انها سنة الحياة ، تمنع ان تظل الامة المنتصرة امة منتصرة ، والامة المنهزمة ، امة منهزمة ، لا في حديث ولا قديم . وكم للعرب خصوصا من دروس في تاريخ انتصاراتهم وهزائمهم القديمة . وكانت قد جعلت منهم يوما امة عظيمة ، حتى قبل معارك فتوح التحرير والتوحيد العربية ، وما سجلوا فيها من انتصارات باهرة ، على الفرس والرومان ، وبعد ذلك علـى التتـر والصليبيين وغيرهم ، وبما لاقوا في الوقت ذاته ، من هزائم كبيرة . بل كم يجب ان يتوفر لهم اليوم من دروس فـي حرب حزيران الاخيرة وحدها ؟ واترلو ، وقد كانت هذه الحرب للامة العربية ، بالرغم من فوارق كثيرة ، واترلـو عربية ، لا يجب ان تمنع على هولها وفداحة خسائرها على كل صعيد ، من حطين عربية جديدة ، كما لم تمنع واترلو فرنسا في حينها ، الامة الفرنسية من ان تستمر وتبقـى امة عظيمة ، ومن ان تعرف الى جانب الهزائم المتعددة ، حلاوة اكثر من انتصار . وما كان للدنيا ان تتغير من هذا القبيل ، ولو في عصر القوى الاكبر والامم المتحدة والذرة والفضاء ، ما دام في الدنيا امم واعيـة فبيتنامية الارادة والبسالة ، معتدى عليها .

حرب حزيران ونحن ما زلنا نعاني وطأة الهزيمة فيها ،

ما برحت غامضة في اكثر من ناحية ، للجماهير العربية •
فما كتب عنها ونشر من معلومات مستقاة من مصادر عربية موثوقة ، ما زال قليلا لا يشفي غلة • فهو في معظمه اخبار صحفية اعلانية مثيرة ، او نتف متفرقة من انطباعات وتقارير سطحية ، تعوزها الدقة وينقصها الشمول • ونحن لم نقرأ الى اليوم دراسة جادة وافية من كل الجوانب عربية في هذا المجال • فالوقائع المجردة ذاتها ، الهجوم الجوي اساس الكارثة نفسها ثم البري مثلا ايهما حتى سبق الآخر ؟ فهناك اقوال عربية تختلف فيهما على ما يظهر، لتتبرأ حسب القائلين، من تهمة التقصير، او لتتهم به مسؤولين آخرين، فهذه الوقائع بتسلسلها الزمني الثابت وترابطها، وما دار فيها بين الجانبين المتحاربين ، ما زال في الصور المتداولة عنها ، اكثر من ثغرة ، يتعذر معها فهم كل ما جرى على وجهه الصحيح البعيد ، عن المبالغة والتقليل لاسباب اعلامية ، من بشاعة العيوب وفداحة الخسائر ، والتهوين الخادع من تفوق العدو وانتصاره ، ونسبة كل ذلك عند الاعتراف به، لمجرد امتلاك عدة حربية مادية اكمل ، وظروف طارئة غير محسوبة •

ليس من تفسير الا ان من يعرفون كل شيء ، ما زالوا يحتفظون به اسرارا ، لم يئن اوان اذاعتها في رأيهم ، والا ان من كتبوا لا يعرفون كل شيء ، ولا حتى

الشيء الكافي عن الموضوع • لا شك في ان العدو قد كتب من جهته كثيرا • ولكن لدينا اكثر من سبب للاعتقاد بأن ما كتبه، وان يكن بمعلوماته وتحليلاته ووقائعه، أرقى احيانا وعلى مستوى علمي اكبر ، لا يعطي هو بدوره ، الصورة الصحيحة النهائية لحرب حزيران • ولن يقنعنا احد ، بأن عدونا قد كتب لنا كل الاسرار والخلفيات التي لا بد انها ارتبطت بتلك الحرب• علاقة اميركا المفصلة المباشرة بها • دور باخـرة التجسس ليبرتـي علـى الاقـل • كـل نشـاط الجاسوسية العـدوة وغيـره • الخيانة ، وكيف يمكن ان لا نظن ان قد كانت هنـاك خيـانة مقصودة أو غير مقصودة ، ونحن نسمع منذ غير بعيد مسؤولا مصريا كبيرا بوزن السيد حسين الشافعي ، نائب رئيس الجمهورية يعترف علنا في محاضرة له حديثة في جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة بعدما انكشف الى الآن من وقائع واحداث الحرب المريبة في حد ذاتها ، ان قد كانت هناك خيانة وانه يضع هذه المرة تحت الكلمة الرهيبة حتى «عشرة خطوط» زيادة في التأكيد • بل سنرى في موضعه انها ليست حتى المرة الاولى التي يجري فيها ذكر الخيانة على لسان الرجل اذ ورد قبلا في تصريح له صحفي منشور مشهور ايضا ، ولو دون هذه العشرة الخطوط كما في هذه المرة •

تبقى في هذا المجال ، دراسات المصادر الحيادية ،

او ان اعتبرنا ان ليس هناك الى اليوم من مصادر حيادية، تماما قالت كل كلمة الحق ، في حرب حزيران ، فالمصادر الاكثر التزاما بالحياد ، وهي مصادر غربية عموما ، انكليزية وفرنسية غالبا ، استقت معلوماتها اولا ، مما جمعته من المصادر اليهودية والعربية • ثم مما استطاعت ان تجمعه متفرقا ، بجهودها ومشاهداتها وتحليلاتها واستنتاجاتها ، بعد غربلته وتنقيته • ففيما اجمعت عليه الى اليوم هذه المصادر ، لا سيما في باب الوقائع ، يمكن ان نجد ، كما سنحاول في هذه الدراسة ، الأسس العملية لرسم ملامح صادقة للمرة الاولى ، لصورة موجزة مبسطة لحرب حزيران ، لا تكون مشوهة ولا مستعصية الفهم ، حتى على غير الباحثين المختصين ، بريئة من كل تهويل وتفجع ، مليئة مع ذلك بالامل ، اذا احسنا الافادة منها •

وتشتد الحاجة اكثر فأكثر ، الى صورة صادقة كهذه، في ظروفنا الحالية • فقواتنا العربية تقترب لها ، نظامية وغير نظامية ، ساعة العمل لأن تسترد بالقوة ما أخذ بالقوة • فقد جهدت بعض القيادات المخلصة ، في اعدادها نفسيا وماديا ، لمهمات عظيمة تاريخية تنتظرها ، متلافية كل ما شكت منه من نواقص ، في حرب حزيران • وقد باتت في كل شيء غير تلك القوا تالمنهزمة ، على ما كان ، حتى في تلك القوات السيئة الحظ ، من بسالة وبطولة ، شهد لها

بهما حتى العدو ، كما سنرى قريبا • ولقد بتنا فيما نقدر عموما من القوة واستعادة الثقة بالنفس ، بحيث لا يجب ن نخشى من استعراض هزيمتنا على المكشوف ، ومن الالمام بكل وقائعها ، مهما تكن علينا ، اكثر مما لنا • فلن يزيدنا ذلك الا وعيا وتصميما وحرصا على عدم الوقوع في الاخطاء الماضية ، ودعما فعالا لقواتنا المحاربة وراء الجبهات ، تتخلى به عن دور المتفرجين ، وقد اقتصرنا عليه ويا للأسف ، في حرب حزيران كجماهير ، تفيد في النتيجة، من كل نصر، وتقاسي وحدها عواقب كل هزيمة • لم يكن عارا الى هذه الدرجة ان نهزم • اما العار كل العار على ما قلنا ، فهو ان نظل نجهل كل الحقائق تقريبا عن هزيمتنا، وان لا ننهض بعد معرفتها من عثارنا ، ولا نعود كرارا ، بعد ان كنا فرارا •

أجواء حرب حزيران السياسية العامة الظاهرة عربيا ودوليا ، بوثائقها ومستنداتها الرسمية معروفة ، لم تغب بعد عن ذاكرة • كانت اسرائيل قد قامت بمناسبة الذكرى التاسعة عشرة لقيامها في الخامس عشر من ايار ١٩٦٧ ، بعرض عسكري تهديدي لقواتها في القدس ، وقد اعتبرتها عاصمة لها ، متحدية بذلك الارادة الدولية والمشاعر العربية في القدس العربية نفسها ، اذ لم يكن ليفصل مكان العرض العسكري الاستفزازي ، عن القوات الاردنية العربية ، الا

بضع مئات من الامتار • وكان ليفي اشكول رئيس وزراء اسرائيل ووزير الحرب قد وجه في العشية نداء في الاذاعة الى الاسرائيليين قال فيه : « ان بعض القـادة العـرب ومخربيهم ، وهو يقصد الفدائيين ، قد ادركوا جيدا ، بأن لنا امام محاولة للاضرار بمدنيينا واملاكنا ، ان نختار زمان ومكان الجواب الذي نجده الافضل • ان على كل البلاد العربية ان تعلم ، بأن الجبهة اذا ما كانت هادئة من جهتهم ، فانها ستكون هادئة من جهتنا ايضا » •

من كان أشكول يهدد بصورة خاصة ، وهو المعروف بين قومه بالتردد ، في اتخاذ القرارات الخطيرة ، ولم يكن تهديده ليعني ، كما نرى في ذلك الحين ، شيئا أقل من الحرب السافرة ، وكما ربما لا تعني كذلك في ظروف هذه الايام ، تهديدات مئير وقوادها ، الا الحرب ؟ ليفي اشكول وهو من يتندر بتردده حتى اليهود ، في حكاية تمثله فتقول: انه لو سئل بعد غداء ، هل يريد ان يشرب شايا أو قهوة ، فسيتردد طويلا في ان يجزم ويختار احدهما ويفضله علـى الثاني • وسيجيب بعد لأي : « نص بنص » ، كيف غدا فجأة رجلا حازما قادرا علـى الاختيار بسرعة بين الشاي والقهوة ، يتحدى دولا كبرى لا تعترف له ، حقا او مداراة ورياء ، بالقدس عاصمة يقيم فيها ، ولو في ذكرى استقلاله، ولأول مرة ، عرضا عسكريا تهديديا ، جرت العادة قبـلا

باقامته بالتعاقب والدور ، بين حيفا وعسقلان وبئر السبع ، فيقاطع سفراؤها الاحتفال ؟ وكيف لم يخش ان يسبق هذا العرض ، بتهديد علني كأنما كـــان استطرادا للاعتداء الاسرائيلي الوحشي المشهور ، على قرية السموعة الاردنية العربية ، قبل ذلك بشهور ، وتذكيرا بها ووعدا بتكرارها على أوسع نطاق ، وتحديا واستفزازا ، بعد منع تحويل مياه الاردن كذلك ، واسقاط ست طائرات ميغ سورية ؟ ان كل ما جرى بعدئذ ليدل ، على ان اشكول لم يكن ليحزم أمره على كل هذا الشاي الصرف ، او القهـــوة الصرف ، بل لم يكن ليشرب كل لبن اللباة الصرف هذا ، لو لم تكن طغمة الحرب الاسرائيلية الحاكمة فعلا مـــن ورائه ، قد كانت اتخذت مؤيدة من اميركا بالاخص ، قرارها الاخير بالحرب ، التي استعدت لها ، ولم تعـــد لتنتظر الا فرصة تسنح ، او تخلقها هي ، اذا لم تسنح ، خلقـــا !

كان عرض العضلات الاسرائيلي في القدس ، وكان نداء اشكول ٠ وكان ما سربته اسرائيل في تلك الاثناء ، ثم انكرته من انباء، عن حشود عسكرية تحشدها ، للاعتداء على سوريا ٠ كانت كلها استفزازات لا يستطيع الجـــانب العربي ان يغضي عنها ويمر بها ، والا اطمع به عدوه اكثر مما هو طامع به ، واضعف المعنويات العربية ، ودعا الرأي

العام الدولي ، لعدم الاهتمام بالامر ، ولترك اسرائيل تصنع ما تشاء • لقد لعبت اسرائيل حينذاك ، ان جاز التشبيه ، دور بسمارك مع فرنسا في الحرب السبعينية ، لما تلاعب ببرقية غليوم ملك بروسيا الجوابية الى نابليون الثالث عن قضية ارث العرش الاسباني ، ايرثه فرنسي أم الماني ، وبتحريف الجواب المرسل عنها تحريفا ، يجعله على حد تعبيره هو فيما بعد ، الخرقة الحمراء المثيرة •

راحت اسرائيل تطبل وتزمر في كل مكان وتشهّر بسوء نية العرب واعتزامهم الخروج على الهدنة ، لما اضطر الجانب العربي الى الرد على استفزازاتها الوقحة المثيرة ، بتحريك قوة عربية الى سيناء • لقد احتمل العرب اعتداء السموعة وسواه ، ولم يقابلوه الا ببعض الاعمال الفدائية الفردية المحدودة • واحتملوا التحرش الجوي بسوريا على ضفاف طبريا قبل ذلك • وقد طفح الكيل ، ولا بد من رد • واقتصر الرد على مناورة عسكرية في سيناء ، وعلى ايفاد الفريق محمد فوزي الى العاصمة السورية ، لتأكيد مؤازرة مصر لها، في حال الاعتداء عليها، وبشكوى الى مجلس الامن تفضح النيات الاسرائيلية العدوانية الثابتة • لا نسوق بهذا دفاعا عن الموقف العربي • فاسرائيل من كل وجهة نظر عربية مدركة ، دولة قامت على اغتصاب الحق العربي ، وتألفت من شذاذ آفاق دوليين ، كانت بريطانيا قبل حجة النازية

واضطهادها لهم بكثير ، قد قطعت لهم بوعد بلفور الذي وهبت به ما لا تملك ، عهدا بتمكينهم من انشاء وطن قومي لهم في فلسطين ، بعد الحرب العالمية الاولى ، الى آخر الرواية وهي ما زالت لم تتم فصولا • واسرائيل كانت قد شنت على العرب حربين سابقتين ، منهما بعد تأميم القناة ، حرب السويس بالاشتراك مع بريطانيا وفرنسا • ولم يكن للعرب مفر ، من مناهضة قيامها بينهم ، اسفينا في وسط بلادهم ، يفرق بينهم في آسيا وافريقيا ، ويمنع وحدتهم ، ويعرض وجودهم كلهم كأمة ، لأشد الاخطار • بل ان من حقهم الشرعي ، وواجبهم الذي لا جدال فيه ، ان يحاربوها في كل ساعة ، وان يدرأوا اخطارها عنهم دائما ، دون ان تمنعهم من ذلك هدنة اضطرارية ، تحترمها اسرائيل او لا تحترمها • فكيف واسرائيل تعبث مثل هذا العبث بالهدنة، ولا تكبح شهواتها العدوانية ، ولا تخفي مطامعها في التوسع شيئا فشيئا، على حساب العرب، وانشاء امبراطورية توراتية لها ، كما لا تستحي ان تعلن على باب الكنيست برلمانها ، تمتد من الفرات الى النيل ؟ وكأن ليس من عرب هم اصحاب هذه الارض منذ عرفت كأرض ، حتى باعتراف التوراة نفسها ، وما ترويه باسلوبها القصصي الرمزي ، من اساطير الحروب التي دارت عليها • ليس هذا بدفاع عن موقف عربي انتهى بحرب حزيران • ولكنه

استعراض امين لدوافعها الحقيقية الاساسية وقد استطاعت الدعاوة الاسرائيلية ، بما لها من نفوذ وتأثير ، في الاوساط الغربية ، ان تحجبها عن الاعين ، وان تجعلها بكل بساطة ، تحرك قوة مصرية الى سيناء، وزيارة فريق مصري لدمشق، وزيادة في التضليل ، بعض تصريحات للسيد احمد الشقيري ، نشرتها بعض الصحف ايضا ، وكذبها هو فيما بعد ، وهي تهدد بالقائها في البحر •

فاذا جئنا الى اسباب هذه الاسباب المباشرة الظاهرة بدورهاوكيفأهابتباسرائيل الىاتخاذ قرار الحربوتوقيته، وتوفير مبرراته السياسية ، وجدنا العوامل الاقتصادية الداخلية في طليعتها • كان الدخل القومي الاسرائيلي قد تضاءل ، من احد عشر بالمئة عام ١٩٦٥ واصبح ٦٪ • وكانت البطالة المتزايدة تنهك اسرائيل • فهناك سبعون الف عاطل عن العمل • وكانت ملايين الدولارات المفروضة على المانيا ، كتعويضات عن الاضطهاد النازي ، على مدى اثنتي عشرة سنة ، قد نفذت كلها • وكانت قد بدأت بتأثير الاحوال الاقتصادية المتردية ، هجرة مضادة من اسرائيل ، الى أوروبا وأمريكا ، بحثا عن حياة جديدة ، او عودة الى حياة سابقة ، لم يستطع الفردوس الصهيوني الكاذب الموعود ، ان يعوض عنها • وقد تفاقمت هذه الهجرة اكثر ما تفاقمت بين الاختصاصيين والشباب ، فباتت بالفعل

هجرة أدمغة وسواعد • وهي اخطر الهجرات على اي بلد•
رسم يهودي فراشة وقتها على جدار في مطار اللد ، وكتب تحتهـا : « يرجى مـن آخر اسرائيلي ذاهب ان يطفىء النور » • آلة الحرب الاسرائيلية كانت تلتهم كل انتـاج ومساعدة حتى اميركية • وكان المستقبل مظلما ، ان لـم تتغير الحال بحرب ، ضمنت أميركا في المقام الاول نجاحها، وأمنت مسبقا ، على ما سيثبت فيما بعد ، من اية عواقب سيئة لها • وكانت القوة العربية ولا سيما القوة المصرية اخيرا تتعاظم يوما بعد يوم ، مهددة كل احـلام اسرائيل الامبراطورية •

تذرعت اسرائيـل دائما بالمخربـين اي بالفدائيـين الفلسطينيين والعرب ، ممن شردتهم من فلسطين واهدرت كرامتهم ، وفرضت عليهم باعتداءاتها المتصلة ، ان يصبحوا شعبا بلا وطن ، وجزءا من امة مستضعفة ذليلة ، لا يحق لها حتى ان تدافع عن نفسها ، ولا ان يخرج منهـا ثوار يتمردون على واقعهم المهين ، ولو بعمليات فردية انتحارية محـدودة ، تحفظ بعض معنوياتهم هـم ، اكثر مما تضر بعدوهم اجمالا الى اليوم • فالفلسطينيون والعرب بعامة لا معدى لهم عن ان ينسوا مـا نالهم باسرائيل مـن شقاء وضياع • واسرائيل السعيدة المغرورة المعتزة بانشاء وطن ودولة ، على انقاض الفلسطينيين والعرب ، يؤذيها ما قد

يند عن بعض هؤلاء من صرخات الم ، وانتفاضات مقاومة طبيعية ، من حين الى آخر . وما على الدول العربية الا ان تتولى لهـا امر اسكاتهم ومنعهم مـن الاتيان باية حركة ، للتدليل على نواياها السلمية . فان لـم تفعـل فستضرب اسرائيل حيث ثقفت مرتاحة الضمير، قوية بحقها واثقة من صحته . وما علـى مصر وسوريا والعراق ولبنان والاردن والجزائر والكويت والسعودية وجميع من يبدو عليهم ، بشكل او بآخر ، انهم لا يريدون ان يسكتوا كل صرخات الالم، ويحرموا بالمرة انتفاضات المقاومة، الا ان يكونوا هم من يظلمون بها انفسهم . كان هـذا هو تفكير اسرائيل ، حتى قبل ان يكون دور الجنوب وصيدا والشمال اللبناني، قد جاء ايضا في ظلـم انفسهم . ولا حتـى دور بيروت المطار وفردان وابي يوسف وكمـال ناصر وكمال عدوان وموسى ويوسف ناصر ، وقبلهـم غسان كنفاني ، وكـل الشهداء الذين اسبغوا على حياتنا الراكدة الآسنة قيمة ، وجعلوا لها معنى وهدفا . منطـق اسرائيلي لا ينقذ مـن الضائقة الاقتصادية فقط ، بل يفسح المجال لتحقيق الكثير من احلام لا ينبغي ان تظل احلاما راقدة في كتابات هرتزل ومؤسسي الحركة الصهيونية ، بعد ان تحقق منها ما تحقق. واذن فلماذا تنتظر اسرائيل كما يسألها آنذاك على ما قالوا، اكثر مـن صديق في البيت الابيض والبانتاغون وداونتج ستريت ؟

لا سوريا ولا مضايق تيران .

الفصل الثاني

أدركت مصر مقاصد اسرائيل العدوانية ، فتحركت سياسيا وعسكريا ، بالسرعة المتوجبة . وبعث الفريق فوزي الى العميد الهندي (اندار ريكي) ، رئيس قوة الامم المتحدة المرابطة في سيناء على خطوط الهدنة ، ثاني يوم العرض العسكري الاسرائيلي في القدس ، اي في مساء السادس عشر من ايار ١٩٦٧ ، ببرقية يعلمه فيها بانه امر قوى الجمهورية العربية المتحدة المسلحة ، بالتصدي لاسرائيل عند اي اعتداء منها على دولة عربية ، وبان هذه القوى احتشدت في سيناء على الجبهة الشرقية . وهو يطلب اليه ، ان يسحب فورا القوة الاممية من هناك ، لسلامة قوته . وقد بادر العميد اندار ريكي عند تلقيه برقية الفريق فوزي ، بابلاغ يوثانت الامين العام للامم المتحدة بالامر . وبعد اقل من اربع وعشرين ساعة اجاب يوثانت بالموافقة . ظلت موافقة يوثانت على اجلاء القوة الاممية الى اليوم ، موضع جدل . هل كان عليه ان يوافق على الجلاء دون مناقشته ، كما كان يريد البعض ، لا في الجمعية العامة ولا في مجلس الامن ؟ ام ان واجبه كان

ان يربط قراره في الجلاء ، بنتيجة مثل هذا النقاش ، فلا يوافق او يرفض ، الا على ضوئه واستنادا الى ما يسفر عنه رأي الاكثرية بشأنه • يوثانت فيما خصه برر قراره بالجلاء العاجل ، بان قوة الطوارىء الدولية التي يجليها على هذه الصورة ، بناء لطلب مصر ، صاحبة السيادة المطلقة على الارض ، ما كان لها ان تبقى على ارض مصرية ، اذا لم ترض مصر عن بقائها ، والا كان ذلك اعتداء صارخا على مبدأ السيادة المصرية على ارضها • نظرة قد تكون قانونية وسليمة • ولكن هذا لم يمنع ان تكون شركا ، كما وصفها الرئيس عبد الناصر بعدئذ ، لصحيفة (لوموند) الفرنسية في حديث له معها ، يفهم منه ، ان طلب انسحاب قوات الامم المتحدة ، لم يكن ليعني بالضرورة انسحابها من كل مكان • ولكن نوايا (يوثانت) الغامضة ، أبت الا ان تجعله انسحابا كاملا •

سحب العميد اندار ريكي في الثامن عشر من ايار ذاك ، بعد ان كان قد طلب وحصل على مهلة يومين للجلاء ، قواته الاممية من الخوذ الزرقاء ، المؤلفة من ثلاثة آلاف واربعمائة وثمانين جنديا ، من جنسيات مختلفة ، هندية وهي الغالبة ، ويوغسلافية ونروجية ودانمركية وكندية وبرازيلية واندونيسية ، رابطت منذ هدنة حرب السويس عام ١٩٥٦ ، في غزة وشرم الشيخ وعلى مشارف

خليج العقبة ، وألفت حاجزا رمزيا بين القوات المصرية والاسرائيلية • واحتلت القوات المصرية على عجل ، مراكز القوة المنسحبة ، وكأنما تدفعها امامها دفعا ، على زعم المصادر الاسرائيلية وتطردها ، بل وتسيء معاملة بعضها ، ولا سيما اليوغسلافية منها • وهو زعم يكذبه قرار يوثانت بالجلاء الفوري لها ، وتنفيذ قائدها العميد اندار ريكي الفوري كذلك بعد مهلة يومين ، للقرار دون ابطاء • وتكذبه خصوصا طبيعة علائق الصداقة والمودة المعروفة بين الرئيسين جمال عبد الناصر وتيتو • وكان من الطبيعي والمنتظر ، وهذا ما اعتبرته اسرائيل ادلة قاطعة على قرب الهجوم العربي ، ان تحيي دعوة الجيش العربي المصري الى سيناء ، آمال العرب في قطاع غزة وسيناء وتستثير حماستهم ، وان تلتمع فيها للفلسطينيين النازحين المقيمين بينهم بالتالي ، بوارق تحرير للوطن ، وعودة عزيزة الى الديار • فاندفعوا في جموع غفيرة يهللون ويطلبون السلاح للفداء ، والمساهمة مع جيشهم العربي ، في اعباء التحرير وشرفه • ومن اين لهم ان يعلموا حينذاك ، ما كان لا يزال يخبىء لهم ، الضعف العربي والغدر الصهيوني والتآمر الدولي ، من خيبة وشقاء ، سيؤخران موعد العودة المحتومة هذه المرة ايضا ؟

واسرعت سوريا تدعو الاحتياطي ، وتعلن بعد امضاء

معاهدة دفاع مع مصر ، حالة الطوارىء • وتأهب العراق والاردن ووقعا ايضا معاهدة دفاع مشترك مع مصر • واعلنت الجزائر دعمها ومساندتها • كان كل شيء يشير ، الى ان اسرائيل تبيت امرا • فها هي تشرع حتى في يوم سبت ، في التعبئة العامة ، بعد مضي يومين على انسحاب قوات الامم المتحدة من خطوط الهدنة • وهي لو لم تكن تنوي ما تنوي من الذهاب في الاستفزاز الى النهاية ، لما كانت بها كل هذه الحاجة الماسة الى التعبئة ، لا سيما انها كانت قد باشرتها في الحقيقة سرا قبل اعلانها ، بدعوة الاحتياطي • والاحتياطي في اسرائيل ، هو الجيش كله ان اردنا • كان واضحا من الاول ، ان الجيش المصري لا ينوي التدخل ، الا في حال الاعتداء على سوريا • وقد تواترت انباء عزم اسرائيل عليه بحجة القضاء على الفدائيين • ولو كان يقصد وقتها غير ذلك لمضى رأسا الى هدفه ، قبل ان تستكمل اسرائيل تعبئتها وحشد قواها !

تغير بالتعبئة العامة وجه الحياة كلها في اسرائيل ، اكثر مما تغير في الجانب العربي ، وكان لا يزال ، كأنما يزن الامور بالميزان السياسي ، ويقدر ان تظاهرة القوة ، سترد اسرائيل عن العدوان على سوريا ، وتقفها عند حدها • واما العدوان على مصر نفسها ، فقد كان فيما يظهر احتمالا ضعيفا • ولعل هذا قد كان بداية الغلطة التي قادت

من ثمة لكل ما توالى من اغـلاط ادت للكارثة • لم يجر في القاهرة ولا دمشق ولا بغداد ولا عمان ولا غيرها ، ما جرى في ليل ذلك السبت في العشرين من ايار ١٩٦٧ في تل ابيب • فالسبت هو يوم عطلة رسمي ، اشتهر اليهود بالامتناع عن اي عمل فيه ، الا في النادر ، ولكن ها هوذا قرار التعبئة يدب الحياة رغـم السبت فجأة في تل ابيب المغلقة تقريبا ، فتعج بالحركة الصامتة كما ينصرف فيهـا الجميع افرادا وجماعات ، كل الى عمل معين ، حدد له بدقة من قبل • ناقلات ، عربات ، وارتال طويلة من اليهود رجالا ونساء ، في كـل شارع • يأخذ الضابط اركـان حربه والجندي ضابطه من الطريق ، من زاويـة شارع ، عينت مكانا لالتقائه به في موعد • هذا يتلفن لذاك ، ليمر بثالث• تمضي بعض الناقلات والعربات العامة والخاصة ليلا ، ومع تباشير الصباح الى مداخـل القرى ، ومفـارق الطرق ، واطراف الغابات ، ناقلة مـن ينتظرها هنـاك الى مراكز تجمع ، تدل عليها اعـلام خاصة • ولربما وقفت هنا عربة قرب نافذة ، وصفر رجل ، وأطلت امرأة مـن على سطح ، وكان صفيره واطلالها ، هما امر الالتحاق وجواز المرور • الوصف لا ريب مبالغ فيه • لكن الكتاب اليهود الكثيرين وقد اطنبـوا به ، حتى خرجوا عـن الحدود المعقولة ، وتناقل ما يقرب منه ، كتاب حياديون ، لم يخترعوه كلـه

طبعا . ومهما يكن فلن يضيرنا ان نحفظه كله ، عن عدونا هو وسواه ، مما قد يكون تميز به ، من نظام ودقة وانضباط وحسن استعداد ، وادراك على مستوى كل ما يريد ان يتخذه من مواقف ، ويحققه من اغراض .

ظهرت في الايام المتبقية للخامس من حزيران ، آثار انسحاب قوات الخوذ الزرقاء من خطوط الهدنة ، واحتلال القوات المصرية اماكنها عليها ، حيث بدت دلائل الحرب الوشيكة ، في نشاط غير مألوف عند الطرفين على الحدود . فالخنادق والاسلاك الشائكة تتضاعف . والحذر على اشده ، والدوريات ناشطة لا تفتر . وكان من سوء طالع احدى الدوريات المصرية ان تقع بيد العدو على حدود النقب . كانت هذه الدورية تستقل عربة جيب وتتألف من ضابط برتبة رائد ، وآخر برتبة مقدم ، ومن نقيب وجنديين . « ضلت » الطريق . ولم يعرف عنها الى اليوم شيء ، غير البلاغ الاسرائيلي عن اسرها ، وغير ما روجه وزعمه عنها بعض المعلقين اليهود ، بكل الخبث الاعلامي اليهودي . قالوا ان ضابط استخبارات اسرائيلي استجوب افرادها وسأل سائقها ، وكان يعرف المكان ، لانه اشترك في حرب سيناء : « لماذا أكملت . بعد ان عرفت انك ضللت الطريق ، ولم تحذر رؤساءك » ، فاجاب : « لو اني انتقدت الضابط في امر الطريق المتوجب سلوكها ، لتلقيت صفعة على

الوجه » • ما زلنا لا نعرف الحقيقة وربما عرفناها ذات يوم عن تلك الدورية ، وعن كثير مـن الحقائق المرتبطة بحرب حزيران • ولكننا نرجح منذ الان ، بان الحقيقة لا يعقل ان تكون هذا الجواب المنقول بهذا اللؤم ، للتشنيع على الجندي العربي ، رئيسا ومرؤوسا •

إلا ان اهم آثار انسحاب قوات الهدنة وقد استأثرت بواجهة الاحداث قبل الحرب ، كان قضية المضايق البحرية في خليـج العقبة • فالخليج البالـغ طوله مائة وخمسين كيلومترا ، ومن عشرين الى خمسة وعشرين عرضا ، كان رئة اسرائيل البحرية الجنوبية ، وطريقها الى البحر الاحمر• فوجود القوات الدولية في شرم الشيخ منذ عام ١٩٥٦ بعد حرب السويس العدوانية الثلاثيـة المعلنة مـن بريطانيا وفرنسا على مصر ، وقد دخلتها اسرائيل ذيلا ، علـى اثر تأميم القناة ، كان يسمح لاسرائيل بان تتمون مـن مرفأ (ايلات) ام الرشراش الصحراوي بالبترول الايراني على الاخص ، وان تصدر حمضيات يافا وغيرها ، وفوسفات البحر الميت ، الى افريقيا الشرقيـة مثـلا ، واوستراليا وزيلاندا الجديدة • مدخل خليـج العقبة للبحر الاحمر تحرسه جزيرتان صغيرتان : صنافير وتيران اللتان تتصلان ببعضهما بمجموعة صخور مرجانية تلامس احيانا سطح الماء تقريبا • ولا بد للبواخر المارة بـين الجزيرتين ، مـن ان

تخفف سرعتها الى الحد الاقصى ، فلا تتجاوز هذه السرعة الثلاث عقد ، ومن ان تمر كذلك بالقرب من الكتلة الصخرية المسماة رأس النصراني بمجرى ماء لا يزيد عرضه في بعض الاماكن عن الكيلومتر • فاذا ما كانت في هذا المجرى فهي تطالع من حالق في الصخر ، مراكز ثلاث بطاريات مدفعية بحرية تتحكم فيه • وليس لها الا ان تنطلق كيفما شاءت لتصيب ما شاءت • لكن هذا ليس كل شيء ايضا • فهناك على ثلاثين كيلومترا الى الجنوب ، وعلى مفترق طرق خليج السويس وخليج العقبة والبحر الاحمر ، شرم الشيخ ، بشبكة خنادقها الشاهقة الصخرية المسلطة على البحر ، وملجأيها المسلحين في جوف الصخر ، ومطارها للطائرات الصغيرة • طلقة بازوكا او اية قنبلة ، تكفي في شرم الشيخ لاغلاق المضايق • واغلاقها معناه تحريم البحر الاحمر على اسرائيل ، بأقل عدة وجهد ، من خليج العقبة وهو محاط بمصر والسعودية والاردن من كل جانب على الضفتين ، وشل ايلات كمرفأ تصدير واستيراد •

حصرت اسرائيل او كادت تحصر في قضية اغلاق مضايق تيران كل اسباب النزاع • وركزت جهود اعلامها على الحدث • ولم تعد تتكلم كثيرا عن المخربين المتسللين من غزة وسيناء وسوريا والاردن • وكانوا قبلا الموضوع الدائم • جعلت من اغلاق تلك المضايق قضية

دولية تمس حرية الملاحة البحرية الدولية ، متناسية انها دولة طارئة على المنطقة غريبة مغتصبة ، تنكر حتى حقوق العرب الفلسطينيين في فلسطين ، وتحرم تواجدهم فيها . وهي ارض آبائهم واجدادهم واسلافهم ، بينما لا تتألف هي بعامة الا من طارئين عليها بالقوة والمكر والغدر مستعمرين اغرابا ، لم يولدوا فيها ولا ضم ترابها رفات آباء لهم ولا اجداد ولا اسلاف الا في الاساطير . لتهتز الدنيا اكثر مما اهتزت عند تأميم القناة . فتجارة اسرائيل في خطر اذ يستعمل العرب ضدها حقهم الاكيد بارضهم ، وفي حالة دفاع مشروعة عن النفس . الدولة المصطنعة الباغية يجب ان يكون لها حقها في استخدام الممرات المائية لكل دولة طبيعية ، ليست في حالة حرب ، مع مالكيها الشرعيين . القضية قضية مبدأ كفلته القوانين والمعاهدات الدولية في البوسفور وغيره . واكثر من هذا ، فهي قضية اسرائيل والصهيونية قاطبة .

كان الرئيس عبد الناصر قد خف الى العريش في الثالث والعشرين من ايار ، بعد ثلاثة ايام من اعلان اسرائيل التعبئة العامة ، واضطرار مصر الى اعلانها بالمقابل . تحدث هنالك في قاعدة طيران متقدمة الى بعض الضباط الطيارين عن عودة شرم الشيخ للجيش المصري ، وعن الحرب تهددنا بها اسرائيل ، فلتشنها اذن . ولم يكن للرئيس عبد الناصر

في تلك الاحوال ، الا ان يقول ما قـاله : فشرم الشيخ قد كانت دائما موقع أمن مصريا حيويا ، قضـت هدنـة حرب السويس باقامة قوات دولية فيها ، ومكن تواجد هذه القوات اسرائيل من استخدام الموقع للمرور . وما دامت اسرائيل قد صرحت من جديد بالشر ، وراحت تهدد سلامة سوريا ومصر وهي لا تستطيع ان تسكت على تهديدها ، وقضى كل ذلك بانسحاب القوات الدولية من شرم الشيخ انسحابا ، لم يكن حتى الرئيس عبد الناصر ليقصده تماما على ما رأينا ، في طلبه سحب القوات الدولية . وكان ما قصده به انسحابا جزئيا ، يكـون انذارا فقط ، فكيف يسمح الجيش المصري بعدما استعاد هـذه القاعدة الهامة للعدو باستخدامها ، وهو معه كما اخذ يدل كل شيء ، على ابواب حرب جديدة ، افتعل العدو مـن البداية اسبابها ومبرراتها ، بالعرض العسكري يقيمه في القدس لاول مرة، بمناسبة مرور تسعة عشر عاما على قيـام اسرائيل ، بـل يسبقه بتهديد علني واخبار حشود عسكرية يحشدها على حدود سوريا ، لضربها مع من فيها من فدائيين ، ثم ينكرها بما لم يقنع يومها بالعكس ولا هو يقنـع اليوم ، بالنظر الى طبيعة تلك الحدود وقربها من مراكز تحشداته العادية، وسهولة الظهور فيها على مثله والاختفاء ؟ لا يحق لمصر ان تمارس حقها في الهد والتأهب وردع العدو ، ولـو

باستخدام وسائل دفاعها الطبيعية في ارضها ومواقعها ، فهي تخرق عندما تستعمله قوانــين الملاحة الدوليــة ، لا للاضرار باسرائيل وحدها ، ولكن بالدول كلها • وان من واجب الدول ولا سيما الكبرى ، ان تنصف اسرائيل منها، وتنصف نفسها قبل اسرائيل •

استطاعت اسرائيل بالفعل ان تجعل من قضية اغلاق مضايق تيران اذ ذاك قضية عالمية • وان تحجب كل وجوهها وابعادها السياسية والحربية العربية • فلا تبدو الا كقضية محض اسرائيلية ، تمثل فيها اسرائيل دور الصغير المظلوم المعتدى عليه • ولا يجب الا ان يقف العالم الى جانبــه • فالنفوذ الصهيوني الطاغي ، اذا استثنينا البلدان الاشتراكية غالبا ، متغلغل في كل مكان ، تخدمه دعاوة كثيفــة حاذقة مركزة ، تملك في الصحافة ومحطات الاخبار ، وكل وسائل الاعلام والتأثير ، مراكز قوى هائلة • ثم ان الصهيونية في بلد كأمريكا وفي غرب اوروبا عموما ، تستخدم لاغراضها كمادة اولية داخلية ، يهود تلك البلاد ولهــم غالبا وزنهم الكبير الانتخابي والحزبي والمالي والتجاري والفكري فيها• فهم اميركان وبريطانيون وفرنسيون ، وغــير ذلك مــن جنسيات يخدمون من جذورهم المتأصلة فيها الصهيونية ، ويستغلــون لتأليبها علـــى العرب ، رواسب العصبيات الاستعمارية والحروب الدينية • ويستغلون عقدة ذنب

استطاعوا ان يخلقوها في مواطنيهم ، بعد النازية . ومن العبث ان يتكل العرب في محاربة الدعاوة الصهيونية في الاوساط الرسمية والشعبية الامريكية والغربية اذن ، على الدبلوماسية والسفراء والبعثات والزيارات والجولات فقط . لغة البترول والمصالح والقوة ما لم ترافق كل ذلك وتؤازره ، فسيظل دون جدوى . ظهر اثر النفوذ الصهيوني والدعاوة الصهيونية منذ انشاء اسرائيل . وظهر في كل نزاع عربي اسرائيلي . وظهر اكثر في فترة ما قبل حزيران، بقضية مضايق تيران . وتجلى وبلغ اوجه ، كما سنتأكد عما قليل ، لما منع يومئذ من ان يسمع احد صوت الحق ، العربي الصارخ ، بينما سمع الكل ، ولو بدرجات متفاوتة، صوت اسرائيل !!

مواقف دولية من النزاع

الفصل الثالث

الرئيس جونسون كان اول من تجاوب طبعا مع اسرائيل في قضية مضايق تيران ، وعبر عن موقف اميركا المنحاز منها • فقد اسرع يعلن في الثالث والعشرين من ايار ١٩٦٧ في مؤتمر صحفي بان خليج العقبة ممر مائي دولي ، وكل حصار يفرض فيه على البواخر الاسرائيلية هو عمل غير شرعي ، قد يكون كارثة على السلام • وكلف سفيره في القاهرة (ريتشارد نولتاي) في اليوم نفسه ، بتقديم مذكرة بأسمه الى الرئيس عبد الناصر جافة منحازة، تكرر وكأنما لم تقدم الا لترفض ، هذا المعنى ، في خمسة بنود • وليس من جديد فيها سوى عرض بايفاد نائبه (هوبرت همفري) الى القاهرة ، للتباحث في الامر على اساسها القاضي بعدم رجوع القوات المصرية لشرم الشيخ، الا اذا تعهدت مصر بضمان حرية الملاحة في تيران ، وبعدم رجوعها مطلقا الى غزة ، وبعودة القوات الدولية اليهما ، ريثما تتخذ الامم المتحدة قرارا بهذا الشأن ، وبانسحاب كل القوى ، من سيناء • ولا كلمة عن النوايا والاستفزازات الاسرائيلية ولا اشارة الى اي حق عربي • فتح شرم الشيخ

للتجارة الاسرائيلية ولاستيراد المواد الحربية الاستراتيجية كالبترول وغيره ، هو كل شيء . واسرع محمود رياض ، وزير الخارجية اذ لم تفته اللهجة ولا الغاية ، من ضغط دبلوماسي لا يدع خيارا على هذه الصورة ، بين الامتثال والرفض ، يسأل بعد تسلم المذكرة من السفير باستغراب : « أهي أوامر ؟ » فلم يجد السفير ما يجيب به الا : « كلا ابدا ، وانما هي افكار وخواطر ، تقال بصوت عال » .

ولكن الحق العربي لم يلبث ان وجد من يسمعه في موسكو وحدها ويناصره . فقد اذاعت وكالة تاس في اليوم نفسه : « ان المتطرفين الاسرائيليين كانوا ينوون ان يباغتوا سوريا ، ويوجهوا اليها فيما يظهر ضربة ، وهي في عزلة . ولكنهم حسبوا ولا شك ، حسابا خاطئا . فالدول العربية ، الجمهورية العربية المتحدة والعراق والجزائر واليمن ولبنان والكويت والسودان والاردن ، قد جهرت بعزمها على مساعدة سوريا ، اذا ما هاجمتها اسرائيل . واختتمت تاس بهذا التحذير : « ان من يجرؤ على القيام باعتداء في الشرق الاوسط سيصطدم ليس فقط بقوة البلاد العربية الموحدة ، وانما بعزم الاتحاد السوفياتي ، وكل الدول المحبة للسلام ، على مناهضة العدوان ايضا » . لم تذكر تيران بالذات . وان ذكرت ضمنا بالتحذير الواضح ، كل هذا الوضوح .

جاء يوثانت امين عام الامم المتحدة في ذلك اليوم لمقابلة الرئيس عبد الناصر • وعقد مجلس الامن وقد طلبت اميركا عقده ، في نيويورك على عجل للنظر في الامر • ولم يتخذ لاختلاف وجهات النظـر بين اعضائه ، أي قرار ، بانتظار عودة يوثانت من القاهرة • واعلنت بريطانيا موقفها في اليوم نفسه، بتصريحين متماثلين، لها رولد ويلسن رئيس الوزراء ، وجورج براون ، وزير الخارجية وكان في زيارة لموسكو • فبريطانيا ترى : « ان تواجد الامم المتحدة في الشرق الاوسط ، هو خير وسيلة لاعادة السلام » • موقف سياسي بريطاني يصعب ان نقول انه ضدنا تماما • ويصعب اكثر ان نقول انه معنا • فرنسا وحدها بعد روسيا ، كان موقفها منا طيبا • فقد اجتمع مجلس الوزراء الفرنسي صباح اليوم التالي لهذه الاحداث ، ووافق على اقتـراح للجنرال ديغول، بدعوة الدول الاربع الكبرى الى محادثات فيما بينها ، لحل القضية • ديغول ربما فكر على هذا النحو باقتراحه : مجلس الامن لا يستطيع بداعي الفيتو ان يتفق على شيء لم تتفق عليه الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي وفرنسا وبريطانيا مقدما • ولا بد ان قد كان في ذهنه ، ان بوسعه مع الاتحاد السوفياتي وبريطانيا وستكون عندئذ بين بين ، ان لا يدع الولايات المتحدة تفرض وجهة نظرها المعادية على طول الخط للعرب • وقد أوضح الجنرال ديغول

مشاعره النبيلة الحكيمة نحونا اكثر ، في مقابلة منحها لوزير الخارجية الاسرائيلي ، ابا ايبان بعد ظهر اليوم المذكور ، عرض فيها ايبان لديغول بعد ان وافقه على اقتراحه ، عقد محادثات بين الدول الاربع الكبرى ، انه ليس بوسع اسرائيل ان تنتظر الى ما لا نهاية ، حلا ديبلوماسيا • وانها مصممة على العمل ، فحصار ايلات هو اعلان للحرب • فاختتم عندها ديغول المقابلة بنصيحة لا ينقصها شيء ، لتكون تهديدا : « لا تبدأوا خصوصا الحرب • ليس الحرب • هل فهمتني ؟ ليس الحرب » • ومثل ديغول لا يلقي الكلام على عواهنه ، ولا تعوزه المعلومات الصحيحة عما يتكلم عنه •

وافقت مصر والولايات المتحدة في الليلة التالية على اقتراح ديغول ، الا ان هذه الاخيرة اشترطت ان يوافق الاتحاد السوفياتي عليه • وعرج ابا ايبان في طريقه الى واشنطن ، على لندن ، فقابل ويلسون رئيس الوزراء • ولعله اطلع ليفي اشكول قبل وصوله الى امريكا ومقابلته لجونسن ومغادرته الابيض من باب خلفي بعد المقابلة ، وسنرى عما قليل لماذا ، على انطباعاته العربية عن الموقفين الفرنسي والبريطاني ، اذ عاد اشكول الى الكنيست ، يستصرخ من جهة الدول الغربية للتحرك بسرعة ، من اجل حق اسرائيل، بحرية الملاحة في (مرفأنا الجنوبي) ويعلن

نواياه السلمية ، من جهة اخرى • لم تكن اسرائيل مخلصة في موافقتها على اقتراح ديغول • موافقتها كانت مسايرة رخيصة في وقتها ، وحرصا على حفظ المظاهر • ولو كانت مخلصة ، لانتظرت وقتا معقولا نوعا قبل الهجوم ، لرؤية نتائجه• فاقتراح كهذا لا يقضي فيه بالسرعة التي يقترح بهاء والدليل ان ابا ايبان ، لم يكد يصل الى واشنطن ويلتقي الرئيس جونسون ، حتى طلب اليـه ان تؤلف الولايات المتحدة ، قافلة من البواخر التجاريـة ، تظهر فجأة امـام مضايق تيران بحراسة بواخـر حربية امريكية وحليفة ، فتقتحمها عنوة ، منكرة بتظاهرة القوة هذه ، حق العرب في مياههم الاقليمية • وما انتشر الخبر ، حتى بادرت مصر بلسان محمود رياض وزير خارجيتها ، الى اعـلان عزمها على مجابهة كل اعتداء عليها بهذه الصورة ، من اية جهة جاء • فهي لا تستطيـع مهما كانت النتائـج ، ان تتخلى عن سيادتها لأي كان •

لكننا قبـل ان نمضي اكثر في هـذا الاستعراض والدرس للاحداث والمقدمات ، نجد لمزيد من الوضوح ، ان نعود قليلا الى اليوم الثالث والعشرين من ايار ١٩٦٧ الذي تحدد فيه كما اسلفنا بصورة مبدئية ، الموقف الدولي العام من النزاع ، لنذكر كيف بدأ كل شيء بعرض عسكري وبانباء حشود عسكرية اسرائيلية على الحدود السورية ،

بينما انتهى ، الا بالنسبة للاتحـاد السوفياتي ، الى نزاع على حقوق حرية الملاحة في خليج العقبة • اسرائيل كانت تمر بالمضايق قبل انسحاب القوات الدوليـة • وتتلقى عن طريقها ما تشاء من مواد استراتيجية حربية • وهي اذن لا تشكو شيئا من هـذه الناحية • بعد انسحاب القوات الدولية فقط ، منعت • لكنها لم تمنـع الا بعـد تحرشها بسوريا وعرض عضلاتها بالقدس ، في ذكرى قيامهـا ، وتوفر المعلومات عـن حشودها العسكرية في مواجهـة الجبهة السورية • لماذا تحرشت بسوريا ؟ وهل تكفي حجة تضايقها من بعض الحركات الفدائية الفرديـة ، لحشد لا يمكن ان تجهـل كما رددنا الى الان ، انه سيحرك مصر ويضطرها الى الدفاع عن موقفها • ولربما اشعل كل النار ، وعقد الموقف الدولي ، ولبد اجواءه بالغيوم ، وقـاد الى مأزق المضايق ، ومن ثمة الى الحرب •

قبـول مصر باقتراح الجنرال ديغول كـان دليلا كبـيرا علـى حسن النيـة والجنوح للسلم ، اذا جنح لهـا العدو • فلماذا لم تبد اسرائيل مثـل هذه النيـة ؟ بـل هل كـان اصرار الاتحـاد السوفياتي منـذ البدء كما ورد فـي بيـان (تاس) وقـد تكلمنا عنـه فـي مستهل هذا الفصل ، على اتهـام اسرائيل بحشد عسكري انكرته للاعتداء على سوريا ، نتيجة وهم وقعت فيه موسكو

عن الحشد ، واوقعت فيه القاهرة ، وجر الى كل ما جر ؟ وهل يمكن لدولة كالاتحاد السوفياتي ان تصر على اتهامها الخطير هـذا ، وهي تبنيه علـى مجرد وهم ، لا تؤيده معلومات ثابتة مستقاة من مصادر اخبارها المختلفة ، مـن دبلوماسية وغيرها ؟ ثم ان موسكو لم تقتصر في الثالث والعشرين من ايار سنة ١٩٦٧ على بيـان (تاس) لتحدد موقفها من الازمة . فقد قامت في ليل ذلك اليـوم بخطوة دبلوماسية مبـاشرة اخطر منـه . جاء السفير (ديستري تشوبارين) في تل ابيب الى القدس في الساعة الثالثة قبل الصبح ، يقابل ليفي اشكول في منزله ، ويتهمه بصراحة بحشد مصفحاته وقواته على الحدود السورية لغزوها . كل دخان يهودي كانت تراه موسكو بهذا الوضوح ، هل يمكن ان نصدق انه كان بلا نار . لعبة غميضة تخفي فيها اسرائيل المصفحات والجنود وتظهرها جيئة وذهابا علـى الطلب عند الحدود ، مستفيدة مـن قرب المسافة ومن اي شيء تستطيع الافادة منه في لعبتها ، كما افترضنا كذلك قبلا ؟ ام ان موسكو كانت مطلعة في هذا الخصوص على نوايا وقرارات وخرائط ومخططات موضوعـة ومستندات وأوامر ، لا سبيل الى اخفائها باية لعبة غميضة وانكارها حتى الساعة الاخيرة ، لتظـل ذريعة لتصعيـد التوتر في الاتجاه الحقيقي المطلوب ؟

ارتبك اليهودي الروسي الاصل ليفي اشكول امام اصرار السفير السوفياتي على الاتهام • وراح يحدثه بالروسية ملاطفا ومخادعا : « سيدي السفير ان سيارتك على الباب • فهلم نذهب الى حيث شئت ، فترى بأم عينيك، ان لا حشود في الشمال على الحدود السورية ، وان ليس من اعداد الهجوم على سوريا • فهلم نذهب معا ونقفل عائدين قبل الظهيرة » • بل لقد عرض اشكول امعانا في تمثيل دور البريء ، ان يستقل هو و (تشوبارين) الطائرة الى موسكو ، ليشرح لكوسيغين وبريجينيف وجهة نظره ، وامتدت المقابلة المثيرة ساعتين • ولكن السفير السوفياتي لم يفارق اشكول ، الا وهو اشد اقتناعا ، بصحة اتهامه له بتدبير اعتداء على سوريا ، وبأنه « اداة الشركات البترولية الغربية » •

ارسلت موسكو في الثامن والعشرين من الشهر ذاته وزيادة في التأكيد ، رسالة من رئيس الحكومة كوسيغين الى اشكول قالت فيها : « قررت الحكومة السوفياتية تحدوها مصلحة السلام والرغبة في حقن الدم، ان تبعث اليكم بهذه المذكرة • اننا متأكدون مهما كانت مضاعفات الوضع على الحدود السورية والجمهورية العربية المتحدة ، بان من الضروري ايجاد الوسائل اللازمة لحل هذا النزاع بغير الاعمال الحربية ، لانه اذا كان من

السهل اضرام النار ، فمن الصعب اخمادها ، اننا نأمل بعد درس الوضع والتبعات المترتبة على الجهة البادئة بالعدوان، بان حكومة اسرائيل ، ستعمل كل ما بوسعها ، لتفادي نزاع في الشرق الاوسط » • واجا باشكول عن هذه المذكرة التحذيرية المعتدلة الناعمة برسالة ، عاد فيها الى هذره عن عدم مسؤولية اسرائيل عن التوتر القائم ، وحقها في خليج العقبة ، وعزم العرب على محوها • ولم يتحرج حتى من ان يشكو بصورة ما ، السفير السوفياتي في اسرائيل • فقد دعاه الى زيارة الحدود السورية برفقته ، ليرى الحقيقة ، فرفض السفير• ولم تكف الصحف الاسرائيلية كلها في تلك الاثناء ، عن ترديد مزاعم اشكول عن الازمـة ، بلهجـة اعنف بالطبع ، داعية الى الحرب محرضة عليها ، مذكرة بميونخ وتشمبرلن ومظلته ، واستخذائه امـام الفوهرر الالماني ، مما اطمع هذا وغره كل غرور •

نجحت التحركات الاسرائيلية السياسية والاعلامية في تركيز الاهتمام العالمي والعربي على سوريا ، ثم من ثمة على خليج العقبة ومضايق تيران • ومهـد لهـا هـذا النجاح سبيل النجاح العسكري في الهجوم علـى مصر • خدعة سياسية كبيرة كـانت تختبىء في طياتهـا كما سنتبين في حينه ، خدعة عسكرية كانت هي اللب ، وغيرها القشر • حتى سوريا وحدودها ، لكن ما اسهل قول هذا اليوم ، بعد

ان جرت الاحداث بما جرت به ، لم تكن الهدف الأساسي في الخدعتين • الهدف كان ضرب القوة المصرية الرئيسية التي يمكن ان تخف الى نجدة سوريا، بالرغم من حساسيات انفكاك الوحدة وجراحها الطرية ، ومن الانشغال بواجب تأييد الثورة اليمنية العربية التحررية ، ويمكن اذا ظلت، ان تدافع عن خليج العقبة وغيره ، فاذا ما وضعت هذه القوة ، بضربة غدر محكمة ، خارج اللعبة، هان كل صعب• تمثيلية يهودية سياسية حربية ، لم تنطل حيلتها على العرب وحدهم • وانما على كل اصدقائهم ، ولا سيما السوفيات، فيما يظهر ايضا •

حشدت مصر اسطولا حربيا مؤلفا من غواصتين وبعض البوارج وزوارق الطوربيد ، في البحر الاحمر وعززت قواتها في سيناء ، بطيران وقوى برية مختلفة • ووقفت بثمانين الف جندي او اكثر على خطوط الهدنة السابقة ، مستعدة متأهبة ، وارسلت تعزيزات جوية الى سوريا والاردن • ولكنها ظلت لا ترى مع ذلك ، لاعتبارات ومسؤوليات سياسية دولية ، وربما شعورا منها بقوتها ، واملا باحراز نصر سياسي ، في هذه الجولة مع العدو ، ان تبدأ الشر • بل ان تدع له هو ان يبدأه ، ما دام راغبا فيه • واكد الرئيس عبد الناصر اتجاهه هذا الاتجاه ، بعد زيارته للجبهة ، كما سبقت الاشارة ، عند انسحاب القوات

الدولية ، في مؤتمر صحفي عقده قبل اسبوع فقط ، من الهجوم الاسرائيلي في هليوبوليس ، بحضور اكثر من ثلاثمائة صحفي اجنبي وعربي • بسط الرئيس عبد الناصر في مؤتمره ظروف الوضع وملابساته • واجاب بصراحة عن كل الاسئلة المحرجة المطروحة عليه • اعلن باكثر من اسلوب ، ان وجود اسرائيل العدواني هو ما يقلقنا ، اكثر من قضية حرية المرور من ام الرشراش الارض العربية وقد استولت عليها اسرائيل ، حتى بعد اتفاقات الهدنة ، وانشأت فيها مرفأ ايلات الذي تنفذ منه الى مضايق تيران ، في المياه الاقليمية المصرية • اننا لا نقبل اية مساومة على حقنا هذا ، كما سنرفض التعايش مع المعتدين • في حرب السويس هاجمتنا اسرائيل مع بريطانيا وفرنسا • وها هي تريد ان تعاود الكرة وحدها • اشكول قرب موعد الحرب بتهديده سوريا • وها نحن اولاء نقول له الان : « اهلا وسهلا » •

بدا الرئيس عبد الناصر في هذا المؤتمر الكبير ـ وكان رائعة دبلوماسية له ـ واثقا من حقه ، مستعدا للدفاع عنه ، اداان اسرائيل بلهجة قوية • رفع المعنويات العربية • عبر بحماسة عن آمال امته في تحرير فلسطين • ولكنه لم يغلق كل الابواب ، كما نرى • وكان قد فعل الشيء نفسه في خطاب بهذه المعاني ، بعد زيارة للجبهة

في سيناء ، القـاه في اللجنة التنفيذية لاتحـاد النقابات العربية ، وذكر فيه بانه كان قد قال قبل سنتين ، بان ليس لدينا خطة لتحريـر فلسطين ، الا العمـل الثوري ، فهو الطريق الممكن الى ذلك ، فنحن قد خرجنا مـن حرب السويس مع بريطانيا وفرنسا واسرائيل ، بعـد ان اصبنا بجراح . وقد تضاءلنا بعد فصم الوحدة ، ثم جاءت حرب اليمن . فضلنا اذن ان ننتظر لاستكمـال استعداداتنا . واننا لأقوياء اذا ما قاتلنا . وبامكاننا ان ننتصر باذن الله . لنلاحظ (قبل سنتين) كما نلاحظ « اهلا وسهلا » فـي المؤتمر الصحفي الكبير المشار اليه ، وفي كل ما نريد من خطب الرئيس عبدالناصر وتصريحاته في تلك الايام . فهو في اشد المواقف حماسة وحرارة لا يغلق عند التأمل الواعي الدقيق المنصف ، كل الابواب . وهل يصح ان يقال كما روجت الدعاوة الاسرائيلية ان من انتظر « سنتين » ، وان من يقول حتى في هذه المناسبة « اهلا وسهلا » ، قد اغلق كل الابواب وبدأ الحرب ؟

كنا نفضل الف مرة ، لكنه تفضيل لا قيمة له ، الا من ناحية العبرة اليوم ، لانه يجيء بعد احداث لم تكن قد جاءت بعد ، لو ان العرب بدأوا الحرب . فانها مهما تكن ، لن تكون شرا مما كان . ولكن الانصاف يفرض ان نظل في الوقائع المعلنة المدونة ، فلا نجعلها تقول ما لم تقله .

كانت الاجــواء اجــواء حرب ، بالتحدي الاسرائيلــي وبالاخطار الداهمة ، وردود الفعل العربية الرسمية والشعبية الطبيعيــة ، عندما يكــون الامر امر اسرائيل الشوكــة الاستعمارية الغارزة في الخاصرة العربية • ولكن العرب لن يكونوا على ذلك البادئين بالحرب •

العدوانات الإسرائيلية والعربية

الفصل الرابع

لم يخرج الرئيس عبد الناصر ، اذا راعينا المناسبة والمقام ، في مؤتمره الصحفي الكبير ، عن الخط السياسي الذي التزم به ، واكده ليوثانت الامين العام للامم المتحدة، لما اجتمع اليه قبل اسبوع . وهو خط معتدل حازم تجلى بعد تطور الموقف كل هذا التطور ، في البلاغ المشترك ، عن محادثاته مع يوثانت . مصر مستعدة للتعاون مع الامم المتحدة وحتى الى احيــاء مهمة لجنــة الهدنــة المشتركة الاسرائيلية المصريــة ، شرط ان لا يمس ذلــك الشرف الوطني ، ولا حق مصر في مياهها الاقليمية . ولكن الدعاوة الاسرائيليــة عكست الآية كالعــادة ، وضخمت وحرفت وزادت وحذفت وتكلمت عن الدكتاتور وعن فرعون ، ثم عن هتلر لا يريد الا هكذا، كرها باليهود، لمجرد انهم يهود.

بدهي ان الدعاوة الاسرائيلية كانت تستدرج بهــذا الصحافة والاذاعات العربية ولا سيما احمد سعيد والمتأثرين باسلوبه ، الى الرد عليها بقوة وحماسة . ولكــن الدهاء والخبرة ، لم يكونا في ردودهما علــى مستوى الدعاوة اليهودية الاوفر دهاء وخبرة . فالتهديدات المسرفــة ،

والتبجح بالقوة ، والمبالغة الخطابيــة ، ونقص المعلومات المتوفرة للحكم على الاشياء احكاما صحيحة ، لم تكــن لتؤلف حتما عناصر دعـــاوة ناجحــة . ولكم استغلت اسرائيل هذه الناحية الضعيفة في اعلامنا ، وجعلت مــن اقوالنا ، حجة علينا ، تديننا بها من افواهنا داخلا وخارجا . كانت اسرائيل تهيء للعدوان منذ زمن . ولكنها استطاعت ان تخفي كل هــذه الاستعدادات ، بعدم الكلام عنهــا خصوصا ، وكنا نتكلم دائما عــن استعداداتنا ، بعــدم مسؤولية غالبا ، ونكثر من التباهي حتى بما ليس عندنا . كنا لا نعرف العبرية ، علــى قول اكثر مــن ناقد ومعلق بينهم ، وكانوا يعرفون العربية ، كنا ولا نزال نزودهم دون وعي ، بكل ما تشوقهم معرفتــه عنا ، بما نكتب وننشر . وكانوا الا فيما ندر : لا يزودوننا الا بما يريدون عــن انفسهم ، خادعين مضللين . فالعرب قتلة . (والكولونيل ناصر) طاغية سفاح ، لا يريــد ان يقضي علــى اسرائيل واليهود اجمعين فقط ، وانما يريــد ان يستعبد العرب ، ويسوقهم بعصاه ايضا ، لا الى خيرهم وعزتهم ، ولكــن لارواء مطــامعه الشخصية فــي التسلط والقهر وفرض الشيوعية عليهم باسلحة سوفياتية تقدمها له موسكو ، منذ حرب السويس ، ويصرون على انهــا « تقدمها له » ولا يقولون حتى انه يشتريها منها باسعار منخفضة فقط ، عن

اسعارها في الاسواق العالمية المغلقة في وجهه .

كانت هذه الدعاوة الخبيثة ستارا تشحذ اسرائيل خلفه عدة حربية بلغت ذروتها بتعيين موشى دايان وزيرا للدفاع ، مكان ليفي اشكول ، وبتعيين مناحيم بيجن رئيس منظمة الارغون الارهابية السابق ، وزيرا بلا حقيبة. كان اشكول يتولى وزارة الدفاع بالاضافة الى رئاسة الوزراء . وتعيين موشى دايان وهو رئيس سابق للاركان الاسرائيلية ، مشهور شعبيا بتطرفه اكثر منه بين (العسكريتاريا) الاسرائيلية ، بمقدرته الحربية ، وبأنه من أعنف « الصقور » الاسرائيليين ودعاة الحرب ، كان اشارة واضحة ، الى ان هؤلاء لن يدعوا منذ اليوم ، اي دور لحمامة (ديمقراطية) في نظرهم كأشكول . فرض على حزب (الماباي) الحاكم بالاجماع ، ولاعتبارات سياسية داخلية تعيين دايان ، رجل بن غوريون اثناء حرب السويس، واكبر غلاة مدرسة « النبي المسلح » العسكرية . وها هي وزارة الاتحاد الوطني الاسرائيلية بعد هذا التعيين في اول حزيران سنة ١٩٦٧ ، في حالة انعقاد دائم استمر ليلا ونهارا اكثر من يومين . قرار الحرب اتخذ قبل هذا التعيين ، وكان كل شيء جاهزا لها . لكن دايان جاء يحدد في نطاق من السرية الشديدة مع الاركان الاسرائيلية ولجنة للدفاع محصورة مصغرة ، ظروف الهجوم ، وينتقل للعمل عند اي

حادث يحدث من نفسه ، او بأي شكل ويبرره •

سمعت في اليوم نفسه اصوات طلقات نارية زعمت اسرائيل ، اذ من يدري ان لم يكن الامر مفتعلا ، انها قد اطلقت على القدس المحتلة بالقرب من بوابة (مندلبوم) • واتفق سماع هذه الطلقات مع وجود السيد احمد الشقيري على الحدود الاردنية يتفقـد بعض وحدات جيش التحرير الفلسطيني ، ويخطب فيها مشجعا بالطبـع ، وحتى ربما متحمسا عاطفيا ملتهبا ، فهو علـى تخوم وطنه السليب • لكن اسرائيل لم تسمع من كل ما قاله يومها ، الا ما لـم يثبت تماما انه قاله حرفيا من « ان مـن المحتمل او حتى الممكن الحدوث جدا ان يطلق جيش التحرير الفلسطيني او القوات الاردنية ، الطلقة الاولى • وفي هذه الحال فلن يبقى عمليا من يهود احياء » •

ثم اعلن في اليوم نفسه كذلك من بغداد وغيرها من العواصم العربية ، ان المشير عبد السلام عارف ، ودع من قاعدة الحبانية القوة المتجهة منها للاردن ، تعزيزا للدفـاع العربي فيه ، بعد عقد اتفاق للدفاع مـع القاهرة قائلا : « يا ابنائي هذا اليوم هو يوم قتال وثأر • وسنلتقي جميعا انشاء الله في تل ابيب وحيفا » • كانت مثل هذه الاقوال المنقولة حينا والموضوعة حينا ، بوحي من تلك المنقولة ، من الكثرة والشيوع خصوصا في اليومين او الثلاثة الايام

السابقة للحرب بحيث رسخت في جميـع الاذهان ، ان العرب سيهاجمون لا العدو . ومما زاد يومها هذا الشعور حدة وجدية ، وهو حادث ربما حمل طابع دايان ايضا ، ان عناصر مـن المغاوير السوريين تصدت بحسب الروايـة اليهودية لدورية اسرائيلية على الحدود الشمالية ، فاشتبكت معها ، فأسفر الاشتباك عن مقتل جنديين اسرائيليين وأحد المغـاوير .

لكـن اسرائيل وكانت تنتظر في الحقيقة عـودة ابا ايبان مـن باب البيت الابيض الخلفي حامـلا اليهـا الضوء الاخضر ، للبدء بالحرب ، ظلت تنتظر بفارغ الصبر تلك العودة وتراوغ بانتظارها ، وتحاول ان تصرف الانظار عمـا دبرته . تعيين موشى دايـان الجنـرال الاعـور او سيبيون الافريقي وقد لمـع نجمه فـي حرب السويس بعد ان خاضها كما قال هو نفسه ، كراكب دراجة يتعلق في طريق صاعـدة بعربة شحن ، وزيرا للدفـاع في تلك الظروف لفت الانظار ، الى نواياها العدوانية . فلماذا لا يقوم دايان بنفسه ، والشيء افعل نفسيا واعلاميا ، وليوم ويومين ، بعملية التمويه المؤقتة المطلوبة ، فيتولى هو الذي لفت الانظار ، صرف الانظار : « انـي لمنزعج ان اخيب املكم ، جاء دايان فجأة يقـول للصحفيين بعد ظهر يـوم السبت في الثالث من حزيران سنة ١٩٦٧ في مؤتمر صحفي

عقده في تل ابيب • ليس لدي كبير شيء اقوله • ثم مضيفا فيما اضاف وهو يرد على الاسئلة : « اني لأقبل الوضع كما هو • ان من السهل دائما القول ، آه لو اننا عملنا في الاسبوع الفائت • لكن القضية ليست هنا • القضية هي اننا اما قد تأخرنا ، واما اننا قد عجلنا • تأخرنا فيما خص فتح مضايق تيران عسكريا • واننا لمبكرون في استخلاص نتائج مساعينا الدبلوماسية • لقد قالها ايبان ورددها : ان حكومتنا ما زالت تجرب ان تظفر بدعم ، بمزيد من الدعم الدولي ، للحصول على حرية المرور في خليج ايلات • انا اعلم ان هذه هي سياسة حكومتي الحالية • واني معها في هذه السياسة ، لعلى اتفاق » • كان الارهابي القديم و (الصابرا) أي الصهيوني المولود في فلسطين وقد سجنه البريطانيون مدة ايام الانتداب ، ثم جندوه لخدمتهم في غزوهم المسلح لسوريا ، في الحرب العالمية الثانية ففقد في ذلك الغزو عينه ، يقلد بهذه الحلاوة في طرف اللسان (النبي المسلح) دافيد بن غوريون عشية حرب السويس• فقد هدأ بن غوريون يومها الخواطر ايضا بكلام من هذه البضاعة ، وصرف الانظار عن العدوان الوشيك المدبر بليل ، ليظل مفاجأة تامة عند وقوعه •

بل لقد امعنت اسرائيل اكثر في التضليل ، فسمح دايان في يوم السبت السابق للعدوان بمنح الاجازات بكثرة

للعسكريين يقضونها في منازلهم والنزهات مع عائلاتهم •
وسمحت الرقابة للمراسلين الصحفيين بالابراق بذلك الى
الخارج • ولكي تكتمل الصورة المسالمة البريئــة ، راح
انصار السبت المستمسكين بعطلته ، يوزعون الليموناضة
مجانا على الجنود فــي النقب وكانت تهب عليــه ريــاح
الخماسين الحارة ، وراح حديث التوراة أيجوز او لا يجوز
ان تقذف بالمظلة من الجو للقطع العسكرية المرابطة فــي
الميدان لواجبات العبادة ، يطغى فجأة على كل حديث • لكن
الحاخام الاكبر « شالوموغورن » لا يلبث ان يفصل في
امر كانما بات شغل اسرائيل الشاغل : « صحيح يقــول
الحاخام الاكبر في فتواه بذلك ، ان التعاليم لتحرم تحريما
باتا ، طرح الكتب الدينية على الارض • وخصوصا كتب
الشريعة • ففي حالة الانزال ، فان التوراة لمطروحة بالفعل
على الارض • ولكنهــا اذا مــا كانت محفوظة في علبــة
صغيرة بحيث لا تتحرك ، فهي لا تكون مطروحة عندئذ على
الارض • واذن فلا تحقير • ولهذا فاننا لنجيز انزال كتب
الشريعة جوا ، عندما لا تكــون هنــاك وسيلة اخرى ،
لايصالها الى الوحدة العسكرية المحتاجة اليها لمعبد ميداني •
ثم ان بوسع الجندي المظلي ان يهبط بالتوراة المثبتة على
صدره ، شرط اتخاذ كل اسباب الوقاية ، لحماية الكتاب
المقدس ، من صدمة عنــد الهبوط • ولقد علق (جوليان

بيزانسون) و ننقل عنه هنا بالحرف ، على كل هذا : « كانت اسرائيل تنام وتتظاهر بالنوم ، في حر الخماسين اللاهب » •

ولما اجتمع مجلس الوزراء الاسرائيلي آخر اجتماع له قبل الهجوم بيوم واحد ، وكان يوم احد ، لم يصدر عنه الا بلاغ يتحدث في معظمه عـن مشروع قانون ، بطرح قرض للدفاع الوطني ، وعن ضريبـة مستحدثة ، دعيت بضريبة الامن • فما من حصار بحري ولا من خليج عقبة ولا من اشارة من قريب او بعيد ، الى حرب او امكانيـة حرب • وكان لكل هذا النوم او بالاحرى التظاهر بالنوم اثره ، حتى في الصحافيين الاجانب الكثيرين وقد خفوا من اسبوعين ، لالتقاط الاخبار المثيرة في الاحوال المتوترة • فكان من يقفلون منهم عائدين من اسرائيل ، اكثر لأول مرة ممن يفدون اليها •

كانت اسرائيل تعمل ، وهي تتظـاهر بالنوم • وكنا نعمل نحن ايضا ، ولو على طريقتنا التي لم تثبت فعاليتها • الا ان الفرق بينها وبيننا ، هو اننا كنا لا تتظاهر بالنوم • فهل كنا نجهل ان الحرب خدعة ؟ ام اننا كنا نرجـح حلا سياسيا للمشكلة ، فنستخدم عملنا الظاهر المكشوف في حشد قوانا ، اكثر مما يلزم ، للوصول الى ذلك الحـل ، بينما كان العدو لا يستخدم السياسة الا لتغطية عمل حربي قرره مسبقا وحدد مكانه وزمانه • مهما يكن ، فبالاضافة الى

الجيش المصري المنتشر في سيناء بشكل بارز ، علـى اثر انسحاب القوات الدولية منها ، فقد كانت الكويت اتمت استدعاء احتياطيها لترسل قوى رمزيـة للانضمام اليـه ، وللقوات الفلسطينية العاملة معه ، وكانت المملكة العربيـة السعودية ، تحشد قوة كبيرة على الضفة الجنوبية لخليج العقبـة • واحتشدت عدة الويـة عراقية علـى الحدود السورية الاردنية • وقرر السودان ارسال قوة من جيشه لمصر • وقررت الجزائر ان تبعث كذلك بقوة • ومثلهـا المغرب • واعلنت ليبيا (السنوسي) انها متضامنة ، كما اعلـن لبنان ، واعلنت تونس بلسان وزير دفاعها احمـد المستيري : « ان علينا ان ننسى في حالة الحرب ضد العدو المشترك ، كل مـا يمكـن ان يفرقنا ، مهما كـانت حدة خلافاتنا » • وقام نور الديـن الاتاسي رئيس الدولـة السورية بزيـارة ذات مغزى الى موسكو • وذلك بعد يومين من زيارة شمس الدين بدران وزير الحربية المصري لها على رأس بعثة عسكرية للرد على نشاط ابا ايبان فـي العواصم الغربية • وتميزت زيـارة الملك حسين العلنيـة المفاجئة للقاهرة بتلك الاثناء ، بعد كل ما كان من خلافات سابقة ، وحملات اعلامية متبادلـة • جاء يوقـع معاهدة الدفاع المشترك في آخر ايـار ، وسط مظـاهر حماسية ملحوظة • فللاردن بموقعه الجغرافي وسمته الفلسطينية ،

مكانة خاصة من اكثر من ناحية • ولربما كان لموقفه أثره الحاسم في مجرى الحرب •

كان كل شيء عندنا مكشوفا فيما يظهر ، اكثر مما يجب • ولكن اسرائيل لم تكن لتكتفي مع ذلك بما نكشفه لها منا الى هذا الحد ، مسرفين بتقييم محتواه • فعيون اسرائيل وآذانها علينا ومعنا في كل مكان • وكان يسهل مهمتها عندنا ، يهودها العرب النازحون من البلاد العربية • ولا ندري كيف تركناهم والشيء بالشيء يذكر ، ينزحون نحن الذين ننعي اليوم بشدة على الروس سماحهم بنزوح (يهودهم) اليها مثلا ؟ وقد عاش هؤلاء اليهود العرب طوال حياتهم قبل الصهيونية بيننا كمواطنين آمنين • لم يعرفوا اضطهادا ولا تمييزا عرقيا ، كما عرف ابناء دينهم في اوروبا وروسيا • فالعربي بفطرته ومعتقداته انساني دائما ، ومتسامح بعيد عن التعصب • ولهؤلاء اليهود علائق وروابط وثيقة بمجتمعات البلاد التي هجروها ، بتحريض الصهيونية واغرائها ، لا للفردوس الموعود ، ولكن الى مواطنية ابناء الجارية (السفر ديم) المهينة في دولة (الاشكيناز) الالمان والروس والبولونيين والتشيك العنصريين ، ابناء الست • وقد استخدمت اسرائيل كثيرا من هذه العلائق والروابط ، لاغراض التجسس والتخريب• ولم نعرف نحن ، وذلك ليس بالمستحيل كما نظن ، كيف

نستخدمها لا هي ولا غيرها ، لنرد بالاقل ، كيدا بكيد ، او لنغلب ان لم يكن شعور الوفاء في بعض النفوس ، فالمصلحة المغرية العاجلة المضمونة • وما نحن بمن يعوزهـم المال •

قبل شهر فقط من الحرب في الربيع السابق لهـا ، استطاعت اسرائيل عن هذا الطريق ولا بد ، ان تسجل على الاستخبارات العربية عموما في هذا المضمار ، فوزا فريدا لا ينكر • فقد تمكنت من الظفر بطائرة (ميغ ٢١) جديدة سليمة عراقية ، لم تهبط عليها هكذا من السماء • بل قادها اليها قائدها الاشوري (منير روفا) الخائن عمدا • وهو ظفر كان قد تعذر على اي استخبارات غربية واميركية • مليون دولار واقامة امينة في اميركا ، كان ثمن الخيانة • ولكن الكسب الاسرائيلي كان لا يقدر • فالميغ المستخدمة في الجيوش العربية ومنها العراقية ولطياريها شهرة اسياد جو مستحقة ، بشهادة العدو ، لم تعـد سرا مغلقا علـى الطياريـن والمهندسين الاسرائيليين والاميركيين • بـاتت بآلاتها الالكترونية الدقيقة وعلبها السوداء السرية على حد تعبيرهم ، بين ايديهـم ينفذون علـى مهل الى اسرارها ويتدربون عليها ، ويتبينـون مواضع قوتهـا وضعفها ، ويكتسبون بقتالها ، خبرة وعادة •

خدمت الدعاوة والاستخبارات اسرائيل ويسرت لها سبل الانتصار في حرب حزيران ، اكثر من جيوشها المدربة

هي الاخرى تدريبا عاليا • وقصرنا فـي ذلـك كما علمنا وسنعلم من ثمـة ، في احداث تلـك الحرب • احتقرنا اعداءنا كبرا وغرورا ، « ومن كان هكذا ، على حد قول قائد عربي قديم حكيم ، قلت مبالاته بعدوه • فلم يحترس منه ، فيجد عدوه منه غرة » • وهل ادل على هذه الحقيقة المرة ، مـن ان الاذاعات العربيـة جعلت بحمى اندفاعها اللاواعي ، باظهار قوتنا وتفوقنا وازدراء قوة العدو ، كثيرا من المراقبين الغربيين ، حتى الحياديين يحسبون طوال ايام تلك الحرب تقريبا ، ان تل ابيب لم تكـن لتكذب عندما ظلت تؤكد ان الجيش المصري هو الذي شن الهجـوم ، وبادر بغزو اسرائيل مع الجيوش العربية لافناء اليهود ؟ وانه ربما سيستعمل لذلك غازات سامـة ، كانت المانيـا الغربية قد زودت اسرائيل ، اشفاقا منها على (اليهود) ، بعشرين الف قناع واق منها •

نحن لا نقول ان الغرب كان سيكون معنا قطعا ، لو كانت لنا دعاوة اخرى • ولكن فقط ان هذه الدعاوة بررت الى حد بعيد ، موقفه العام المغرض منا • كان الغرب ونعني اوساطه الاستعمارية الامبريالية تكره الرئيس عبد الناصر، منذ طرده للمستعمر البريطاني مـن مصر وتأميـم القناة وتأييده ثورة الجزائر ومساعدتها وتحقيقـه للوحدة مـع سوريا ، وتعاطفه مع كل حركة تحرر عربية وخارجية ، وما

أجج من احاسيس عزة ووحدة ونهضة ، تتطلع لبعث الامة العربية المتفرقة من جديد ، وجعلها امة واحـدة قوية • وكانت هذه الدعاوة الهوجاء مادة دسمة ، استغلتها اسرائيل في الغرب اتم استغلال ، وزادت بها الامور من هذه الناحية سوءا ، حتى جعلنا نرى صحفا غربية عديـدة تصدر مثلا قبل ساعة او ساعتين فقط مـن الهجوم بعناوين كبرى : « مصر تهـاجم اسرائيل » • فيتقبل الجمهـور كذبتهـا الصارخة ، ولا يستغربها ، بعد ان انتظرها طويلا ، مـن اعلامنا المنقول أو ذلك الموضوع المستوحى منه ، كحقيقة لا مراء فيها •

صدقوا كلهم يوم الهجوم تصريح العقيد (بن زفي) الناطـق باسم الجيش الاسرائيلي الى مراسل تلفزيـون (اوروبا رقم ١) بالتلفون : « منذ الساعات الاولى للصباح نشبت معارك عنيفة ، ضد قوات مدرعة وجوية مصريـة ، هاجمت اسرائيل • وقد هبت قواتنا الى صدها » • ولم يدر احد يومها ما معنى النداء العبري الذي كان يردده (كول اسرائيل) بهذه الرموز : « حب صهيون » ، «نور المشهد»، « مشية الحرس » ، منذ الفجر كذلك وقبل الهجوم العربي المزعوم ، داعيا به آخر افواج الاحتياط للالتحاق بقطعاتهم في الميدان ، وفي نطـاق التعبئة المعلنة سرا ، من قبل • فاسرائيل الصغيرة ذات المليونين او اكثر قليلا ، اسرائيل

المهاجمة لم تهاجم العرب ، ولكنها تدافع ، عن نفسها ومن حقها ان يساعدها العــالم في وجه كــل هؤلاء الاعــداء المهاجمين ، وهم يتجاوزون المائة المليون • ولهم كل هذه البلاد والارض • داود توراة جديد • فلله داود !

دبلوماسية وجاسوسية حرب

الفصل الخامس

كان الضوء الاخضر الذي عاد به رجل الدبلوماسية السرية الاسرائيلية ، من الباب الخلفي للبيت الابيض ، يوم السبت في السابع والعشرين من ايار سنة ١٩٦٧ « دعما معنويـا ودبلوماسيا ، ووعـودا بالدولارات والبترول ، ونصيحة بالانتظار خصوصا عشرة ايام قبل العمل » • وهو انتظار سماه ايبان « بالمهلة القصيرة » في مؤتمر صحفي له بعد العودة • وأبى ان يحدده حتى بالايام • فقد كان لا بد من حد أدنى من النظافة ، حتى في ضوء اخضر بهذه الخضرة يحمله سرا ويفسره ، فما لاذن ، بما لا يكتب ولا يـذاع ، استـاذ الادب الانكليزي القديـم ، وضـابط المخابرات الجنوب افريقي بمصر ، في الحرب العالمية الثانية ، ومترجم (عصفور من الشرق) لتوفيق الحكيم وغيـره للعبرية • نصيحة من رأس الشفة ، لا يصبر عليها الناصح نفسه ، ولا يربطها وهو الاهم ، بأي شرط ، ليست بنصيحة تجعل مثل ابا ايبان ومن كانوا ينتظرونه في تل ابيـب ، وكأنما على جمر ، يأبهون لها • فالدعم بمختلف اشكاله ، من الدولارات الى البترول هو كلمة السر الاساسية •

والباقي مما لا يحتاج الى شرح هو ، الى الدبلوماسية ، خبرة البانتاغون ووسائله ومنهـا ، الاسطول السـادس بتجربته اللبنانية عام ٩٥٨ طبعا • خمسون قطعة حربيـة وخمسة وعشرون الف بحار ، بطراداتهم الثقيلة وبينهـا (الاتريبايد) يمـر بالسويس للبحـر الاحمر متحديا ، فتواكبه مصر على سبيل الوقاية ، بغواصتين ، وبوارجهم وغواصاتهم الذريـة ، وبواخـر انزالهم ومواصلاتهـم واستخباراتهم ومنهـا «الليبرتي» الجـاسوس المشهـور وسيلعب دورا علميا تخريبيا قذرا في حربنا ، على مـا سنرى قريبا، وحسبه ان يكون توأم جاسوس آخر (بويبلو) استطاع الكورنون الشماليون هـم ان يستولوا عليـه بالايدي ، في مياههم الاقليمية وبغارة بطولية بالزوارق • فالاسطول السادس قد تحرك قبل ايام من نابولي للمتوسط الشرقي ، واخذ يدور حول قبرص، مع كـل مـا يتحرك بتحركه من عملاء ونفوذ واستخبارات ودبلوماسية • وان بعض هذا التحرك لحري بحماية اسرائيل ، بل وباطلاقها دون كبير خطر عليها في مغامرة حربية مأمونة، تحطم بالخدعة قبل القوة ، الكبرياء العربي • عبد الناصر كسر طـوق التسلح ، ومضى في بناء السد العالي ، بمساعدة سوفياتية• بنى قوة عربية مستقلة لاول مرة ، عن نفوذ اميركا والغرب• فلنتخلص فيه من صلاح الدين •

انقذت اميركا على زعمها في حرب السويس ، الرئيس عبد الناصر • فلقد ضغطت على بريطانيا وفرنسا واسرائيل وحملتها، على الانسحاب• انقذتها قبل الرئيس عبد الناصر، من عواقب انذار بولغانين المشهور اذا مـا نفذ اخيرا ، ولم يكن بمجرد تهويل ، واميركا غير مستعدة تماما لمواجهـة كل آثاره • لكن الرئيس عبد الناصر ، وقد افـاد مـن الانسحاب لم يسجل يدها الاميركية هذه ويجب ان تلغي اثر الانذار ، ولو لم تلغه • فرصة ردة رجل له ولاصدقائه السوفيات غير المستعدين على ما يبدو هذه المرة ، الى شيء من هذا القبيل ، ولو على سبيل التهويل • انـذار سوفياتي مهما يكن واقعه ومـداه ، لبريطانيا وفرنسـا واسرائيل معا ، شيء معقول • اما انذار من ثاني اكبـر واقوى دولة في العالم ، لدويلة لا تكاد تظهر على الخارطة، ولها ما لها من علائق عاطفية وعملية غربية واميركية ، فكيف يبرره من وفروا ما وفروا من سلاح واهبة « ووثقوا » بحياد اميركا ما داموا سيقفون هم على الحياد ؟ لكـن اميركا المستعدة من ناحيتها كل هـذا الاستعداد ، الـى التصدي والدعم والرد ، تؤازرها بريطانيا وقـد اخذت تحشد بدورها اسطولا متوسطيـا ، وهولاندا وكنـدا وسواهما ، لاقتحام مضايق تيران ، ولو من طريق رأس الرجاء الصالح ، ان تعذر المرور بالسويس ، هـل كانت

تقف على الحياد بفهمها للامور ، فهما يختلف عن فهمهم لها ، كل هذا الاختلاف ؟

الموقف السوفياتي في خضم هذه الاحداث ، مقارنا بالموقف الاميركي المتقدم ، هل كان موقفا غامضا ؟ لـــن يتدخل السوفيات الا اذا تدخلت اميركا • ولـــن تتدخل أميركا ، الا اذا تدخل السوفيات • السوفيات يلحون على الرئيس عبد الناصر وقد جاؤا يوقظونه ذات ليلة في ساعة متأخرة جدا ، ان لا يكون البادىء • فقد اتصل بهم البيت الابيض اكثر من مرة بالتلفون الاحمر المباشر ، وقـــال : ان العرب سيكونون البادئين بالحرب ، ويجب ان يتحملوا كل المسؤولية ، في هذه الحال • ايا كان الرأي في موقف لم ينته فيه الجدل الى اليوم ، ولا يبدو انه سينتهي قريبا ، فلقد ضمن في النتيجة لاسرائيل كما تعترف استخباراتها المشهود لها بصحة اخبارها ، بأنها كانت واثقة مـــن عدم التدخل السوفياتي آنئذ ، ومطمئنة به، ولا شك الــــى امتلاكها زمام المبادرة • الا انه من كان يقول ان شئنـــا انصاف الاصدقاء ايضا ، انهم سيخسرون الحرب وكأنمـــا دون حرب ، بالسرعة المذهلة التي خسرها بها ، من ليسوا بأقل عددا من عدوهم ولا عدة ؟

الحرب لم تكن كلها حتى في تلك الاثناء ، حربـــا دبلوماسية بين العرب واسرائيل والدول الكبرى ، وفـــي

مجلس الامن وكان هو الاخر ، قد عقد في التاسع والعشرين من ايار ٩٦٧ على اثر عودة يوثانت من القاهرة ، دون ان يقرر شيئا • فقد كانت هناك على الجبهة مناورات حربية وهمية فعلية ، تمشي جنبا الى جنب ، مع المناورات السياسية ، ولا تقل عنها وقتها غموضا واهدافا غير منظورة • فبعد ان استطاع العدو ان يسمر بالسياسة كل الانظار ، على شرم الشيخ ، راح يؤكد عزمه على غزوها ، بعمليات عسكرية وتحركات منظورة خادعة ، في تلك الجبهة ، يعيد بها بعض فصول حرب السويس المكتوبة المنشورة ، قبل احد عشر عاما ، من الاستيلاء على شرم الشيخ برا ، من طريق ساحلي عسير وغيره ، وقد كتبها موشي دايان نفسه • ولكن العرب على حد قول هذا العدو، لما عوتب بنشرها ، لا يقرأون •

ففي كل ليلة منذ نشوب الازمة تقريبا ، كانت هناك اربعون ناقلة جنود اسرائيلية ، تهبط مشعشعة الانوار من مرتفعات النقب وحصونه ، متجهة الى ام الرشراش (ايليات) • فاذا ما بلغتها نزل منها وسط ضجة وصخب ملحوظين ، جند مظليون يملأونها • بعد لحظات تعود هذه الناقلات من حيث أتت ، انما مطفأة الانوار هذه المرة ، وبالمظليين انفسهم ، وكأنما تسللا على رؤوس الاصابع • ثم تؤوب منحدرة مجددا ، من هضاب النقب القريبة ،

مشعشعة الانوار الى ام الرشراش ، لتفرغ ما لا تفرغ من جنود وحشود ، تحتشد على هذه الصورة ، حتى الفجر .

وكانت ترتفع كل يوم بعيدا في صحراء النقب ، أعمدة من الغبار الكثيف القاتم، تدل على وجود مصفحات، تتجه نحو الجنوب . ماذا كانت تلك المصفحات ؟ جرارات زراعية مجموعة من الكيبوتزات ، تجر في قوافل ، حزمات كبيرة من القش ، تبدو من مسافة كيلو مترين فقط ، وكأنهـــا مصفحات لا غش فيها . اما في النهار خصوصا ، فكان الطيران يشارك في خدعة الحشد في ام الرشراش ، لمهاجمة شرم الشيخ . ثـلاث ناقـلات جويـة شـمال أطلسية ضخمة ، تفرغ دائما في النهار ، في مطار ام الرشراش ، معدات حربية ، تعود الى شحنها هي ذاتها فـي الليل . وشاركت البحرية الاسرائيلية فـي الكوميديا ايضا ، اذ اقلعت زوارق الطوربيد ثلاث مرات ، من ميناء ام الرشراش الغاص بالصحيح منها والزائف ، باتجاه مضايق تيران مثلا، في مناورة هجوم . ثم عادت اليها ، لتنطلق في مناورة هجوم جديد . فالجنوب هو هدف العدو لا الشمال . والمضايق المغلقة تقع في الجنوب . لكن العدو هاجم مع ذلك عندما هاجم من الشمال ، فاستفاد الى أبعد حد ، من عنصر المفاجأة ، الشرط الاول للنجاح في أية حرب .

وراقبت الجبهة العربية هذه التحركات الاسرائيلية

الوهمية ، بوسائل غير مجدية كما ظهر . والا كان عليها ان لا تؤخذ بها . وكشف لنا العدو نفسه متندرا ، عن احدى هذه الوسائل . باخرة صيد مصرية راسية في عرض مرفأ العقبة البعيد اربعة كيلو مترات فقط ، في أرض سهلية ، عن ام الرشراش . كانت اعداد الطائرات والبواخر والناقلات المتتالية بشكل حشود عدوة فيها ونجدات ، تراقب من تلك الباخرة بالمنظار ، وترسل باللاسلكي كمعلومات مبنية على مشاهدات العيان . وذلك من غير ان يخطر للعدو القريب هذا القرب، ان يرصد في ظننا ، اتصالاتها ويفك اشاراتها .

الى أية درجة اثرت معلومات مضللة كالمعلومات المذكورة في خطط القيادة العربية في توزيع قواتها على مختلف انحاء الجبهة ؟ ثم الى أية درجة تأثرت هذه الخطط بسابقة حرب السويس في هذا المجال ، وفي الميادين نفسها، وبما كتب موشي دايان عنها خصوصا ونشر وقدر ، اننا لن نقرأه ؟ يستطيع الكثيرون ان يمضوا بحسب اختصاصهم واجتهادهم ، في اكثر من « الى أي درجة ؟ » في هذا المقام . لكننا نؤثر حتى للعبرة المستفادة ، ان نعلم ببالغ الاسف بالمقابل ، بأن معلومات العدو ، كانت ادق واجدى بكثير . فقد مكنت استخباراته من (الموساد) الى (الشينابت) والاولى للتجسس والثانية لمكافحة التجسس،

ذلك الرجل الصغير (اهارون ياريف) رئيسها ، ومستشار (غولدا مئير) حتى البارحة « للمهمات الخاصة » من ان يزود يوم الهجوم ، وبمعونة اميركية ولا شك ، سلاح الطيران الاسرائيلي ، على سبيل المثال ، بخرائط امينة مفصلة ، للمطارات العربية السرية الحقيقية والوهمية ، من مصرية وعراقية واردنية ، وجداول باعداد وانواع الطائرات العاملة وغير العاملة فيها ، تحصيها كلها ، فلا تغفل اصغر حوامة بينها ، لا فوق الارض ولا تحتها • معلومات العدو عن كل المواقع في سيناء والفرق العسكرية المحتشدة فيها، وكيفية توزيعها ومهماتها ووسائلها ، كانت كبيرة جدا • فجواسيسه منتشرون في كل الاوساط • وكان منهم كما باح (اهارون ياريف) نفسه فيما بعد ، مباهيا ساخرا ، دون ان يسمي ، وربما كاذبا ايضا ، ليدير المدية في الجرح ، حتى ضابط من ضباطنا العاملين في سيناء ، لقي على كل ، جزاء خياناته ، حسب رواية العدو ، على ايدي اليهود انفسهم • اودت بعميل (يوري) الخائن مصادفة او غير مصادفة ، اثناء الهجوم على سيناء ، رصاصة او شظية يهودية وذهبت بسره وعاره ، ان صحت الرواية اليهودية، عنه • ومهما يكن فمما يجعل لرواية كهذه وامثالها بعد كل حساب وزنا ، ويفسر ولع الرجل الصغير (يوري) رئيس الاستخبارات الاسرائيلية السابق المعروف عنه « بدراسة

نفسيات المسؤولين والضباط العرب » من كل المستويات بما يجمعه له رجاله عنهم من معلومات خاصة ، فهو ما جاءت به الحرب من نتائج مروعة • فقد دلت النتائج فعلا على انها لا يمكن ان تكون كلها كما سنرى من الآن فصاعدا ، فنا عسكريا خارقا اسرائيليا ، ولا بطولات (دايانية) الى هذا الحد ، ولا حتى ابتسامات حظ دائمة لعبقرية عدونا • وهذا اذا ما سلمنا جدلا بالعبقرية ايضا • تنائج كهـــذه النتائج ونقولها غير معقدين بأي مركب، كان آخر شيء يمكن ان تفسر به ، الفن العسكري الخــارق ، ناهينــا بالعبقرية الخارقة • لقد كسبت ، الاستخبارات الحربيــة الحرب لاسرائيل تقريبا ، قبل ان يكسبها لها جنرالاتها • اننا لا نقلل من مقدرة هؤلاء ، ولا من قيمة تجاربهم وقد تيسرت لمعظمهم من خوض حروب حقيقية في صفــوف الحلفاء ، او في قوات بلادهم الاصلية ، قبــل الالتحــاق بالجيش الاسرائيلي • ولكننا نشدد على واقع يسر لهم مهمتهم الحربية ، وقدم لهم النصر على طبق من ذهب • لا نشدد عليه لاستغلاله اخلاقيا • فالحروب لا تكسب بمكارم الاخلاق من هذه الناحية ، ولا سيما في هذا الزمن ، على عدو مثل عدونا • الاخلاق في الحرب ليست الاخلاق في السلم • وانما نشدد لنقرأ الدرس البليغ في بابه ونعمل به ولا ننساه ، بعد ان دفعنا ثمنه ما دفعنا من وطن ودم •

يذكر تاريخنا العربي ، ونختار هذا المثل بالذات ، عن حروب الردة التي خاضها باسم الخلافة ضد المرتدين قادة كخالد ابن الوليد نابغة الحرب ، « ان الصديق ابا بكر ، قد كان يعمل عمله في حروب الردة جميعا ، وهو على استطلاع وثيق ، وعلم واف ، باحوال كل طائفة من المرتدين • وان من دواعي انتصاره ، وفاء اخباره بحاجات القتال ، ونقص اخبار المسلمين ، عند القبائل المرتدة ، بعيـــدها وقريبها على السواء » •

(هنيبعل) القائد العربي القديم الآخر ، على عبقريته الحربية المذهلة ، كان لا يعمل الا وهو « على استطلاع وثيق » بأحوال اعدائه • كان الاستطلاع الوثيق ســر القرطاجي الساحر • واكثر المؤرخين الرومانيين من « تيت ليف » ، الى المؤرخين الغربيين المحدثين الباحثين فيه يسمون هنيبعل بالساحر ، استعظاما لفنه الحربي ، الذي كـــاد ينسيهم فن الاسكندر الكبير قبله • كان عمــاد فــن (هنيبعل) العسكري العبقري في (كان) وسواها من معاركه المشهورة ، دقة المعلومات المتجمعة لديه عن عدوه، عقلية وطباعا وميولا وعادات وعــددا وعدة حرب ، ودربة وخبرة ، وحسن استغلاله لها ، لخدمة خططه العبقرية في قهره وتدمير قوته • بل ربما نسب البعض جانبا كبيرا من غلبه الاخير ، امام (سيبيون الافريقي) القائد الروماني ،

وقد سموا (موشي دايان) باسمه كما رأينا ، والفرق بين هنيبعل وسيبيون هو فرق ما بين العبقرية والذكاء المتوسط او حتى دون المتوسط ، الى معلومات اعوزت هنيبعل او فاتته ، عن عدوه ، فهزمه من هو دونه في كل شيء • وذلك بعد كل انتصاراته المدوية السابقة • وقد اوشكت ان تضع روما يوما في قبضته •

الجَيش الإسرائيلي المهَاجم

الفَصل السَادِس

جيش الدفاع الاسرائيلي (زحال) انشأه (بن غوريون) الذي كان من اهم اعمـاله السرية ، تكليف رجـاله اينما كانوا ولا سيما في الولايات المتحدة ، وبريطانيا تجنيـد عدد من القـادة العسكريين لخدمة اسرائيل • « فالحرب الحديثة لا تحتـاج الى سـلاح حديث فقط • وانما الى استراتيجية ايضا » • وقـد اوشك هؤلاء (الرجال) ان يجندوا مرة (للنبي اليهودي المسلح) حتى العميد (والتر بيدل سميث) رئيس اركان ايزنهاور نفسه كمرتزق ، عدا مـن جندوهم مـن كبـار اليهود الاميركيين العسكريين والبريطانيين فعلا ، من امثال العقيد في البانتاغون (دافيد ماركوس) وقد جعله (بن غوريون) اول عميد يهودي منذ (جوداس مكابي) ، او غير اليهود ، ولو حملـوا اسما يهوديا ، من اضراب (شلوموشامير) ، احد خريجي كلية (فيست بوينت) الحربية اللامعين و (وينج) البريطاني • تألف هذا الجيش منذ البداية ، من عصابات الهاغانا وشتيرن والبلماخ والارغون وغيرها من منظمات ارهابية عسكرية سرية علنية ، الفهـا الصهيونيون فـي فلسطين في عهـد

الانتداب البريطاني لحماية (الكيبوتزات) ، وهي في حد ذاتها ، مستوطنات زراعيــة عسكرية ، ولمقاومــة الحركة الوطنية الفلسطينية ، ثم من قوة يهودية الفتها بريطانيا في مصر ، فــي برج العرب وســواه ، كأنما تيمنا بالذكــرى التوراتية للخروج من مصر ، وضمتها الى جيشها ، تتدرب في نطاقه وتقاتل معه في اوروبا ، بنفس الاسلحة البريطانية، في الحرب العالمية الثانية • وقد اعتمد الجيش الاسرائيلي دائما على دم جديد تمده به (الدياسبورا) اليهودية اي اليهود اينما كانوا ، ضباطا وجنودا مدربين ، في اوطانهم الاصلية ودولهم ، على احدث اساليب القتال ، فضلا عما تخرجه له المدارس الحربية المتقدمة ، من قادة واختصاصيين في انواع السلاح • فكان بذلك جيشا فريدا من نوعه ، يشبه كثيرا بتركيبه واساليبه وعقليته ، الفرقــة الفرنسية الاجنبية (الليجيون ايترانجير) • وكانت فرنسا قبل ان تحلهــا وتسرحها اخيرا تؤلفهــا مــن المغامرين والمرتزقة والمجرمين الدوليين ، وتستخدمهــا خصوصا فــي حروبها الاستعمارية •

مدة الخدمــة العسكرية الاجبارية المفروضة علــى الجنسين في اسرائيل ، سنتان او سنتان ونصف احيانا • ولكن ما يعتبرونه في اسرائيل الجيش العامل الدائم ، لا يتعدى السبعين الفا • وهو عدد خادع اذا ما عرفنا ان افراد

هذا الجيش يظلون بعد هذه الخدمة الطويلة نسبيا ، في الاحتياط ، حتى سن الاربعين ، مع خدمة سنوية فعليـة جادة مثمرة لا شكلية وحسب ، تمتد من شهر الى شهرين ، ولا تنقطع بها صلتهم الحية ، بالجيش والاسلحة الجديدة • وهذا ما مكن اسرائيل من ان تحشد لحرب حزيران في اقل من ثلاثين ساعة مثلا ، جيشا لا يقل عن الربع المليـون ، متمرسا بكل فنون الحرب ، يرفع الى درجة العقيدة ، مبدأ الهجوم هو خير وسائل الدفاع ، ويختلف فيه معنى الجيش العامل ، والجيش المحترف وجيش الاحتياط عنه ، في اي جيش آخر •

بين أهم ما تفاخر اسرائيل بأنها استحدثته لجيشها ، وثبتت بالفعل جدواه ومزاياه ، هو الافادة من عدتها الحربية الواحدة الى أقصى الحدود ، وجعلها تعمل أطول مـدة ممكنة • فالطائرة الواحدة لها عدة طيارين • ولا تمكث بذلك في احوال القتال والتدريب العنيف المتصل علـى الارض ، الا مدة الثلاث او الاربع الدقائق اللازمة ، ليقلع بها طيار ثان ، وثالث ورابع • يروي اليهود بهذه المناسبة مباهين ، ان صناعيا فرنسيا جاء يزور ذات يوم ، بدعوة منهم ، قاعدة جوية لهم ، فلم يجد فيها طائرة واحدة على الارض ، فاستغرب الامر • ولما اجابوه بأن طائراتهم لا تحط تقريبا على الارض ، غمغم ساخرا : « ولكن ثلـث

طائراتنا نحن ، هو دائمـا علـى الارض » • ولا ندري بالمناسبة نفسها ايضا ، لماذا لم نطبق فيمـا خصنا هـذا الاسلوب ، ولعله بنا اجدر ، بصفتنا الاكثرين ، فلا نضطر الى ان نشكو على ما نذكر غير مرة ، من عدد الطيارين العاملين ، لا من عدد الطائرات • التكاليف ليست جوابا مقنعا بالطبع ، عن هذا النقص • فلقد حسب اليهود ومـا (شيلوخ) بمن لا يجيد الحساب ، بأن عددا من الطيارين للطائرة الواحدة ، هو أقل اكلافا في النتيجة ، من الطائرة الواحدة للطيار الواحد ، واوفى من كل الوجوه ، بالحاجة للطائرات الباهظة الثمن • وما ايسر حتى فـي أصعـب الظروف واسرع ، ان تكون لنا طائرات ، من ان يكون لنا طيارون • متى وجد الثمن وجدت الطائرة • فأما الطيار فلا بد له مع الثمن من وقت ، يظل اغلى من أي ثمن •

طبقت اسرائيل كذلك النظرية الصائبة نفسها ، نظرية اكثر من طيار للطائرة في كل اسلحتها الآلية وهي تصنع وتطور عددا منها ايضا ، ففي سلاح المدرعات والصيـانة والاشارة ومختلف الخدمات ، نجد الشيء ذاته • فالفنيون والاختصاصيون المدربون تدريبا عاليا لا يكـاد يضاهيه تدريب ، في أقوى الجيوش ، هم دائما اكثر من المدرعات والمصفحات والآليات • كل الاعتماد على العنصر البشري الذي يستخدم الآلة بحـذق ، ويتعاقب عليهـا بديمومة

واستمرار • تعطــب الدبــابة فتصلحهــا ورش الاصلاح المتحركة بسرعة لا شبيه لها تقريبا ، في أعظم الجيوش العصرية ، وهكذا كل آلة لتظل دائما جاهزة صالحة عاملة • فكأن الدبابة قد اصبحت بذلك دبابات والمدفع مدافع • بل انهما قد تضاعفا كثيرا حتى بات الجيش بهما ، اضعاف ما هو عددا وعدة ، واهلية •

تحدث (مردخاي هود) قائد الطيران الاسرائيلي في حرب حزيران ، بعد الضربة التي قاتلت فيها طائراته من الجو ، طائراتنا الجاثمة غالبا على الارض ، بعد كل شيء ، والحرب خدعة ، كما تقدم في موضعه ، واستخبارات عن مستوى التدريب في سلاح الطيران الاسرائيلي ولا سيما، في الطيران المنخفض والرماية الدقيقة مع الطيران السريع وكثافته واتصاله ، فقال ما معناه : « اننا عشنا عشر سنوات، نأكل الخطة ونشرب الخطة ، ونعشق الخطة «خطة الضربة الغادرة » وننام وننهض مع الخطة ، ولا نعيش الا للخطة • ولا يجب ان نستبعد الامر ولا ان نكذبه ، لان هنــاك اجماعا عالميا تقريبا ، على مستوى التدريب العالي المستمر في الجيش العدو بعامة ، وعلى مختلف الرتب والدرجات • ولماذا نستبعد ونكذب بعد ان رأينا (موشى دايان) نفسه ، يلتحق مدة بعد ان تفاقم امر المقاومة العربية ، بالجيش الاميركي في فيتنام ليتدرب وهو في سنه ورتبته ومقامه

وشهرته في دولته ، علــى الاساليب المستحدثة في حرب المقاومة ، فيخوض في الادغــال الفييتنامية المستنقعــات محاربا ؟ عميد طيار مشهور مثل اليعازر وايزمان ، خدم في السلاح الجوي البريطاني وقد ربي فيه ، وقاد بنفسه طائرات (الميسير شميدت) الالمانية فيما بعد ، وتولى تهريبها سرا من تشيكوسلوفاكيا ، في حرب سنة ١٩٤٨ ، ألم يجعل من طائرة التدريب البسيطة (فوجاس ماجستر)، طائرة هجومية مرهوبة ، تتسلح بالتعديل الذكي والتغيير الدائب والدربة ، بصواريخ (الروكيت) ومدافع الثلاثين م•م ؟ العميد تال ، وقد قاد الهجوم الرئيسي على سيناء ، هو الآخر ، ألم يبلغ شغفه بالميكانيك حدا ، حمله على ان يمارس بنفسه ، في معمل أنشأه لنفسه هذه الهواية العلمية، ويطور لمدرعاته اكثر من آلة جديدة تزيدها كمالا وفعالية ، بل ويخترع ، بشهادة مسجلة على اسمه ، متفجرة خاصة ، نصف بانكالور ــ نصف بازوكا لنسف شبكات الاسلاك الشائكة ؟ وكم من عميد وكم من عقيد غير هؤلاء الاعداء وحتى اصغر رتبة وشأنا ، يمكن ان يذكروا في هذا المجال ، وينوه بهم ؟

لئن كان المجتمع الاسرائيلي المصطنع ، بجنسيــاته واشتاته واضداده (مافيا) ومجتمعا عسكريا جمعه حتى الان النصر والربح ، حول اساطير تاريخية ومفاهيم بالية ،

لمقومات الامم والشعوب ، فانه مع ذلك بتعميم كل هذا القدر من العلم والتقنية على اكبر عدد ممكن من جيشه ، وهو جيش كله هذا المجتمع كما رأينا ، لمجتمع ديمقراطي . أوفر قسط من المعرفة والمهارة لأوفر عدد من الافراد ، بل للكل لدى وجود القابلية . أليست هذه هي الديمقراطية وحتى الاشتراكية ، لولا انها قد انحرفت بالمعاني والاهداف النبيلة الديمقراطية والاشتراكية ، فنزعت عنها طابعها الانساني ؟ ظاهرة اخرى « ديمقراطية » نحبذها في جيش العدو ، ولا نجدها فيما نظن ، الا في الصين الشعبية . قد لا تكون هذه الظاهرة شيئا خطيرا في حد ذاته ، على الصعيد العملي المنظور ، ولكنها ذات دلالة معنوية كبيرة . فالاوسمة وربما كانت حافزا ودافعا الى التفوق ، لا وجود لها في الجيش الاسرائيلي . فالتفوق لا حاجة عندهم ، الى وسام يحث عليه ويشهد له . انه واجب ، ولا جزاء على القيام بالواجب . ثقة كبيرة بالنفس واطمئنان الى معرفتها للواجب ، ووعيها له . مراعاة لشعور من لا يتاح لهم ، ربما لاسباب خارجة عن ارادتهم نيل الاوسمة لانعدام الفرصة المتوفرة لغيرهم . ومهما يكن ، فانها لظاهرة ارادوا لها ان تعكس عندهم ، وعند الغير في رأيه فيهم وحكمه عليهم ، خلالا نفسية معنوية ، ان كانوا لا يتصفون بها تماما ، فانهم ليطمحون اليها ، ويعملون للتحلي بها . وقد

خرجوا في هذا العام فقط على هذا التقليد وانشأوا بعض المداليات القليلة المحدودة ، للبطولـة والشجـاعة فـي السلوك •

القتال الليلي بمختلف الاسلحة يشدد عليه في الجيش الاسرائيلي خصوصا ، ويولى الاهتمام به والتدرب عليه واجادته ، اعظم قسط من العناية • فهو على صعوبته ، يوفر لمن يحسنه كثيرا من اسباب الغلبة وليس اقلها ، الافادة من عنصر المفاجأة الى درجة كبيرة ، وما توقعه المفاجأة عادة ، من بلبلة في صفوف الخصم ورهبة • كل جيش جدير بهذا الاسم ، يفترض ان يحسن القتـال الليلي • ولكـن الجيش الاسرائيلي ربما اهتم اكثر من غيره ، ولا سيمـا بالمقارنة معنا ولا تتحدث الا عما قبل حزيران ، بهذا النوع من القتال • ولعل مرد ذلك نشأته أساسا ، كجيش • فقد نشأ على ما علمنا مما تقدم ، كعصابات ارهابية ، مضطرة الى العمل في الظلام• فالظلام قوة لها وميزة وفرصةسانحة، تغتنمها كما تشاء ، لما تشاء ، بأقل خسائر واكبر حظ في النجاح • ولا بد من ان نضع في حسابنا نحن دائما هذا الواقع ، فلا ندعه وقفا دوننا على العدو، لا في المقاومة وحدها طبعا ، وانما كذلك في الجيوش النظامية •

يلفت النظر ايضا في الجيش العدو ، قياداته الشابة• فالضباط الكبار لا يمكثون في الخدمة العاملة الا الى سن

الخامسة والاربعين في ابعد الحدود . فاذا بلغوا هـذه السن ، وهي اصغر سن لمثلهم في كل الجيوش ، تقاعدوا حتما . موشى دايان وبارليف ورابين وغيرهم ، طبقت عليهم هذه القاعدة ، فتركوا مناصبهم العسكرية ، لعناصر افتى منهم ، وتحولوا الـى المناصب المدنيـة والسياسية يخدمونها بكفاياتهم الخاصة الاخرى ، وهي كثيرة دائمـا ومتنوعة . فلا ينبغي ان تكون القيادات الا في أيد شابة اقرب من سواها غالبا ، الى روح المبـادرة والتجديد ، والعيش بعقلية العصر في ديناميكية لا تعرف الجمود ، وابعد عن الترهل والخمول ، جسدا وروحا ، على السواء. ولا بد من توفير الفرص دائما للشباب الطموح للاضطلاع بالمسؤولية الكبرى ، من الاجيال الصاعدة . حكمة الشيوخ يفيد منها اليهود في غير الجيش . اما في الجيش فكل شيء للشباب العارف القادر لا لشيخوخة تعرف ولا تقدر.

حتى لو صدقنا الارقام والاعداد الرسمية الاسرائيلية عن معدات الجيش الاسرائيلي ، كما كانت متوفرة له في الحرب ، فانها تظل كبيرة جدا ، لدولة لا تتعدى الثلاثـة الملايين ، الى الثلاثـة والنصف ، ولنقـل اكثر ، بالهجرة الصهيونية المستمرة . وكيف ونحن لا نصدق مبدئيا هذه الارقام والاعداد المنشورة ، ولو زكتها اكبر المؤسسات الدراسية الغربية والاميركية ، لاننا نعلم ان «تحت الارض»

قد كان دائما غير « فوق الارض » لاسرائيل الصغيرة الكبيرة بعلاقتها الظاهرة والخافية ، بالغرب واميركا • ان استخدام الطائرة الواحدة والدبابة الواحدة أطول مدة ممكنة من قبل اكثر من طيار وجندي ، قد يكون بالفعل سبيلا الى التعويض عن السلاح الكثير • ولكن ما الذي يمنع ان يكون مع ذلك سبيلا الى التضليل وكتم الارقام والاعداد الحقيقية عنه ايضا ؟ تتبجح اسرائيل بأنها لم تكن تملك في الحرب من السلاح اكثر مما يملكه الجيش المصري وحده في سيناء • حسن • كم كان عدد الجيش المصري المحارب فيها ، حتى حسب احصائياتها هي وتقديراتها ، ونحن نستند اليها ؟ بين الثمانين والمائة وربما المائة والعشرين ، بل ولنفرض الخمسين ألفا • وكم كان بالمقابل عدد الجيش الاسرائيلي المتأهب أتم الاهبة لحرب عصرية، لا يخوضها بالمقلاع الاسطوري ضد الجيش المصري بمفرده ، وانما مبدئيا كذلك ضد الجيش السوري والاردني والعراقي وربما اكثر • وهي جيوش تعد دائما بحسب احصائيات العدو وتقديراته المطلعة الذكية ولا شك ، ما لا يقل عن الاربعمائة والخمسة والثلاثين الفا • لقد كان الجيش الاسرائيلي المحتشد باعتراف اسرائيل ، لمواجهة هذه الجيوش مجتمعة اذا اقتضى الامر مائتين او حتى ثلاثمائة وخمسين الفا • بماذا سلحت اسرائيل هذا الجيش العرمرم اذن ؟

وهل كان المقلاع الاسطوري يوازي وحده هذه المرة، سلاح الجيش المصري كله ؟ أم ان اسرائيل قد اعتمدت على الخدعة والبراعة وحسب ، مغامرة في حال عدم نجاح الخدعة والبراعة ، لايما سبب ، بوجودها كله ؟ يصعب ان نصدق ان اسرائيل ، ولربما كشفت الايام هذه الحقيقة تماما ، لم تكن تملك في الحرب، الا المعدات المعلنة بهذه الارقام والاعداد خصوصا عن الدبابات والطائرات، وهي الف دبابة (شيرمان) و (باتون) ، و (سانتوريون) ومائة طائرة (ميراج) وثمانون طائرة (ميستير ــ اينا) وستون طائرة (فوجاس ماجستر) واثنتا عشرة طائرة (فوتور) ، وخمس وخمسون طائرة (اوراجان) ، وخمس وعشرون طائرة (فوتور ١٢ س) ، وعشرون (نورد اطلس) وخمس وعشرون حوامة (سوبر فريلون) و (سيكويسكي) و (ه ٣٤ س) و (١ لويت) ، وحوالي السبع والستين طائرة تدريب وقتال معا متنوعة ، تتردد اسرائيل حتى لو صدقت في ارقامها واعدادها في اعتبارها من قوتها الجوية الضاربة ، وهي تحصرها في ثلاثة عشر سربا ، اربعة اعتراضية وخمسة مقاتلة وقاذفة ، واربع حاملات وحوامات. وكيف نصدق دون ان نهزأ بعقلنا اسرائيل وتشك المراجع الغربية الحيادية نفسها ايضا ، في كل اعداد وارقام اسرائيل عن اسلحتها ، عندما نجد اذا ما اقتصرنا على

الطيران وحده ، ان قواتها العاملة في الطيران قد كانت بالتعبئة العامة في حرب حزيران ، لا تقل عن عشرين الف رجل مثلا يخدمون بتقديراتها اذن ، اربعمئة وخمسين طائرة فقط ، أي بمعدل اكثر من اربعة واربعين رجلا للطائرة الواحدة . مهما نسلم بنظرية اكثر من طيار للطائرة الواحدة ، فلا بد كما نرى بهذا وحده ان تتردد كثيرا ، ونحن نورد اخيرا هذه الاعداد والارقام الاعلامية الاسرائيلية التي يقصر فيها حتى (ذكاؤهم) عن تغطية كذب غير ذكي الى هذا الحد .

الجيش المصري المدافع

الفصل السابع

لا يحتاج المرء الى ان يكون (كارل فون كلوز فيتيز) ليعلم بأنه منذ حروب الفتح العربي لتحرير الارض العربية من الحكم الروماني وقبلها وبعدها ، من الحروب الصليبية الى حروب محمد علي ، كانت سوريا وفلسطين هما مفتاح الدفاع عن مصر ، بطريق النقب وسيناء • فمصر لا يمكـــن ان تكون في أمان لا من النقب ولا من سيناء ، اذا لم تكن موجودة في سوريا وفلسطين، او مرتبطة بهما بوحدةقومية، او بحلف ، او بأي رباط ، من هذا القبيل • ألم يضطـــر نابليون ، ذهابا من هذا الواقع الذي تفرضه الجغرافيا ، الى غزو سوريا وفلسطين مثلا ، ليستطيع البقاء في مصر ؟ ثم ألم يضطر فيما بعد الى الجلاء عن مصر ، لما فشل في غزو سوريا وفلسطين ، وعجز عن اخضاع عكا في طريقه للهند ؟ محمد علي هو الآخر ، ظل قويا في مصر ، مـــا ظل في سوريا وفلسطين • فلما فقدهما ضعف في مصر ، ولم يقو بعدها ابدا • انها الجغرافيا صانعة التاريخ ، قد جعلت هذه الصحراء الفاصلة بين الوطن العربي في آسيا وافريقيا، مفتاحا بهذا الخطر عليهما معا ، لا بد لهما من امتلاكه ، والا

فلن يعرفا وحدة حقيقية ، ولا قوة ولا أمنا ، ولن يدريا في أية ساعة ، تفتح به عليهما ابوابهما ، وتشرع لكل داخل ودخيل • سيناء بشهادة كل الخبراء المدعومة بتجارب التاريخ ، لا تصلح قاعدة لجيوش كبيرة ، تعسكر فيها وتنتشر ، الا في احوال الهجوم السريع • صحراء كبيرة جبلية جرداء ، وعرة في الجنوب ، رملية في الشمال، مكشوفة ، وطرق تموين صعبة قليلة ، معرضة للانقطاع في كل ساعة • فالجيش الذي يتقهقر في سيناء البالغة مساحتها ، ثلاثة وثلاثين الف كيلومترا امام العدو ، لا يستطيع ان يتوقف بعد قليل ليجمع شمله ويهيىء نفسه ، هذا اذا استطاع ذلك احيانا ، لهجوم مضاد ، الا بصعوبة وقدرة فائقة على التحركات السريعة المرنة، وعلى الاختيارات الفورية ، والجدارة البالغة ، حتى في الدرجات الدنيا من القيادة ، وعلى امتلاك قواعد تموين ثابتة امينة ومتحركة ، ووسائل اتصال ومخابرة فعالة متقدمة ، وعلى كفاية لا حدود لها في اتخاذ القرارات السريعة المتوجبة الجريئة الحكيمة ، على مستوى القيادة العليا والى اصغر عريف • ولكم توقف بالفعل مجرى معركة كبرى فيما يؤثر عن اكبر القادة والمخططين العسكريين من مثل (فوش) وسواه على تصرفات وردود فعل عريف صغير احيانا في خط النار • وذلك قبل ان يتوقف على ابرع استراتيجية وتاكتيك •

رومل واوكلنيك وموتنغومري وغيرهم ، تركوا في الحرب العالمية الثانية ، دروسا كثيرة فـــي الحروب الصحراوية الحديثة، وامثلة لا تحصى •

انتشر الجيش المصري بقوة وأهبة في سيناء ، للهجوم والقضاء على اسرائيل ، كما يقول اليهود ، استنادا لأوامر عليا ، عثروا عليها مع الاسرى ، ولارهاب اسرائيل فقط ومنع عدوانها، كما بينا في الفصول السابقة ، لان الاجواء السياسية ، ومهما تعجب الكثرة ، لم تكن ملائمة عموما ، لهجوم كبير بهذا الحجم ، يحذرنا من عاقبته الاعداء ، ولا ينصح لنا به الاصدقاء • وكان انتشار جيش من ثمــانين او مائة الف جندي الى ما فوق ، حسب مختلف التقديرات في سيناء ، وعلى حدود النقب ، في الاحوال المذكورة ما دام لن يباشر الهجوم ، ورقة لعبها العدو ضدنا بنجاح ، لما ابتدرنا هو بغتة بالهجوم ، والزمنا بعد ان زجنا على هذه الصورة ، باتخاذ مواقع الدفاع، فـــي أســوأ الظروف ، بالنسبة الينا كمدافعين ، وفي احسنها بالنسبة اليه كمهاجم، فكيف وقد تمكن اولا بضربة غدر تشبه ، ولو مع اكثر من فارق ، ضربة (بيرل هاربور) ، من ان يدمر طيراننا بمعظمه على الارض ، ومن ان يكسب بذلك وحده الحرب ، وكأننا دو نحرب وبنزهة عسكرية ، الا في بعض الاستثناء ؟

كانت القوات المصرية الرئيسية المتحركة في سيناء ،

عشية الخامس من حزيران ١٩٦٧ ، موزعة على مراكزها العسكرية ، بالشكل التالي : قطاع غزة ـ اللواءان الفلسطينيان ١٠٧ و ١٠٨ مشاة . وسيجعلان العدو يتحدث عنهما ، خصوصا في الحرب . رفح ـ اللواءان ١١ و ١٦ الآليان مشاة موقع الشيخ زغيب ـ قيادة الفرقة السابعة . موقع الجرادة ـ اللواء ٥٧ مدفعية . العريش ـ اللواء ١٢١ مشاة أم القطيف ـ الفرقة ٦ المدرعة ـ اللواء ١٢ مشاة . لواء مشاة آلي ـ القصيمة ـ ثلاث فرق مدرعة ـ قيادة الفرقة الثانية ـ لواء المشاة العاشر ـ لواء آلي مدفعية ، كما كان هناك في قصيمة نخل ـ اللواء الاول المدرع ـ واربعة ألوية مشاة . وفي جبل لبني لواء مدرع . وبئر حسانة ـ سبعة الوية مدرعة ـ وقيادة الفرقة الثالثة ـ والوية المشاة ١٤ و١٢٢ و١١٤ و١١٨ ، ثم لواءا مدفعية آليان ، في موقع امليس ـ واربعة الوية مدرعة ، ولواء المشاة ١٢٣ ، واللواء الستون الآلي مدفعية . وفي بئر حسانه النخل ـ اللواء ١٢٥ للمشاة . وفي النخل ـ اللواء الاول مشاة من الفرقة السادسة . واخيرا في قصيمة الكونتيلا ـ القوة الضاربة للواء الشاذلي وقد وصفه العدو ، بأنه من أمهر الضباط ، وتضم لواءا مدرعا ، واللواء الحادي عشر مدفعية ، ولواءا آليا للمدفعية . وهي القوة التي عادت فسحبت الى ام الرشراش (ايليات) ، لما خيل

للقيادة العربية ، بمعلومات خاطئة ولا شك ، زودت بها ان تهديد العدو ، ينصب ، بموجب تحركاته وتنقلاته الوهمية المتقدم ذكرها ، على شرم الشيخ جنوبا • فكان سحبها ، مما سهل للعميد الاسرائيلي (تال) ، بالرغم مـن بعض الصعوبة ، اختراق الجبهة الشمالية بسهولة ، اثناء الهجوم بعدئذ من الشمال المؤلف كله من سهول صحراوية رملية، لا عوائق طبيعية هامة ، علـى الطـرق الرئيسية الوحيدة الثلاث او الاربع فيها ، ولا سكان الا هنا وهناك بعض البدو ، حول بعض واحات النخيل القليلة النادرة ، وبعض القوى الصغيرة المتناثرة ، تقطع ، كلما اقتربنا من قنـاة السويس ، رتابة الصحراء تاركة بذلك في المرحلة الاولى الحاسمة من الحرب ، الجنوب الوعر الاجرد يقرر مصيره الهجوم الرئيسي في الشمال •

يعترف حتى الاعداء للجندي المصري بأنـه مقـاتل شجاع عنيد صبور ، عندما تتوفر له القيادة الصـالحة والتدريب العالي • كان ذلك على ايام الفراعنة ، والدول الاسلامية العربية المتعاقبة ، ومحمد علي • وسيظل كذلك الى آخر الدهر • فهو مهما يقل ابن خلدون وغيره ، في دعته ووداعته ، سليل حضارة كامنة في اعماق نفسه ، وابن صحراء يقظ الحس واللب ، شديد المراس غالبا ، حتى تحت مظاهر اللين • لكن مصر لم تخض بعد محمد علي

حربا . بلى خاضت حرب ١٩٤٨ عند نشوء اسرائيل ، انما في حكم فاروق ، وبأسلحة فاسدة، ومعارك رمزية محدودة، كما خاضت حرب السويس ، فـي ظروف غيـر متكافئة مشهورة ، كان عليها ان تواجه فيها، اساطيل فرنسا وانكلترا الجوية والبحرية ، بالاضافة الى حملتهما البرية ، واسرائيل. فقد حال الاحتلال الانكليزي دائما دون نشوء جيش مصري عصري ، بالمعنى الصحيح . ولـم تكـن الملكية المصرية الخاضعة له ، لتريد هي ايضا نشوء مثل هذا الجيش . فهو خطر عليها . وقد ازدادت بذلك قناعة بعد ثورة (عرابي) . جيش لمظاهر الملك ولحفظ الامن الداخلي عند اللزوم ، هو الجيش الذي يناسبها فـي مطلق الاحـوال ، وينـاسب الاحتلال . الجيش المصري الحديث نشأ مع الثورة التـي خلصت مصر من الملكية ومن الانكليز وفتحت لجيشهـا ابواب التسلح الحقيقي على مصاريعها من الشرق . ولكن تجاربه الحربية اقتصرت الى ما قبل حرب حزيران ، على حرب اليمن ، وعلى بعض النجدات ، لحركـات التحرير الافريقية ، في الكونغو وغيره .

ولربما عد بعض من بحثوا في اسباب هزيمتنا فـي حزيران بين هذه الاسباب، الاسلحة الحديثة. وكنا نمتلكها لاول مرة ، ونغير بها اساليب قتالنا الغربية مبدئيا ، دون ان نكون قد حذقنا بعد ، الاسلوب الروسي الاكثر تمشيا مع

اسلحتنا الجديدة، فلقد ركزنا اكثر مما ينبغي لنا فيما يظهر، على دور المدفعية الكثيفة الثابتة . وهي لا تتطلب كثيرا من الحركة . وكان ذلك على حساب الاعتماد على الحركة السريعة المتغيرة في كل وجهة ، وفق مقتضيات المعركـة العفوية ، في ظروف صحراوية . بل لربما عدوا بين تلك الاسباب نسبة الامية الكبيرة الفاحشة في الجنود ، اذ تبلغ السبعين احيانا ، وصعوبة التجاوب مع الآلة المعقدة فـي هذه الحال ، والمستوى الاجتماعي الشعبي ، ونسبة الثقافة العميقة الواسعة الشاملة المتدنية ، فـي كـل الملاكـات والمستويات ، وغموض اهـداف الحرب شيئا ، وسـوء تقدير آثارها المصيرية ، الا بالحماسة السطحية العارضة . ولكن مما لا شك فيه ، هو ان الغفلة والاهمال قد جعلا كل تلك الاسباب ونحن لا نبررها لنفسنا عندما توجد ، ولا نغتفرها ابدا ، أشد فتكا واقسى عواقب وآثارا . وهمـا لو اتفقا حتى للجيش الصهيوني المنتصر علينـا انتصاره الرخيص اجمالا ، ولأيما جيش اقوى منه بكثير ، لتحطم هو الآخر ، ولو لم يشك من اكثر ما شكونا منه ، من عيوب ونواقص . ولكن من يحاسب في النصر ، ومن يعذر فـي الهزيمة ؟

رابط معظـم الاسطول المصري ايضا ، بأوامر مـن قائده (سليمان عزت) ، وبتأثير هاجس الهجوم من الجنوب،

لا الشمال ، في البحر الاحمر ، بعيدا عن قواعده • فكانت ثلاثة طرادات منه ، وثلاث غواصات ، واربع عشرة باخرة طربيد ، واربع بواخر صواريـخ ، وعشر بواخر انزال ، وعدد من البوارج ، عديمة الاثر في الحرب ، اذ لم يستطع الاسطول بغيابها ، ان يهدد الموانىء الفلسطينية المحتلة على المتوسط ، كحيفا وعكا ويافا ، كما كانت تخشى اسرائيل وتتوقع دائما • لكن الكارثة لم تجيء كلهامع ذلك ، من طيران تمكن العدو من تدميره تقريبا قبل القتال • بل لقد جاءت اكثر من « الاغماءة » التي اعقبت تدميره • وقد كان الاستمرار في القتال ممكنا بما تبقى مـن طيران ، الى ان تعوض الخسارة فيه بسرعة ، وبالجيش وكان وقتها قبل ان يؤمر بالانسحاب ، سليما كما اكـد اكثر مـن باحث عسكري ، من بعد • وكما كان الرئيس عبد الناصر نفسه يعتقد • وذلك بانتظـار تعويض خسارة الطيران بسرعة • وقد ثبتت بعدئذ قدرتنا علـى الاستمرار • شبه الرئيس عبد الناصر الوضع عندها ، بوضع من يصدمه (الترام) وهو في كامل صحته ، فيغمى عليه ، ويفقد وعيه تماما الى حين ، حتى اذا افاق كـان قد مر (الترام) وسار بعيدا • انتابت المشـير عامر واركانه آنذاك « اغمـاءة » يالهـا اغماءة • وقد احـال الرئيس عبد الناصر ، فيما بعـد ، معظمهم للمحاكم العسكرية ، فحكمت عليهم احكاما اعتبرها

الرأي العام سياسية خفيفة جدا ، لم تتعد السجن ، وابدى امتعاضه منها محقا باكثر مـن صورة • واننا لنضع هذه الاغماءة ضمن دائرة سوداء كبرى تستحقها ، لا للحسرة فهي لن تغني عنا شيئا ، وانما لتكون علامة نميز بها دائما ، بين معادن تذوبها في الذرى اول نار ، واخرى لا تذوبها اول نـــار •

كان سلاح الجيش المصري فيما عدا المعدات الخفيفة والمتوسطة العادية ، من رشاشات وبنادق وقنابل وسواها من مختلف الاحجام ، سلاحا ضخما • وقد قدرت اكلافه حتى بالاسعارالسوفياتية، المخفضة الىحدود الاربعينبالمائة، بالمليارى دولار • فهناك من سبعمائة الى ثمانمائة مدفـع ثقيل ، وخصوصا مدفع الميدان الطويـل مم ١٢٢ ومدفع الهاوتزر المشهور ولم يكن قـد ظهر ، حتى في اي عرض عسكري في الاتحـاد السوفياتي ، ويبلـغ مرماه مسافة سبعة عشر كيلومترا ، مـع امكانية الدوران في محور ، بزاوية قائمة كاملة ، من ثلاثمائة وستين درجـة • وهناك اكثر من الف دبابة ومصفحة ، منهـا ستون (ستالين ٣) وهي اقوى من (الساتتوريون) ومائـة (ت ٥٥) ذات مدافع عيار ــ مم ١٠٠ وجهاز كشف وتتبع باشعة ما تحت الحمراء وجهاز اتصال ومخابرة من اكمل الانواع في بابه ، ومائتا مصفحة مضادة ، وخمسون دبابة برمائية (ب ــ ت)

وثلاثون دبابــة (سانتوريون) وعشرون دبابــة فرنسية (ام اكس ١٣) واربعمائة وخمسون (ت) ، وانــواع اخرى متفرقة ، من المدرعات والمصفحات .

ثم يأتي في المقــام الاول قبل كل هــذه الاسلحة ، الطيران ، وكنا نعلم كالعدو ، كما يستدل من اكثر من قول عربي رسمي ومصدر ، انه السلاح الاساسي في كل معركة عندما تنشب . وان أيا مــن الخصمين يتمكن بضربة اولى مفاجئة مــن القضاء علــى طيران خصمه ، يضمن مبدئيا النصر ، لانه يكــون قد حرم بذلك جيشه ، مــن الغطاء الجوي اللازم ، واضطره الى القتال مكشوفا دون حماية ، ولا سيما في حرب تدور فــي الصحراء . كــان الطيران المصري وهو يضم بصورة اجماليــة اربعمايــة وخمسين طائرة ، بحسب المعلومات الدقيقــة المتوفرة عنــه للعدو ، موزعا حتى قبل اربع وعشرين ساعة من اندلاع الحرب ، وباستثناء ستين طائــرة كانت في اليمن ، علــى عدد من المطارات في سيناء ومصر ، ومنها بعض المطارات السرية ، باعداد وتشكيلات عادت فانخفضت نوعا في تلك الساعات القليلة السابقة للهجوم ، بحيطة كانت فعلا في محلها ، اذ انقذت كيفما كان الحال ، عددا منهــا ، قيل ان الرئيس عبد الناصر اشار شخصيا بسحبه الى مطارات خلفية في السودان ، وربما الى داخــل مصر ايضا ، تحسبا لكــل

طارىء • ولعل هذه اللفتة الموفقة ، هي التي سمحت بعد الكارثة مباشرة ، بان لا تخلـو السماء ، حتى في الستة الايام السود الحالكة ، مـن النسور العرب بالمرة • وذلك بالرغم مـن حـرص اسرائيل اثناءهـا ولاسباب اعلامية ونفسية مفهومة ، علـى كتم الامر ، والادعاء بان خسائرها الجوية في الاشتباك مع بقيـة النسور اولئك ، قد كانت بفعل المدافع المضادة فقط • فلا ينبغي ان نذكر بعد الضربة في جو ، ولا ان نجسر على الظهور في سماء •

العريش عاصمة سيناء كان فيها (سرب ميغ ١٧) ، لم يجد طيران العدو منه عند الهجوم ، الا سبع طائرات ، في قاعدة تمادة ، كـان المفروض ان يجـد العدو سرب (ميغ ١٧) لم يجـد منـه سوى ثـلاث طائـرات • بئر الجفجافـة : سرب (ميغ ١٧) ، وسرب آخر (ميغ ١٩) وقد وجد العدو السرب الاول • ولكنه لم يجد الثاني • في قاعدة تمادة ايضا، كان المفروض ان يجد العدو سرب (ميغ ١٩) فلم يجد الا اربـع مطاردات وبعض الطائرات الحوامـة (ميل ٦) • اما في بقيـة القواعد والمطارات ، كفايد وكبريت وابي صوير وانشاص وبني سويف والقاهرة الغربية ومطار القاهرة الدولي ، والقاهرة الماظة ، والدنقلة والغردقة والاقصر ، والمنية والمنصورة وغيرها ، فقد كان فيها من ستة الى ستة عشر سربا ما بين (ميغ ١٧ و١٩ و٢١)

عادي وبقيادة (آلية) و (سوخوي ٧) وقاذفات (تيو ١٦) الضخمة وكانت تخشاها اسرائيل ، خصوصا على مدنها ، وناقلات (ايليوشين ١٤) و (انطونوف ١٢) وبعض اسراب الحوامات المتنوعة • ثم يكمل كل ذلك صاروخا (الظافر) و (القاهر) من صنع مصر ، بمعونة المانية علمية ، وشبكة صواريخ ارض ــ جو (سام ٣) مهمتها حمايــة المواقع العسكرية في سيناء ومدن الضفة الغربية من السويس • وهي مبنية داخل هضبة رملية على بعد خمسة كيلومترات من الطريق الرئيسية المؤدية الى ممر المتلا بالقناة • وقــد كانت هناك ست واربعون شبكة رادار ، منصوبة في كل المواقع الحساسة ايضا ، وفي كل ناحية عدد من المغاوير والمظليين ، ربما بلغ مجموعهم الخمسة عشر فوجا •

ضربوا أولاً المطارات

الفصل الثامن

تقلب الجو السياسي كثيرا حتى عشية الرابع من حزيران ١٩٦٧ • وكانت آخر وابرز تقلباته زيارة يقوم بها السيد زكريا محي الدين ، نائب الرئيس عبد الناصر الى واشنطن ، ردا على زيارة اميركية كانت اميركا قد عرضت ان يقوم بها قبلا كما سبق القول نائب الرئيس جونسون الى القاهرة • وكان مجرد الاعلان عن هذه الزيارة يوحي ، بان الازمة سائرة في طريقها الى التهدئة ، او انها لن تتطور الى اسوأ بالاقل ، بانتظار نتائج تلك الزيارة • ولكن تل ابيب بعد ان انتقل اليها اشكول بحكومته من القدس ، ليكون اقرب فيها الى مقر القيادة العسكرية ، كانت بما حمله لها ابا ايبان عندها من ضوء اخضر من واشنطن ، لا تنتظر هي ، الا حلول ساعة الغدر القريبة المحددة المختارة بعناية بالغة ، ربما مع (كومبيوترات البانتاغون) كذلك ، ولم لا ؟ بل لعلها لم تكن لتهتم مع واشنطن بالزيارة المذكورة ، الا بقدر ما يمكن ان تلهي الانظار ، عما كادتاه لنا معا من كيد •

اشرقت شمس الخامس من حزيران في الساعة

الرابعة وعشر دقائق وهي ساعة اليقظة التامة فيما ظهر ، في المطارات المصرية • فاذا مضت هذه الساعة عادة ، انخفضت نسبة اليقظة ، باقتراب النهار وارتفاع الشمس شيئا فشيئا، وضعفت في الساعة السابعة ، واكثر في السابعة والدقيقة الخامسة والاربعين ، اي في الثامنة والخامسة والاربعين بالتوقيت الصيفي المصري • ففي هـذه الساعة تكـون الدوريات الجويـة المصرية الليلية الصباحية ، قـد اتمت مهماتها ، وانصرف الطيارون غالبا ، الى تنـاول الفطور ونيل قسط من الراحة • ولكن في هـذه الساعة ايضا ، سيكون الهواء ساكنا في المنطقة ، والريح الرملية الهابـة غالبا عند الفجر قد ركدت ، وضباب الصباح قد انقشع ، عن وادي النيل ، واتـاح تبين الاهداف ، دون صعوبة ، ولن تكون الشمس على علو تعكر فيه بضوئها الحـاد ، الرؤية ، وتجعل الطيران المنخفض ، خطرا بالغا فوق اتون الصحراء • سكون الهواء والريح في هذه الساعة ، سيبلغ حدا يجعلنا نجد ، كما وصف (مردخاي هود) قائد الطيران العدو ، الجو وهو يقترحها للهجوم : « اذا القينا بريشة من علو عشرة آلاف متر ، فانهـا تسقط عموديا دون ان تنحرف قيد فتر » •

ولما كانت المصيبة لا تأتي وحدها ابدا ، على ما يقول المثل الفرنسي ، فقد اتفق كل ذلك ، فيما ظهر ايضا ، مع

الغاء حالة التأهب القصوى الدائمة المعمول بها في جميع المطارات ، منــذ ابتداء الازمــة ، حتى صبــاح الخامس المشؤوم من حزيران ايضا • لماذا هذا الاتفاق ؟ وماذا كان مبلغ علم العدو او جهله به ؟ لم يعط لليوم تفسير معقول مسؤول عن الامر • لقد قيــل نقلا حتى عن مسؤولين في « المحاكمات » التي اعقبت الكارثة ، ولم تنشر الى اليوم الا اجزاء غامضة مبتسرة منها ، ان اشارة معينة من عجلون بالاردن كان قد اتفق قبل الحرب على ان يخطر بها لسهولة الرصد فيهــا ، السلاح الجوي المصري ، في حال اغــارة الطائرات الاسرائيلية على مصر فجأة • وقد كان من شأن هذه الاشارة لو وصلت قبل ذلك الالغاء وتغيير (الكود) الذي رافقه ان تمنح السلاح المذكور فرصة نصف ساعــة للاستعداد للتصدي قبــل وصول الطائرات العدوة الــى المطارات المصرية • وهي فرصة ستكون كافية عندئذ فــي رأي الخبراء لان تغير كما نقــل عــن الفريــق الشهيد والجندي الكبير عبد المنعم رياض ايضا «مجرى التاريخ» • ولقد قيل بين ما قيل في تفسير ذلك التغيير نفسه وهو لا يقل عنه هولا ، ان طائــرة المشير عبد الحكيم عامر وكان يتفقد في ذلك الصباح ، بعض قواعد الطيران ، قد قضت سلامتها بأن يخلو لها الجو ، فلا تتعرض لسوء ، ربما تجم من تواجد دورياتنا فيه بكثرة ، واحتمال اعتبارها بغلطــة

وسوء تقدير ، طائرة مشبوهة • فهل يمكن ان يكون كل هذا الذي قيل عن التغيير وتفسير التغيير الذي اضاع فرصة اشارة عجلون شيئا معقولا مسؤولا ؟ لا نظن • ولو هو كان ، لكان الامر قطعا ، محيرا مريبا مطيرا للصواب • ولكانت افجع منه كذلك سهرة محمود صدقي قائد الطيران في انشاص لضباط الطيران احتفالا (بعيد النصر) وقد شغلت وقتها ، فيما يبدو ، بدعواتها وواجباتها وطيبات (جروبي) الغالية جدا فيها ، عن غيرها •

اقلع وكأنما تفجر من مختلف ارجاء السماء ، كل ما يطير ويضرب ، عند اسرائيل تقريبا ، بل مع ما ليس عندها كذلك على ما سنتبين فيما بعد ، في غارات مفاجئة على المطارات المصرية في الساعة السابعة وعشر دقائق ، صباح يوم الاثنين في الخامس من حزيران ١٩٦٧ ، مفيدا من الطقس والجو والوقت والغفلة وكل شيء • لم تحتفظ اسرائيل على قولها لحماية سمائها في ذلك اليوم ، الا باربع طائرات من سلاحها الجوي • وانه لعدد يدعو بنفسه للشك فيه ، الا اذا افترضنا معه مظلة اميركية قريبة في الاسطول السادس ، جاهزة لحمايتها ، كما كان الحال ، في مظلة حرب السويس الفرنسية • وكان من جملة الأوامر التي زود بها (هود) طياريه ، امعانا في الحيطة والحذر ، وحرصا على ضمان نجاح الامر المدبر بليل ، هذا الامر

بالذات : « زوايا اقترابكم خذوها في جهات الريح الاربع • ان لكم بثلاثمائة وستين درجة ، ثلاثة ابعاد ، فأفيدوا من ذلك » • وهكذا كانت الطائرات عندما تقترب مثلا ، بموجب هذا الامر ، من مطار القاهرة ، لا تلبث ان تتحول عنه بدورة كبيرة تدورها ، لتعود اليه من البحر ، باتجاه شمالي شرقي ، ولتضرب غربا في العمق ، متفادية بذلك ، شبكات الرادار المصرية • فهي ستؤخذ حتى في حال اكتشافها ، وكأنها طائرات تجارية عادية ، تطير على علو منخفض جدا ، او انها حتى بعجلات الهبوط التي تنزلها ، وتخفف بها سرعتها ، وتزعم اسرائيل انها ربما كانت اول من علم العالم كله تقريبا هذه الوسيلة ، لتخفيف السرعة ولاحكام الرماية مع السرعة ، على وشك الهبوط فعلا في مطاراتها • انها مسألة شمال اتوا منه ، وجنوب لم يأتوا منه ، وشرق وغرب نلتقي بها دائما ، وقد وجد فيها الشامتون مجالا للتندر ، بينما لم تكن الا الحقيقة السوداء بعينيها •

انطلقت اسراب قاذفات (الفوتور) الفرنسية الصنع اربعة اربعة ، بقنابلها تحت اجنحتها ، وبعضها في قول ، مزود باجهزة لأشعة ما تحت الحمراء الجاذبة ، وبعضها مشدود الى مظلات تزيد في عموديته ، كما يحمل بعضها الآخر ، جهازي انفجار ، احدهما موقوت استعمله

البريطانيون في المانيا في الحرب العالمية الثانيـة ، وطوره اليهود وميزته انه يعمق ما احدث الانفجـار الاول مـن فجوات افقية . لم تنبه اليها بالراديو حتى ابراج المراقبـة الاسرائيلية . فالصمت المطبق كان بين ما تلقته من اوامر . بل كان الصمت قبل ذلك ، امرا مفروضا مـن يومين على الجيش الاسرائيلي كله . فلا تعطى له باللاسلكي اية اوامر . تعطى الاوامر بتلفونات الميدان القديمة او يطاف بها على من يلزم ، بالحوامة (والجيب) ، وتسلم باليـد . فالعدو يحاذر ان يلفت محطات استماعنا اينما كانت ، الى ما يصنع، ويقدر بحق اننا لم تكن لنا الآذان التي لا تغني اية محطات استماع الكترونية عنها ، لتسمع صمته ، حتى عندما يكون ضجة كهـذه . ثـم ان للروس والبريطانيين فـي قبرص وحواليها وللاميركيين ولهؤلاء الآخرين ولا نحسب انهم لم يكونوا في صميم السر ، تحشرهم اسرائيـل هنا حشرا بالطبع ، شهادة لا تشهد ، سوامع هائلة منصوبة قريبة جدا، قد يخلن اكثر من خيل المتنبي الشعرية العجيبة ، مناجاة الضمير في هذه الحال ، تناديا للقتال . فهم في اكثر مـن باخرة تجسس و (ليبرتي) يجوبون البحر ، على اقل من الف ميل في كل صوب واتجاه . وتخشى اسرائيل ، فيما تقول ، ان يحسوا بها قبل ان تكـون قد نفذت كيدها ، ويفوتوا عليهـا الفرصة ، كما فعلـوا سابقا فـي حرب

السويس . ونكرر انهـا تقصد الروس وانذارهم ، ولا تتحدث عن الباقين ، الا من قبيل التضليل . اقتربت طائرات العدو المغيرة من اهدافها . كانت تطير في ساعـة الهجوم غير المنتظرة ، وكان يجب ان تنتظر اكثر من سواها ، لانها غير منتظرة ، علـى ارتفـاع يتراوح بين المائة والخمسين والمائتي متر فوق كثبان سيناء الرملية ، وتكاد تلامسها دونما عوائق . كانت اهدافها المحددة في الموجات الاولى ، ارض المطارات المصريـة اولا ، لا الطائرات . فاذا هي خربت مدارج الاقـلاع والهبوط ، سمرت طائراتنا في اماكنها ، موكلة مهمة تدميرها فيما بعد ، لموجات لاحقة ، تدمرهـا عندئذ ، وكأنها نسور في اقفاص ، عاجـزة عن ان تفرد الجناح ، للدفاع عن نفسها ، الا نادرا وبمعجزة .

لقد درب العدو منذ زمن بعيـد طياريه على اصابة اهدافهم بدقة متناهية ، على مثل هذه المدارج والمهابط ، ولا يتجاوز عرضها احيانا العشرة الامتار . بل انه كان قد اعتمد منذ زمن هذه الساعة السابعـة والدقيقة الخامسة والاربعين بتوقيته ، موعـدا روتينيا لتمارينهـم العاديـة المألوفة . فهم يقومون كل يوم بمثلها في هـذا الوقت . يوم آخر اذن من الايام ، يجب ان لا يثير في الظاهر ريبة، اكثر من غيره ، لولا ان هذه التمارين تطورت كثـيرا في ذلك اليوم ، وخرجت عن كـل حدود ، وجعلت الطائرات

العدوة المحلقة علــى انخفاض بالغ ، تمر فــوق شوارع القاهرة ، فيحسبها بعض المارة ، اول وهلــة ، بالرغم من شــعار « نجمة داود » طائراتهــم ، فيحيونها بالأيدي ، ولتستغرب ما نشاء ، بحماسة وود .

كانت قاذفات (الفوتور) تحملها (الميراج ٣) تصول اربع صولات متوالية على اهدافها ، لتفرغ فوقها قنابلها بالتعاقب . ولكنها بعد المرة الاولى ، اخذت تواجه قذائف مدفعية دفاعنا الجوي الارضي وقد صحت من المفاجأة ولو متأخرة ، وهبت تصليها نيرانها الحاميــة بغزارة . يصف اليهود مشنعين تلك المدفعية بعدم الدقة . ولكنهم سرعان ما ينسون ، فيعترفون مع ذلك ، بان نصف طائراتهم اصيب بنيرانها بشكل او بآخر ، ويذكرون على مضض بان قاذفة (فوتور) لهم واحدة وحيدة فقط انفجرت في الجو ، وان ملاحها قفز منهــا بالمظلة فــوق (هليو بوليس) ، فقضى عليه الجمهور الغاضب الخارج طبعا عن طوره ، تجاه كل هذا الغدر ، قبــل ان تدركه ايد مسؤولــة تأسره . فاما الطائرات المصابة وان لم تنفجر كلها في اجواء مصر ، وهي باعترافهم نصف طائراتهم ، فلا يقولون عن خسائرهم فيها شيئا .

انتهت فــي الساعــة السابعــة والدقيقــة الخامسة والخمسين الغارة الاولى . وعــادت اسراب (الفوتور)

الرباعية تحرسها ساحليا (الميراج ٣) المستهدية بالزوارق المبثوثة في البحر صوى ومعالم ، سالمة او مصابة بشكل او بآخر الى قواعدها ، في اسرائيل . استغرقت غارتها ذهابا وايابا ومرورا اربع مرات بالاهداف اقل من ساعة . عطلت عشرة مطارات رئيسية ، او بالاصح عشرة مدارج انطلاق في مطارات ظلت طائراتنا الجاثمة عليهـــا تتنزى غيظا في خرائبها ولظى جحيمها ، وتحاول غالبا وعبثا ، الانطـلاق منها للتصدي للعدو فـــي مجالها وهو السماء لا الارض . كانت تلك المطارات العشرة ، هي اهداف العدو المحددة لهذه الغارة الاولى في جبل لبنى ، وبئر الجفجافـــة وبئر ثمادة في سيناء ، وابي صويـــر وكبريت وانشاص وبني سويف وفايد ، والقاهرة الغربية في الضفة الافريقيـــة . العريش استثنى مطارها وحده من التدمير الكامل ، بقصد استخدام العدو له في الايام التالية ، اذا سار كل شيء وفق الخطة الموضوعة ، ونجح الهجوم بأكمله ، في كـــل الميادين .

كان (هود) قد تلقى من طائراته المغيرة قبل الساعة الثامنة بقليل الاشارة السرية المتفق عليها ، اذا ما اصبحت الطائرات فوق الاهداف ، وكانت هذه الكلمة « وصلنا » ، ثم بعض المعلومات الاولية عن مدى نجاح الغارة الاولى . ولم يشأ مع ذلك ان ينقل النتائج الى العميد (رابين) ،

وكان الى جانبه ، لا يبارحه في قيـادة الطيران الاسرائيلية العامة . اكتفى باظهار الارتياح مما تلقاه ، دون الدخول في التفاصيل . ولكن (رابين) وكانت السيجارة لا تفارق شفتيه قلقا ، سأله ملحا متعطشا « واذن » ؟ « انـه فوز ولكن .. » و « لكن ماذا » ؟ « اني استمهلك نصف ساعة ايضا ، ليصبح بوسعي ان اقدم لك ارقاما » . ولم يكـن (هود) ليجهل في تلك الساعة الارقام فيستمهل ليقدمها . ولكنه كـان ينتظر توفر الادلة المحسوسة علـى ارقامه . فهو يخشى نظرا لضخامتها ، ان لا يصدقهـا (رابين) . واعطى (هود) بعد ذلك بالفعل اوامره الفوريـة لبعض طائرات الغارة الثانية ، وهي فـي معظمها طائرات الغارة الاولى نفسها ، بان تحمل على متنها آلات تصوير آليـة بعد ان تتخفف مـن بعض قنابلها (جو ـ جو) الخاصة بالاشتباكات الجوية ، لتستبدل بها قذائف (الروكيت) ، وذلك لتحمل له الكاميرات ، الادلة المصورة علـى صحة ما في يده من ارقام مثيرة ، عن نجاح الغارة الناجحة كل هذا النجاح . ثم ليمكن طائراته من الانصراف كليا لضرب الاهداف الارضية . هـل كانت مقـامرة عنفوان وخطر وعزم ، لا تخلو مـن فروسية ، كما حلا للصهيوني الطيار الايطالي المنشأ ان يسميها فـي نشوة النصر ؟ وماذا لـو اضطرت الطائـرات العـدوة ، وهي لا تحمـل سوى

(الروكيت) ، الى خوض معركة جوية حقيقية ؟ بل ايـن المقامرة والخطر والفروسية ، وقد أمن العدو بعد ما كان من تدمير مطاراتنا الرئيسية ، وتجميد طائراتنا عليها ، دون حراك ، كل خطر ؟ لا يجب ان نكون هنا شعراء ، فنتخيل ان الانتصار دون خطر ليس انتصارا ، او انه انتصار دون مجد . فذلك لا سيما مع مثل هذا العدو ، كلام ابي طيب مثلا و (كورناي) . ولكن ان نضع هذا الانتصار ، وهو الانتصار الاعظم يسجله العدو علينا ، ويفتح به ابواب كل انتصاراته الاخرى اللاحقة ، في اطاره الواقعي الصحيح فقط . ثم ان لا نغفل معه ، ان كان لا بد مـن قول كل شيء ، بان المقامرة الحقيقية المنطوية فعلا على عظمة البطولة الشاعرية الساخرة بكل خطر في موقف لا يشك في الموت فيه واقف ، هو مقامرة ، تلك الطائرات العربية المصريـة القليلة استطاعت في ظروف انطلاق تكاد تكـون حينئذ مستحيلة ، ان تأخذ نفسها ، وهي لو لم تأخذها حتى لهذه الدرجة ، لظلت وسط هالة البطولات ايضا ، بمجابهة عدو يملأ الجو ويحيط بها في كل طريق ، ولا تبالي .

نتقل بالحرف ودون تعليق من تقارير العدو عن سير القتال في ذلك اليوم : « شاهد صموئيل » مـن طائرته (السوبر ميستير) فوق مطـار ابي صوير ، وكان خاليا ومحفورا ، وغير صالح ابدا للاستخدام. طائرة (ميغ ٢١)،

الى اليمين • اعلن صموئيل ذلك لرئيسه ورفيقه في سوبر ميستير ثانية تطير معـه • طاردت طائرتا السوبر ميستير طائرة الميغ • اسقطت الرقم واحد ، الميغ ، بزخة واحدة • (ميغ ٢١) اخرى تطير منخفضة اكثر • اقترب صموئيل • لم تر (الميغ) المطاردتين الاسرائيليتين • اطلـق صموئيل النار • في هذه اللحظة فقط شعر طيار (الميغ) بوجودهما، واتخذ وضع القتال • ناور (صموئيل) عشرات الثواني ، ليكون وراء (الميغ) ، على بعد ثلاثمائة مترا تقريبا • اطلق زختين قصيرتين • ذيل الميغ اشتعل ، هوت الميغ وتحطمت التفت صموئيل ، وقد مر بغيمة الانفجار ، ليرى اذا ما كان قد اصيب ببعض الشظايا • كان قد اصيب • ولكنه رأى ايضا طائرتي ميغ اخريين خلفـه • ارتـد شمالا وطارد احداهما • سمع رئيسه في (السوبر ميستير) الثانية ، وقد كاد ينفد منه الوقود يقول : « اني عائد » • (صموئيل) كذلك لم يبق معه كثير من الوقود • قصر مع ذلك المسافة الفاصلة بينه وبين الميغ الى اربعماية متر ، واتخذ وضعا غير مثالي ، للاطلاق • لم يكن لصموئيل خيار • ضغط علـى الزر • لا شيء لقد نفدت الذخيرة • عـاد عندئذ ادراجه الى قاعدته ، باقصى سرعته » •

هناك غير هذا كثير مما يمكن ان ننقله عن جوناتان تصاب طائرته (الميراج) وتسقط دون ان يقـال لنا بماذا

قرب السويس ، فيقفز منها بالمظلة وينجو ، بالرغم من كل مطاردة . وعن (رافي) تحترق طائرته (الاوراجان) هو ايضا في الجو ويجرح في ذراعه وفخذه الايسر . ولكنه يقفز مع ذلك بالمظلة ، وتخلصه بعد مطاردة مثيرة ، حوامة اسرائيلية ، وعن غيرهما . فما اكثر ابطال الطيران الاسرائيليين في تلك الظروف بالطبع . لكن ما ابلغ قبل كل شيء صمتهم عن اي ابطال جو عرب ، يمكن ان يكونوا قد التقوهم ، في ذلك اليوم ؟.

ثم ضربوا الطائرات

الفصل التاسع

مضى العدو في غاراته الجوية ، ضاربا حديده حاميا، مستغلا للمفاجأة وما حالفها من التوفيق العظيم . بيد ان اهدافه هذه المرة ، كانت طائرات عاجزة غالبا عن الطيران ، لا مطارات تحولت مدارجها الى براكـين ، تقذف وكأنها افواه الجحيم النار والدخان . الوقت يمر له برقا خاطفا ويمر لنا سلحفاة . فالدقائق والثواني ، يجب ان تكرس انتصاره ، والدقائق والثواني لا حساب لها في هزيمتنا . لم يعد الامر بعد الغارة الاولى ، مفاجأة تامة لنـا كلنا . ولكن فرضه علينا بعد ان صحونا نوعا ، قد ظل يفعل فعل المفاجأة وادهى قطعا ، لا في مطاراتنا المدمرة فقط ، بل في اكثر تلك التي كانت لم تهاجم بعد . عرفنا ان قـد كانت مفاجأة . ولكن سرعة البت والتقرير ، ومواجهة الظروف الطارئة حيالها ، على المستويات القيادية العليا والمحليـة خصوصا ، قـد اعوزتنا كثيرا . وما تصنع كـل النسور والصقور ، بعد ان غدت فرائس للغربان ؟.

لا تعفي اية مفاجأة ، ولا عجز طبعا ، من كل تبعة ، ما زالت لم تحدد بجلاء . ولا بـد ان تحدد يوما ، دون

اي اعتبار ، الا للحقيقة المجردة وحدها . فالطائرات وكل ما خسرناه اجمالا في الحرب دون حرب من سلاح ، او ذهب من ثمة غنيمة باردة للعدو ، لم يجمعه الشعب من عرض الطريق ، ولا ساعد الاصدقاء على توفيره ، ليخسر ويغنم على هذه الصورة المخزية . بل لا بد باتنظار ذلك ايضا من الافادة ، بالمتيسر منه الان ، دروسا في المسؤولية وجبالها ، وفي عجز لا مبرر له الى هذه الدرجة ، ولو في ظروفه . واول واثمن هذه الدروس ، هو اننا قد ضفرنا نحن للعدو بايدينا ، كل هذا الغار ، لاننا فوجئنا وعجزنا حيث لم يفاجأ ولم يعجز . ثم لم نستيقظ وقتها كذلك بالسرعة المطلوبة . بعبارة ثانية نستعيرها بمرارة ، حتى قولا مشهورا لابن غوريون لا سواه ، في العدو وفينا : « نحن لم نهزم العرب ولا مرة . العرب هم انهزموا امامنا كل مرة » .

ولعل غارة العدو الجوية الثانية في الخامس من حزيران ، على مطارات الاقصر ، والنيل الاعلى ، ورأس باناس ، وعلى البحر الاحمر ، تستدعي ان تتوقف عندها طويلا ايضا . فهذه المطارات تبعد حوالى الالف كيلومتر عن القواعد الاسرائيلية ، والاغارة عليها تستهلك ذهابا وايابا ، حوالى التسعين بالمائة من وقود الطائرات العدوة المغيرة . كيف ظلت تجهل ما حدث ، الى ان ضربت بدورها؟

ثم لماذا فوجئت ، فلم تستطع الدفاع عن نفسها الدفـاع المتوجب ؟ هل كان البعد عذرا مقبولا للجهل وعدم توفر وسائل الدفاع الفعالة ، وربما كان يظن ، انها غير ضرورية لها في اوضاعها ، فلم تزود بها عمدا ، فاصابها ما اصابها ؟ ام لا فقد كانت هناك وسائل دفاع ، ولكـن وقتنا كان قد ظل سلحفاة ابطأت في استخدامها وتأخرت ؟ مهما يكـن فقد كان تدمير هذه المطارات البعيـدة من صلب الخطة الاسرائيلية • فمطار الاقصر منذ ازمة مضايق (تيران) ، وتوقع هجوم اسرائيلي على خليج العقبة لفتحهـا ، كان قاعدة هامة لقاذفات (توبولوف ١٦) ، و (ايليوشين ٢٨) المصرية الموزعة في بني سويف والمنية والغردقة • ورأس باناس هو كذلك قاعدة مصرية هامة حديثـة ، شيدت في وسط الطريق ، بين اليمن والقاهـرة • وباستطاعة مصر استخدامه في كل وقت ، كمطار نجدة عاجلـة ، تسحب عبره جيشها العامل في اليمن او تعززه ، كما ان تدميـره واقفال طرق الجنوب ، سيحفظان لاسرائيل تفوقها الجوي في سيناء •

ان احتمـالا قويا مرجحا بقيـام طائرات اميركيـة وبريطانية لم نرها ، بضرب مطارات الاقصر والنيل الاعلى ورأس باناس يومها ، باسم اسرائيل ، لا يبرر غفلة غافل ، ولا تقصير مقصر • ولكنه ليس فيما يزعم الصهيونيون في

الوقت ذاته ، كذبة خالصة لفقتها الدعاوة العربية من كل كذبة . لا نملك الى الان دليلا ثابتا على الشيء ، اكثر من اعترافات بعض الطيارين الاسرى ، ولا سيما الطيار الاسرائيلي المأسور في سوريا (افراهام فيلان) وقد استند اليها ، الرئيس عبد الناصر ، بعد اسر هذا الطيار في مطار (الضمير) في محادثة تلفونية له من القاهرة ، مع الملك حسين في عمان ، عن الموضوع ، والا بعض القرائن المحيرة الاخرى عنه ، كوجود حاملة طائرات بريطانية راسية في البحر الاحمر ، واقلاع اربع قطع حربية بحرية اميركية يومها بسرعة من قبرص ، باتجاه الشواطىء العربية . ولكن هل يملك اليهود هم دليلا مقنعا واحدا على ان الاميركيين والبريطانيين لم يمدوهم بطائرات حقيقية لا مجازية فقط ، وان لم نرها ، وطيارين حاربوا معهم وعنهم ، و (ليبرتي) على ما سنرى في حينه ، ليحققوا في الخامس من حزيران انتصارهم الجوي الكبير علينا ، في كل الجهات ؟

قبل الحرب كانت القيادة المصرية تقدر وتقرها على ذلك الدوائر العلمية المختصة في الخارج ، ان ليس بوسع اسرائيل مهاجمة مصر في حالة الحرب ، باكثر من مائتي طائرة من اصل سلاحها الجوي المعروف المقدر مبدئيا في مجموعه ، بحوالي ثلاثمائة طائرة ، او باربعمائة وخمسين عند البعض . لنصدق ان اسرائيل غامرت ، كما سلف

القول ، يوم الخامس من حزيران ، بكل سلاحها الجوي ، ما عدا اربع طائرات منه ، او في روايــة اخرى بعشر او اثنتي عشرة طائرة ، احتفظت بها لحماية اجوائها ، معتمدة على فعالية دفاعها الجوي ، وعلى طائراتها المغيرة ، تعود عندئذ بسرعة للدفاع عنها • فمن اين جاءت يومها بما قدره المراقبون العارفون بعدئذ ، بهذه الخمسمائة طائرة تهاجم بها بالاقل مصر وحدها ، في كل مطار قريب او بعيد ، وعلى كل طريق تحركت عليها جيوشها ؟ قالوا الطائرة الواحدة لأكثر من طيار ، كما سبق وصدقنا ايضا ، بل وكما اثنينا واعجبنا ، ولكن ايا كان عدد طياري الطائرة الواحدة ، فمن يقول بان هذه الطائرة الواحدة ، يمكن ان تظل عاملة في الجو كل الوقت ، فلا تحتاج الى بعض الصيانة ، ولو بعد اصابة نصفها ، كما تقدم ، وبأنها قــد تمكنت في حوالي الثلاث الساعات فقط ، من تغطية كل المطارات المصرية ، ثم السورية والاردنية وبعض العراقية ، وتدميرها ، والقضاء على كل ما فيها من طائرات ؟

ضرب مطار الاقصر بالذات في الخامس من حزيران يعزز اكثر من شك حــول الطائرات والطيارين الاميركيين والبريطانيين ، اذ لم يقم للآن دليل جدي محسوس ، على انهم لم يخطفوا الجناح ، في غفلة من كل رقيب ، وبخدعة ما ، جازت حتى على الصديق الروسي واقماره الصناعية ،

ومختلف آذانه وعيونه في البحر الاحمر وقبرص ومالطة ، ولا يظهر ان كل حاملات الطائرات البريطانية كانت راسية فيها ، لعمل نذل كهذا ، يتم كأنما بطرفة عـين ، ولا يبدأ من الاسطول السادس او قبرص او مـن نقطة في البحر الاحمر ، حتى ينتهي دون بصمات ظاهرة . فقد كان اشتراك الاميركيين خصوصا في الحرب يومها بشعارات اسرائيل ، شيئا شبيها بتلك الاجرام السماوية تكتشف ويهتدى اليها بالفرض والحساب ، قبل النظر والرؤية . وحتى لو قبض في اسوأ الفروض يومئذ ، على المجرمين بالجرم المشهود ، افلم يكـن فـي الاسلحة الواحـدة تستعملها اسرائيـل واصدقاؤهـا ، وفي « المرتزقة » و « المتطوعين » مـن اميركيين وبريطانيين ، وفدوا مـع غيرهم من الاوروبيين الصهيونيين قبل ذلك « سياحا ويهود » يسمح لهم بحمل جنسيتين في آن واحد ، وبالعمـل لفترة باجازات في غير جيوش بلادهم ، وبينهم باعترافات اميركية حديثـة نقلتها اخيرا وكالات الانباء العالمية ، قرابة مائتي طيار اميركي بل اكثر ؟ ألم يكن في كل هذا الضباب ما يكفل تمويه الامر وتعميته ، ثم كيفما كان غسل الايدي القذرة منه ؟

طائرتا (فوتور) اسرائيليتان ، كلفتا بضرب الاقصر . المقدم الطيار (شلوموكيرين) كان يقود الغارة ، حددت له اربع دقائق معدودات فقط ، للضرب . واشترط لنجاحـه

ان لا يرتكب وهو يقطع مسافة الالف كيلومتر المقررة لمهمته الانتحارية ، والنعت لليهود انفسهم اي خطأ مهما يكن طفيفا ، وان لا تعترضه مطاردات مصرية ، في اي مكان ايضا • في الساعة التاسعة وعشر دقائق من صباح الخامس من حزيران كان (شلومو) فوق الاقصر • دمر اذن في جولتين ، اثنتي عشرة طائرة (توبولوف ١٦) مصرية ضخمة ، و (ايليوشين ٢٨) • وعاد بآخر قطرات وقوده سالما ، محمر العينين من السهر ليلة الغارة والتأهب الدائم، ومن حرارة شمس الجنوب فقط • ولكنه ليس منهكا لدرجة تمنعه من ان يذهب لتوه ، في مهمة انتحارية ثانية في العراق ، كان سيؤديها كذلك ، بنجاح ، ويدمر بها محطة (ش ٣) ، لو لم تصب طائرته ، وتسقط بعد ساعة في سوريا • لا نريد ان نغمط الطيار الصهيوني العدو ، حقه او ننكر مهارته • ولكن ضرب الاقصر والنيل الاعلى ورأس باناس ، وغيرها من المطارات المصرية البعيدة ، ناهينا بكل المطارات المصرية معا ، والسورية والاردنية والعراقية، بهذه السرعة والكثرة ، ولو بطيارين مثل (شالومو) و (صموئيل) و (رافي) ، وبالطائرة الواحدة تظل في الجو ، ولا تتعطل لحظة ، ولو اصيبت احيانا نصف اصابة، سيظل موضع تساؤل ، ننتظر ان تجيب عنه يوما محفوظات (الباتاغون) و (داوننغ ستريت) ، او اية مذكرات واعترافات صادقة مطلعة امينة •

بعد الغارتين الناجحتين كل هذا النجاح ، الاولى على مدارج المطارات ، والثانية على الطائرات ، انصرف كل الطيران خصوصا ، لضرب المواقع العسكرية ، ومحطات الرادار ، وقوافل الدبابات والمصفحات ، وكانت قد تحركت، للاشتباك بالعدو المتقدم برا ، على طول الجبهة • تمت لاسرائيل في هاتين الغارتين السيطرة الجوية ، ثم ترسخت وتأكدت واعطت كل ثمارها ، بألف غارة ، اتصلت لمدة ثلاثين ساعة ، على بقية الاهداف العسكرية المختلفة •

وبلغت خسائرنا بالطيران على الجبهة المصرية وحدها ، في تلك الغارات مجتمعة ، فيما يبدو ، حوالي الثلاثمائة طائرة او ربما اكثر او اقل بقليل ، بينما اقتصرت خسائر العدو ، على ست وعشرين طائرة ، وعشرين طيارا ، كما قال ايضا في مبالغة وتكتم مألوفين طبعا في الحرب ، حيث لا تعد الطائرة عادة ، معطوبة ومحترقة ، الا اذا اعطبت واحترقت على ارض الخصم ، ووقعت بيده حطاما • وكذلك الطيار وكل عتاد حربي وقتلى ومصابين • فقد اشتهرت اسرائيل اكثر من سواها ، بالحرص لاغراض اعلامية ونفسية على التقليل من خسائرها ، لتكبر وهي الصغيرة جدا ، وتضخم في عين نفسها وعين الغير ، ولتحطم بذلك معنوياتنا وتصغرنا في كل عين ، ونحن الاكبر بكثير وتؤيسنا من قدرتنا على منازلتها ، وتملأنا منها رعبا •

ظل اسحاق رابين القائد العـام للجيش الاسرائيلي ينتظر يومها في قيادة الطيران بقرب (هود) قائده ويدخن كما تركناه باستمرار وقلق ظاهر مكتوم ، حتى عادت اوائل طائرات الغارة الثانية ، بالصور المفصلة عن نجاح الغارتين، وعندها وكانت لم تمر على الحرب الا ساعة وثلث الساعة ، استطاع (هود) ان يبشره متهللا مزهوا : « انتهينا وها اني انقل كل شيء ، للمساندة على الارض » • وهنا صاح رابين ، وكأن الدنيا لم تعد لتسعه : « الان لا يمكن لشيء ان يوقفنا » •

وخلافا لكل اخبار السوء التي تنتشر عـادة بسرعة فائقة ، فقد تأخرت معرفة النبأ المحزن في حينه • ولم تقدر نتائجه ، حتى بعد ان اخذ يتسرب شيئا فشيئا على حقيقته، الا في اوساط عربية ودولية محصورة • الرئيس عبد الناصر نفسه ، لم يطلع على مدى النكبة ، الا متأخرا • لماذا لم يطلعوه ؟ هذا ايضا ما زال في اكثر من جانب ، سرا مـن الاسرار ، لا يفسره حرصهم على تفادي ازعاج الرئيس ، وتركه يستقبل السفراء والزوار في ذلك اليوم ، وكأن لم تحل نكبة • اهو الجهل والخوف من ان يفرط عليهم ؟ وما الفرق بينهما في هذا المقام ، وبين خيانة اطلت بعدئذ برأسها فـي انسحاب كـان اسوأ انسحاب ؟ ساعدت اسرائيـل ولا شك بكل وسعها علـى كتم خبر انتصارها الجـوي

الهائل ، اطول مدة ممكنة ، حتى عن الجمهور الاسرائيلي ، خوفا من اي تدخل دولي يقفها ، او تعويض سريع يأتي في وقته ، عن الخسائر ، فيقلب الموازين قبل ان تختل نهائيا ، او يتيح على الاقل ، اعادة نظر عربية سريعة ، في الخطط والمواقف تسمح بالتقاط الانفـاس ، وتمكن من سلامـة التقرير والتقديـر والتغيير ، على ضوء الواقـع الجديد المفاجىء . ولكن ألم نساعد اسرائيل نحـن ايضا ، بهذه المداراة والمراعاة ، وهذا الجهل او الخوف ، او ما نشاء ، على كتمان ما كتمت يومئذ لحاجاتها ؟ لـم تنفك اسرائيل تعلن في صبـاح الخامس مـن حزيران قبل النصر وبعده بكثير ، اننا هاجمناها وباشرنا غزوها ، وان قواتها تجابه قواتنا جوا وبرا لصدها ودحرها فقط . ولم ننفك نعلن في معظم عواصمنا العربية ، نقلا عـن القاهرة ، ان اسرائيل هاجمتنا وغزتنا ، واننا جابهناها بقوة ، وانزلنا بها خسائر فادحة في الجبهة المصرية ، فأسقطنا لها عشرات الطائرات ، وعطلنا واحرقنا مثلها واكثر من الدبابات ، واسرنا وصرعنا المئات ، وان ساعة العمل قد دقت لنا جميعا ، للقضاء على دولة الصهاينة ، وتحرير فلسطين . ولم تكن اسرائيل ولم نكن نحن معها ، لنقول الحقيقة . وهي غير ما تقول ونقول. وكان ذلك يفيدها ويضرنا كثيرا .

كان القصر الجمهوري اللبناني في سن الفيل ، بين

اوائل من اطلع من المراكز الرسمية والشعبية العربية القليلة، وربما الاجنبية ، على الحقيقة الفاجعة يوم الخامس من حزيران • فلقد حمل اليه النبأ الصاعق قبل الظهر • شعر القصر بهول الضربة ، وجمدت دموع كبرياء وعزة ، في اكثر من مقلة • ولكن اين الخيل او المال ، بل اين سوى (التلفون العربي) للاعراب للقاهرة عن بالغ التأثر ؟ فكلنا عرب • وانها لدماؤنا الواحدة ، لغة وحضارة ونفسا ، ولو لمفتون لا يراها بالاقل دما واصلا ، وقضيتنا الواحدة بالرغم من كل قشور وسياسة واوهام ، تغلفها احيانا في بعض الضمائر والعقول ، فتباعد بها بين اخوة كانوا اخوة ، قبل كل رأي ومعتقد ، ويجب ان يظلوا اخوة ، مهما يختلفوا رأيا ومذاهب فكر ، حول امور تتغير كلها وتزول في النهاية ، ويبقى ان لم يكن دمهم العربي الواحد ، فمصالحهم الواحدة وقضيتهم العربية الواحدة بما تمثل مع الماضي العريق من مستقبل واحد ، ومصير •

لكن جماعة في القصر الجمهوري اللبناني استكبروا في ردة فعل طبيعية ايضا ، ان يحسم طيران العدو بسرعة البرق ، ولمصلحة اسرائيل ، امر تلك الحرب مبدئيا ، وان يسلموا بان كل الامال المعقودة على قوتنا العربية الكبرى المعدة لمثل ذلك اليوم ، قد انهارت هكذا دفعة واحدة • فهم ولو صدقوا الخبر الاسود ، لا يصدقونه على علاته •

ولا بد عندهم من ان هناك خطأ ما ، في النقـل والتصور والتقدير • بل لقد انتظر بعضهم في ثـورة تفاؤل ورفض مؤثرة فزعوا بآمالهم فيها الى الكذب ، على قول الشاعر وكانت انباء التقدم الاسرائيلي برا في سيناء ، ترد كذلك تباعا ، ان لا يكون السكوت عن الضربة الجوية المبالغ بها الى الان ، وعن الهجـوم الاسرائيلي يستتبعها ، الا فخا استدرجنا به العدو بعيدا عن قواعده لسحقه بهجوم مضاد وشيك ، لن نلبث ان نسمع عنه ونفرح به • وكـان ممن استطاعوا ان يتجاوزوا انفعالهم واضطرابهم يومها ، ليفكر في مجرى آخر للحدث ، احد العسكريين الشباب اذ علق : « لو اننا ضربنا نحن الضربة ، واتبعناها بهذا الهجـوم ، لتحققت الوحدة العربية » !!

بسام أحمد صهيوني

الفصل العاشر

هيأ الانتصار الجوي الاسرائيلي الخطير ، ولم يكن قد عرف وشاع تماما ، على حقيقته وبكل مداه ، في اول الامر ، السبيل للهجـوم البري المعد هو الاخر ، ليعقبه ويقطف ثمراته . فقد كانت اسرائيل ، وهي لا تريـد الا الارض ، لا تجهل ان انتصارا جويا خاض فيـه الطيران الاسرائيلي ، « معارك ضارية ضد طائرات العدو » ، حسب قول وزير الحرب موشي دايان حينئذ بالحرف ، في اذاعة رسمية له ، ما لم يؤد الى الاستيلاء على الارض ، يظل انتصارا عقيما . سددت للقوة العربية الجوية العامة المدافعة عن الارض ، ضربة قاصمة . ولم يبق لها الا ان تستغل هذا التفوق ، للانتصار على الجيش المصري ، قوة العرب الرئيسية ، وقد اصبح دون حماية جوية ، لا يمكـن ان يستغني عنها الى هـذا الحد ، جيش حديث ، في حرب حديثة ، الا ان يكون جيشا فيتناميا ثوريا . فاذا ما انتصرت عليه ، باستخدام هذا التفوق ، الى اقصى الحدود استولت على الارض ، وانتصرت فعلا وتوسعت حيث شاءت ، في كل ارض عربية ، تشملها اطماعها ومخططاتها ، في هـذه

المرحلة ، لتحشد فيها مهاجريها الجدد ، أملها الاكبر ، في التكاثر والبقاء ، ولتؤمن بها لنفسها ما شعرت دائما بانه ينقصها ، من عمق استراتيجي في مواجهتنا ، ومدى حيوي تجده ضروريا لاقتصادها ونموها عموما ٠

تلقى العميد (ايشيا هوغافيتش) قائد عام المنطقة الجنوبية ، في الساعة الثامنة من صباح الخامس من حزيران ، بعد اشارة « وصلنا » المطمئنة ، الى نجاح مفاجأة عملية « الحمامة البيضاء » ، كما سموها مخابرة من رئيس العمليات في الاركان الاسرائيلية تخطره : « ان اجتماع كبار الضباط سيتم اليوم ٠ فهم (غافيش) معنى المخابرة الرمزية ٠ فهي تدعوه ، لاصدار اوامره الى قادة الفرق التابعة له ، وهم (اسرائيل تال) ، و (اريبل شارون) و (افراهام يوفيه) ليفتحوا كل ما يملكون من اجهزة الاستماع ، وكان استعمالها محظرا عليهم في اليومين الماضيين ، كما تقدم في موضعه ، اي ليسمعوا كلمة السر الاخيرة الخاصة بالهجوم ٠ الم يكن (هود) قد قال (لرابين) ، وهذا لدايان بالطبع ، قبل ذلك بقليل : « ان سيناء لخالية » ؟ واذن فمن يصد ، ومن يعوق اسرائيل ، تجري لها بأكثر مما تشتهي كل هذه الرياح ؟

كانت فرق الهجوم المعد الثلاث ، وهي خيرة جيش اسرائيل ، ولا تقل تدريبا وتسليحا عن احسن الفرق المدرعة

الاوروبية ، قد استعدت وتدربت على عمليات الهجوم على سيناء ، منذ سنوات واختبرت قدرتها عليها خصوصا ، في مناورات عامة قامت بها في السنة السابقة لها. كانت هذه الفرق مؤلفة من الوية دبابات ومظليين ومدفعية متحركة غالبا ، ومن وحدات صيانة واشارة واتصال ، ومجموعات صحية مستكملة . ومن ميزاتها انها فرق مستقلة بصورة غير معتادة مكتفية بذاتها ، روعي في انشائها ، ان تكون لكل واحدة منها اجهزة تموين وادارة وصيانة خاصة متحركة ، تلازمها وتتكفل بحاجاتها كلها من الوقود للذخيرة ، للشؤون التقنية والهندسية والميكانيكية ، وكل شيء . فهي قادرة مبدئيا على الزحف اياما دون توقف ، لاية حاجة .

اذاع العميد تال قائد فرقة الهجوم الرئيسي قبل قليل من ساعة الصفر للهجوم ، على جبهة رفح ـ خان يونس ، الامر اليومي التالي على جنوده : « لم نواجه المصريين في ميدان القتال ، منذ عشر سنين . فأول لقاء هو اذن اختبار ، ليس فقط لقدرتنا على العمل في القطاع المخصص لنا ، وانما لكل زحال . من ينتصر هنا لا يكون قد اصاب هدفا معينا وحسب . ولكنه سيربح معركة نفسية ومعنوية ، تنعكس آثارها على كل العمليات القادمة » . بل لقد خطب تاليك الصموت، وهو لقب التشنيع للقائد الضخم الجثة بين جنوده ، في ضباطه ايضا ، قبل الهجوم فقال :

« ايها السادة انكم لتعرفون الهدف • الاختراق حتى خان يونس • ثم المضي قدما للجنوب • لا تدعوا شيئا يوقفكم • فهذه المعركة الاولى حاسمة • لا يسعكم الا ان تنتصروا • نحن نهاجم واحدا ضد اثنين • وقد كانت الحكمة ان نكون ثلاثة ضد واحد • لكنكم انتم الافضل • اذن التوقف ليس واردا ، ولا التراجع • يجب ان يغلب المصريون بتقدمنا منذ الايام الاولى ، لا في الميدان وحده ، ولكن نفسيا ، لانهم يتصورون اننا حيث نذهب لا يسعنا ان نمر • كل شيء سيتقرر في الساعات الاولى • امضوا فاني لا استطيع ان اعدكم بمساندة جوية الان » • واحد ضد اثنين • وليس من وعد « بمساندة جوية الان » • يقولون ان العرب وحدهم ، يحبون الكلام الكبير عادة • فأين نحن هنا من الجيش الاسرائيلي المحتشد البالغ الربع المليون ، وحتى في بعض التقديرات الثلاثمئة والخمسين ألفا ، عدا المرتزقة والفنيين الغربيين والاميركيين ؟ واين خصوصا نتائج الغارة الجوية الاسرائيلية الاولى ، وتاليك الضخم الكلام ، بالاقل في ذلك الصباح ، لا يمكن ان يكون قد ظل جاهلا ، عواقبها على سير الحرب ؟ ولكن ألسنا في معركة «نفسية» ايضا ، قبل المعركة الحربية ؟

دوت بغتة كل اجهزة الاستماع في الجيش الاسرائيلي المعد للزحف ، مرددة هاتين الكلمتين الرمزيتين : « بساط

احمر » • وانهما لكلمتا السر للهجوم البري الكبير ، اللتان ربما قالتا الكثير • وتحركت لمجرد سماعهما في الساعة الثامنة والربع من الخامس من حزيران بالتوقيت الاسرائيلي، ارتال الدبابات والمصفحات والمجنزرات ، وكل الأليات ، بالراديو المطفأ ، الصامت اولا ، لان الاوامر كانت تحذر أي اتصال فيما بينها ، الا بالاشارة باليد ، يعطيها قائد الرتل وهو واقف في برج مكشوف • ثم الغي هذا التدبير اذ لم تعد اليه حاجة ، بعد ان صرح الشر ، ووضحت كل النوايا •
كانت اولى اهداف الزحف رفح ــ خان يونس ــ النقطة الواقعة في وسط قطاع غزة الممتد على مسافة ستين كيلومترا مربعا بين التلال والبحر • وقد اعتبرته اسرائيل دائما بقرابة النصف المليون من الفلسطينيين الاصليين سكانه والنازحين اليه ، بعد الحربين العربيتين الاسرائيليتين السابقتين ، قنبلة كبيرة موقوتة مزروعة داخل فلسطين المحتلة ، بالغة الخطر • فهؤلاء الفلسطينيون جميعا اشتهروا اكثر من سواهم ، بشدة بأسهم في مقاومتها • هذه النقطة الحاسمة ، من قطاع غزة بالذات ، هي التي اختيرت لاول اصطدام مباشر ، بالجيش المصري • فرفح ــ خان يونس اما سقطت ، فصلت مدينة غزة عن مؤخرتها ، وعزلتها تماما • فبات باستطاعة المدرعات العدوة الزاحفة ، ان تندفع منها بعد اختراق استحكامات الطريق الساحلي المصري ،

نحو قناة السويس ، لتبلغ العريش ، دون ان تصادف مقاومة تذكر . وقد استبعدت مدينة غزة نفسها في هذه المرحلة من الهجوم ، لكثافة سكانها ، واحتمال تعثر الآليات ، في قتال شوارع مرير طويل فيها .

تنحصر طرق الغزو التاريخية لسيناء منـــذ رمسيس وقمبيز والاسكندر ، في ثلاثة : الطريق الاول والاقصر ، لا يزيد على مئتي كيلومتر م ، هو الطريق الساحلي ، مـــن غزة للاسماعيلية ، ويمر بالخط الحديدي غزة ــ القنطرة، ومن فلسطين لقناة السويس . وهو ضيق ومسطح تقريبا ومزفت ، الطريق الثاني وينخفض خمسين كيلومترا م عن الاول ، هو (نيتزانا ــ ابو عجيلة) ، ثم الاسماعيلية ، الطريق الثالث : بئر تماده ــ نخله . وهـــذان الطريقان الاخيران يمران بكثير من الاودية ، وبين تلال تعلو احيانا مئات الامتار، وفي بطون جبلية تطول عشرات الكيلومترات. وقد حصن الجيش المصري كل هذه الطرق ، من الشمال للجنوب ، باستحكامات تحميها وتقفلهـــا عنـــد الحاجة ، بسلاسل غلاظ ضخمة محكمة ، من الاسمنت المسلح ، تتوزع على ثلاثة خطوط دفاعية متينة ، تضرب الى ثلاثين كيلومترا م في العمق، وعشرات الكيلومترات المربعة عرضا، وزودها بمدفعية قوية قريبة وبعيدة المدى .

سارت الفرقة المدرعة الاولى يقودها العميد تـــال

في مجموعة الجيش الموضوع بأمرة غافيتش باتجاه رفح ـ خان يونس ـ كما مضت فرقة العميد شارون باتجـــاه ابي عجيلة • اما فرقة العميد يوفيه فمضت وسط الكثبان مستهدفة فتح ثغرة ، في مثلث جبل لبنى ـ بئر الجفجافة ـ بئر لحفن • وزحف بالاضافة الى هــذه الفرق الثلاث ، لواءان اسرائيليان مدرعان معززان احدهما نحو الكونتيلا لاحتواء قوة اللواء الشاذلي الخاصة ، والثاني نحو قطاع غزة ، في محور جنوبي شمالي ايضا •

رافق العميد غافيتش القائد العام للحملة ، الفــرق الزاحفة ، يشرف على تقدمها ، ويتابع لحظة فلحظة سيرها، ويستمع الى كل التقارير الواردة باللاسلكي والراديو عنها• فقد كان يعتبر ، وهو الذي ادار آخر مناورات كانت صورة ناجحة لها جملة وتفصيلا ، انها معركته الخاصة ، تمتحــن بها اليوم آراؤه العسكرية الاستراتيجية والتكتيكية ، في جيش متحرك مدرع آلي لا تقل القدرة على الحركة السريعة، في وحدات الادارة والصيانة والتموين فيه مبدئيا ، عنها في الوحدات المقاتلة ، ولا قدرة وحدات الاحتياطي غالبا في الامرين ، عنها في الوحدات العاملة ، وفي الجنود المدربين طويلا على الهجوم والدفاع « ضد عدو مدرب على طرق القتال السوفياتية » •

شغل العميد غافيتش وهــو فــي الثانية والثلاثين

منصب رئيس العمليات في الاركان الاسرائيلية اثناء حرب السويس ، وتخصص تقريبا منـــذ ذلك الحين في وضع خطط هذه الحرب والاشتراك في وضعهـــا • « فالخطط العديدة الموضوعة عبر كل هـــذه السنين ، تجعلني اشعر بأني أعرف جيدا هـــذه الارض • التـــي نجتازها باقصى سرعتنا » وكان (غافيتش) البدين البائن الطول كزميلـــه (تاليك) يميل على ضباطه ، (ليسارهم) راضيا، عن معرفته هذه بالطبع لأرض يجتازها وهو يستمع اولا فاولا ، الى التقارير العاجلة ، عن بواكير نجاح هجوم لا يلقى مقاومة ، وينقلها بغبطة ، لرابين ودايان • فالنتائج الظاهرة وان لم تنتج كلها من هذه « المعرفة الاكيدة » الى جانبه • وها هو يجد ، ان الامتحان يكرمه بها •

اقتربت طلائع فرقة العميد تـــال وهي تضم مئـــات دبابـــات الساتنوريون والبـــاتون مـــن خـــان يونس ــ رفح • كان خط الدفاع المصري المواجه لها في رفح على عمق اثني عشر كيلومترا مربعا ، مؤلفا مـــن اربعة الويـــة متحصنة في استحكامات قوية ، ومن حقول الغام واسعة، ومائة دبابة ، واثنين وستين مدفعا عيار مم ١٢٢ و ١٠٠ مم وكمية من مدافع الهاون • اللواءان المصريان الحادي عشر والسادس عشر مشاة ، مـــن الفرقة السابعة ، كانا يتوليان حراسة عقدة طرق المواصلات في رفح • والى شمال هذه

العقدة ، كان هناك لواء مدرعات متوسطة (ت ٣٤) وفي المؤخرة للجنوب على مدخل الشيخ زويد : لواء مساعد ، يشتمل على مدرعات برمائية (ب•ت• ٧٦) واخرى متوسطة (ت• ٣٤) • وكان أخوف ما يخافه العميد تال على دباباته ومدرعاته على العموم ، المدفعية المصرية المتمركزة في رفح • فكان لا ينفك ينبه العقيد (اوري) قائد احدى وحدات دبابات الباتون في فرقته ، وقد اناط به امر ضربها بصورة خاصة : « اعلم بان في وسع هذه المدفعية ان تدمرنا • فعليك ان تقضي عليها ، قبل ان تأتي على كل دروعنا » •

وكان الى شمال هذه القوة الدفاعية المصرية ، الفرقة الفلسطينية العشرون المؤلفة من اللوائين (١٠٧ و ١٠٨) • ولم تكد تشكيلات هذه الفرقة ، تشاهد دبابات العدو الزاحفة على مشارف خان يونس ، حتى استقبلتها بوابل من نيرانها ومدافعها ، اشتعلت بها جبهة قطاع غزة حالا ، من الشمال للجنوب • اخذ العدو يتجنب هذه النيران جهد المستطاع ، بالتقدم نحو النقط الآهلة اكثر من سواها بالسكان • وكأنما كان يحتمي بهم منها ، ومن نيران المدفعية المصرية تتناوله كذلك بشدة ، كما اخذت بعض دباباته تدخل هنا وهناك وتتفجر في حقول الالغام ويظهر ان (تاليك) لم يكن (يعرف) هذه المرة « كل المعلومات

الدقيقة اللازمة عن حدودها » • وهو من كان يدل منذ قليل بمعرفته ، كل تلك الارض • والارض بحماتها • فكلما دنا من النقط المأهولة ، ترددت المدفعية المصرية في ملاحقته هناك ، تفاديا لايقاع الأذى بالأهلين • ولكن ماذا يفعل بنيران هؤلاء الفلسطينيين يحملون بوجهه السلاح هم ايضا بضراوة ؟

قرر (تاليك) مواجهة هذه المقاومة العنيفة بمناورة • فسيقوم بحركة كماشة على طول الخط الحديدي • أو كل هذه الحركة لفوج العقيد (صموئيل) المدرع ، وعهد بمساندته من اليسار ، لفوج المظليين بقيادة العقيد (رفول) ولوحدة دبابات (باتون) بقيادة العقيد (اوري) ، ووضع في مؤخرته فوج احتياط مدرع ، يقوده العقيد (مان) • اتجه صموئيل بقواته صوب خان يونس ، دون مساندة من المدفعية • ولكن ها هي طائرات (الفوجاس) الاسرائيلية التي لم يعد بها العميد تال جيشه في البدء ، تظهر على حين غرة في الجو ، بعد ان كانت قد انهت مهمتها الاولى ، وخاضت « معارك ضارية » عطلت بها مطاراتنا ، ودمرت طائراتنا • لقد خفت تؤازر جيش العدو وشرعت بمهاجمة مواقع مدفعيتنا مع مدفعيته • كانت وحدات دبابات الباتون العدوة المحمية جوا تشق الطريق ، ثم تتبعها دبابات الساتوريون • ولكن المقاومة الفلسطينية المصرية

وقد فاقت تقديرات العدو ، ظلت تمنعه بالرغم من المساندة الجوية ، زمنا غير قليل ، من التقدم • فالفلسطينيون وهم معظم المدافعين في خان يونس ، لا يتراجعون • ولو بمعدات متواضعة نسبيا ، بالمقارنة مع عنف الهجوم واسلحته وهي لا تتعدى في جملتها بطارية مدفعية واحدة من مدافع عيار مم ١٣٢ ، وفصيلتي دبابات (شيرمان) ، وسرية حرس وطني ، وبعض التشكيلات الفدائية • عطب الفلسطينيون « ثماني دبابات ، اصلحت واستأنفت القتال ، في الغد » • ولا نذكر الا ما يذكره اليهود ، عن خسائرهم ، وحتى باسلوبهم • وضرب الفلسطينيون حتى المستوطنات اليهودية المحصنة ، التي احتللنا نحن على كل ، بعضها ، بالاذاعة وصبوا قنابلهم على (ناحال اوز) و (هريز) و (ساآد) و (كفر ـ ازا) القريبة ، في « بلاد كنعان القديمة » حيث تزدهر « جنائن البرتقال والليمون الحامض » ، وارعدوا الفرائص فكانت « هنا وهناك مقدمات رعب » وجعلوا « نساء في بئر السبع ، ينزلن للشارع محاولات الهرب » ، و « مناقشات حول اجلاء الاطفال تطول » • ولكنهم مهما يعطبوا ويرعبوا ويجيدوا او لا يجيدوا الرماية بالمدفعية ، الى « مائة متر » من الهدف ، ثم الى « خمسين مترا ، من المنازل » ، ثم بعد « ضبط التصويب » من جديد ، الى أبعد للخلف « بثلاثمائة متر » ، عن المنازل ، فلن يكبدوا

كخسائر في هذا الاصطدام الاول ، اليهود في (احصائيات) اليهود و (اعترافاتهم) الا سبعا وثلاثين بقرة ، لا تنفق ايضا ، لأنها « تجرح » فقط في حظيرة يشرف عليها في (ناحال اوز) ، (مئير) الراعي اليهودي الفرنسي ، مـــن (نانسي) !

مُدافعون عن الأرض

الفصل الحادي عشر

اشارت الساعة الاسرائيلية للثامنة والربع ، من صباح الخامس من حزيران ، ومدينـــة خان يونس ، الصغــيرة تستبسل وتمتنع علـــى مهاجميهـــا ولا تسقط • تقدمت المدفعيـــة الاسرائيلية ذات السلاسل صفوف الدبابات ، لضرب نقاطهـــا الاستراتيجية المحصنة ، بعـــد طائـــرات الفوجاس • ولكنهـــا ظلت ، لا تسقط • فالكيلومتران المتبقيان من الارض الملغومة بعناية حولهـــا ، قد جعلاها بالاخص ، مع الدفاع الجدير عنهما ، جحيما للدبابات • جاء العدو اخـــيرا بأعداد مـــن الطبول الكبيرة المربوطة بسلاسل معدنية طويلة خاصة ، اخذ يدفعها الى امـــام ، بدبابات الشيرمان المعلقة بها ، وراح يفجر بهذه الطريقة الالغام ، حتى شق له ممرين ضيقين آمنين بينها للمدينة ، لم تلبث دباباته ان تدفقت منهما عبر بساتين الليمـــون ، على طـــول الخط الحديدي ، فاتحة نيران كـــل مدافعها ورشاشاتها •

دبابة شيرمان عدوة تجتـــاز ، ردما مـــن التراب • قبالتها محتجبة على أقل من عشرة امتار ، دبابة شيرمـــان

مصرية . صوبت الدبابتان ، ناري مدفعيهما عيار مم ٧٦ الواحدة للاخرى ، في وقت واحد . « انفجرت الدبابتان معا بجنودهما » . امام مركز الشرطة ، كانت هناك كتل حجارة من الاسمنت ، منزوعة مـن عمارة قريبـة تبنى ، ومطروحة ارضا . مرت اول دبابة عدوة فـوق بعضها . « انفجر لغم تحتهـا فتطايرت » . « ست دبابات اخرى اصيبت بعدها » ، بشكل او بآخر . « قائد لواء دبابات الباتون ، صرعه رصاص بعض القنـاصة المصريين ، مـن قصر مياه المدينة » . دخل العدو خان يونس . « ولكن المصريين كانوا قـد وضعوا على عجل ، مدافـع مضادة للدبابات ، ومدافـع هاون ، ورمـاة بازوكـا ، في كـل منزل » .

مرت الموجة الاولى من الدبابات العدوة بالمدينة ، بعد اربعين دقيقة . الا ان المقاومة لم تتوقف مع ذلك فيها . فبينما كـان العدو يتقدم منهـا ، في رتلين مـن دبابات الباتون ، نحـو رفح ، ظـل القتال مستمرا بـين التلال المحيطة بها على الشاطىء ، وحول خط القطار الحديدي المار بهـا ، والطريق . « رسميا خان يونس سقطت . وانشطر قطاع غزة بسقوطها شطرين ، وانعزل عن الارض المصرية ، وفتحت الطريق الساحلية نحو العريش » . الا ان المصريين والفلسطينيين تجمعوا من جديد، وتحصنوا بالمنازل

وبين البساتين . وهم ولو باتوا لا يسيطرون على الطريق الجنوبية ، فان البلدة نفسها ، ظلت في ايديهم » .

لكن لنستمع من مصدر صهيوني عدو محض ، الى ما يقول العدو عن معركة خان يونس ، وليحدثنا عنها قليلا صموئيل سيجيف المؤلف الصهيوني المتطرف المعروف في كتابه البساط الاحمر . فقد يكون لحديث عدو كهذا عنها، نكهة خاصة، نفضلها في هذا المقام : «عين الحاكم العسكري لقطاع غزة ، اللواء عبد المنعم حسني ، قائدا عاما لقوات القطاع ، التي تضم وحدات فلسطينية . بعد دقائق من ضرب المستوطنات الاسرائيلية ، تحركت دبابات العقيد صموئيل ، نحو استحكامات خان يونس ــ رفح . اجتازت حدود غزة فور سقوط هذا الموقع ، وحدات اسرائيلية ، للاستيلاء على محيط الدائرة الممتد ، من خان يونس جنوبا حتى موقع (هيرز) في الشمال . الهدف الاساسي هو طبعا ، مدينة غزة . لكن سيتوجب تغيير هذه الخطة . فالوحدات الفلسطينية تبدي روحا قتالية ضارية عنيدة . كل خط يقتحم ، يعود حالا للتجمع . فالجنود الفلسطينيون يلغمون بعد كل هجوم الممرات، ويدافعون عن مواقعهم ، كما دافعوا عنها في الهجوم الاول . غادر لواء من المدرعات (نيراوز) هذا اليوم الأول من الحرب ، في الساعة العاشرة والدقيقة الثلاثين ، باتجاه نقطة التقاطع

بين الطريق والخط الحديدي ، شمال خان يونس • اصطدم بموقع مصري، على مسافة كيلومترين منها ، بمجموعة دبابات مصرية ، ومدافع بلا حراك ، وقوة مشاة تقطع طريق غزة • اتخذ قسم من القوى الاسرائيلية موقعا في المكان ، بينما قامت البقية بحركة التفاف عميقة ، على مدى ثلاثة كيلومترات ، صوب تقاطع دير البلح • فاستقبلته نار دائرية كثيفة ، لكن المدفعية الاسرائيلية اسكتتها • دار قتال عنيف انتهى بالاستيلاء على نقطة ملتقى الطرق • الدبابات الست المكلفة مع سرية مشاة ، بتطهير المدينة قامت بعملها • ولكنها اضطرت لاستئناف الهجوم ، لتشق لها طريقا ، عبر المواقع التي استعادها الجنود الفلسطينيون • وسيجري مثل ذلك جنوب خان يونس • كان ضابط في عربة جيب على رأس الارتال ، يهم بأن يعلن للاهالي سقوط المدينة • قناص اطلق عليه النار • قتله توا • نار غزيرة من اسلحة آلية ، تنصب على ناقلات الجنود • جرح عدد كبير من الجنود ، نقلوا فورا بالحوامات « لنلاحظ كيف سكت المؤلف الصهيوني عن القتلى ، كأن كل الرصاص الذي جرح هذا العدد الكبير ، ملبس يجرح فقط ، ولا يقتل » ؟ انسحبت القوى الاسرائيلية ، لتقوم بهجوم جديد ، في الغد » •

لا نسرف فنحسب انها ستالينغراد • ولكننا نفخر

بجميع اولئك المجهولين الذين دافعوا عن خان يونس ، للنهاية • واستشهدوا او اصيبوا من اجلها • فلقد اثبتوا لا بشهادة العدو ولم نكن لنأخذ بها وحدها لو لم تؤكدها المصادر الحيادية ايضا ، لانها قد تكون عندئذ تعظيما منه لانتصاره فقط ، انهم قادة وجنود • ولو فعل الكل مثلهم، فلربما كانت تغيرت ، بالرغم من كل شيء ، اكثر من نتيجة • لا شك في ان فقدان الخطة العامة والتنسيق او اضطرابهما ، بين مختلف القطاعات ، بعد كارثة الطيران ، ثم الانسحاب ، قد اضاعا ثمرة شجاعتهم واستبسالهم ، ولكن مهما يكن ، فسيظلون مثلا عربيا لا يضيع، في كثير ضاع •

تابع رتلا الدبابات الاسرائيلية زحفهما في ممري خان يونس ، باتجاه رفح ، التي توصد الطريق الساحلي ، في جنوب قطاع غزة ، وتبدأ منها سيناء • ثلاث نقط محصنة تحميها ثلاثة الوية مشاة ، كانت تحرس تلك الطريق، مع مائة دبابة ، عرقلت الزحف وكان العميد تال قد عززه برتل ثالث، يهاجم من مؤخرة القطاع • لكن الارتال العدوة الثلاثة ، لم تلبث مع ذلك، ان توقفت مجتمعة عن كل تقدم • فنيران المدفعية المصرية المضادة للدبابات ، كانت غزيرة ودقيقة واقوى مما قدرته لها تقارير اهارون ياريف رجل الاستخبارات الصغير ، ووصفتها به عصافيره • ولا بد في وضع حرج كهذا من بطولات ارضيةوابطال ، ينقذون

الموقف ، وينسون حتى بطولات صموئيل وجوناتان ورافي الجوية وامثالها ، ويخترعون ، ان لم يوجدوا على الاقل ، بالصورة الاسرائيلية المأخوذة لهم ، بهذه الالوان الصارخة.

فهذا قائد دبابة باتون عدوة مثلا ، تقذف به قنبلة مع سقف برج دبابته الذي يظل ملتفا حول جسمه ، الى مسافة خمسة عشر مترا ، في الهواء . ولكن يده تكسر فقط . فيعود الى دبابته وقد باتت بلا برج ، ويستمر في القتال مكشوفا اكثر من ساعة ، حتى تقتله قنبلة ثانية . ولعل شيئا من قائد الدبابة الشجاع هذا ، ذلك الملازم ياكوف يجرح في ذراعه ، وهو يقوم بدورية استطلاع ، فيقفز بالرشاش على خندق مصري، فيطلق عليه جندي مصري النار ، وجها لوجه، فيجرحه فقط ، فيخف زميله الملازم اموس لنجدته زحفا في الخندق، ويتمكن من جره بضعة امتار ، محاولا ان يجتاز به الاسلاك الشائكة ، فيجرح بدوره فيسرع اليه موكي ولعله اعظم كذلك من الاثنين . وموكي بالمناسبة ، جندي في التاسعة عشرة من عمره ، كان يزحف خلفه ، فيحمل الملازمين الجريحين ، وينجو بهما في عربة جيب ، يجدها هناك . لكن ياكوف كان على شفا الموت يشتد به الظمأ ، فيوقف موكي الجيب قرب ناقلة تموين متروكة ، لا يتناول صفيحة ماء منها ، حتى تثقب زخة رصاص ، الصفيحة . وقد كان في الناقلة المتروكة،

جريحان نقلهما موكي الى الجيب، فاصبح يحمل بذلـك اربعة جرحى ، واستأنف سيره • ولم يـكد يقطع بجرحاه مسافة مائة متر ، حتى اصابت الجيب قنبلة ، قلبته براكبيه، فرده موكي الى الوضع السليم، واعاد اليه الجرحى الاربعة، ومضى حتى بلغ اقرب مركز اسعاف اسرائيلي، فارق فيه اولئك الجرحى الحياة ، بعد دقائق • ليس ياكوف واموس وموكي واضرابهم على كل ، بفتية مونيخ عرب • ولكن اذا كانوا قد وجدوا حقا هؤلاء ، ولم نسم منهم ايضا ، الا الابسط عجائب ، وفعلوا ولو بعض هذا ، فان اعجابنا بهم، ولو اعداء ، لكبير •

بعد ساعة من القتال العنيف ، امام عقدة الطرق فـي رفح ، استطاعت دبابات الباتون والسانتوريون العـدوة المرور • كان الوقت قد اصبح ظهرا • لكن المصريـين اسرعوا يغلقون استحكاماتهم ، خلف هذه الدبابات قاطعين عليها خط الرجعة • واستؤنف القتال ، عندما بلغت ناقلات الجنود الاسرائيلية الاستحكامات والخنادق ، في الشرق• وهي ناقلات الرتل الثالث الذي عزز به العميد تال القـوة الزاحفة ، لاغلاق فكي الكماشة • دام القتال هذه المرة ، خمس عشرة دقيقة عطب لنا فيها العدو ، على قوله سبـع دبابات (ت ٥٤) من اصل عشرة ، كانت تسد عليه الطريق• اما هو فيقول على طريقته دائما في ذكر خسائره ، فقـد

اصيبت له دبابة باتون ظلت مع ذلك تطلق النـــار ، ولـــم يغادرها جنودها الا لما اخذت ذخيرتها تتفجر داخل برجها. استأنف العدو بعدئذ تقدمه ، وعندما اصبح على بعد خمسة كيلومترات فقط ، من الطريق الساحلي ، قتل قـــائد القوة المتقدمة ، وتطايرت دبابته شظايا وتبخرت. تسلم نقيب عمره خمس وعشرون سنة ، القيادة . دمرت ثلاث من دباباته . تردد النقيب في المتابعة . لكن الاوامر جـــاءته بالرادار قاطعة : « اضرب وتقدم » . ولاحت له على البعد قابعة وراء رؤوس التلال ، دبابات ستالين مصرية بلـــون الرمل ، لا تظهر مواقعها الا من دخان نارها . وقد انتشرت حولها تطاير حارسة لها ، وحدات من المغاوير . ودبابات ستالين ذات الخمسة والستين طنا ، معروفة بأنها مصفحة تصفيحا حسنا، بالغ المتانة . لكن بعض النقاد يرون ، ان بـــرج المراقبة فيها عريض جدا ، بالنسبة لبقية الدبابة . وربما ألف بذلك هدفا منظورا نوعا ، في بعض الاحوال ، ولا سيما فـــي اوضاع عدم الحركة والوقوف . ثم ان القنابل معلقة فيه على مساواة الجدران الداخلية ، بصنانير بسيطة ، فاذا ما اصيب هيكل الدبابة الخارجي وارتج ، سقطت القنـــابل المعلقة على ارضية الدبابة . وقد تتفجر فوق احتيـــاطي البارود فيها وتفجرها . اصيبت اول دبابة ستالين مصرية كانت تطلق حواليها قذائفها في ذلك الموقع ، على العدو،

اصابة مباشرة في البرج ، من مسافة كيلومتر ونصف .
وهنا على حسب رواية العدو ، ان صحت كلها ايضـــا ،
انتشرت الاحدى والعشرون دبابة ستالين المصرية الباقية ،
على شكل قوس دائرة ، كما في تمارين التدريب وراحت
دبابات الباتون الاسرائيلية تصعد اليها الكثبان الرملية ،
وتصيبها واحدة واحدة ، مركزة على مهـــل وبدقة علـــى
ابراجها ، بمدافعها عيار مم ٩٠ ، حتى اتت وهي لا تتجاوز
الخمس الدبابات ، عليها جميعها . هل كان بطء الحركة
او عدمها السبب ؟ أم ان شيئا ما آخر ، قد جعل كل ذلـــك
ممكنا للعدو في ساعتين وخمس عشرة دقيقة ؟ ام ان العدو
يبالغ ولا ريب لاغراض نفسية على عادته في تعظيم وتضخيم
« هالة اسرائيل التي لا تقهر » ، وطمس كل الحقائق اذا
كانت تنال منها على حد قول الكاتب والناقد العسكري
الانكليزي الكبير (ادغار اوبلانس) في كتابه الشهيـــر
« الحرب العربية الاسرائيلية الثالثة » ، وسنعود اليه اكثر
من مرة في غير موضع، لانه بين اكثر من كتبوا في الغرب عن
هذه الحرب ، موضوعية واطلاعا وانصافا . اطبق فكـــا
الكماشة الاسرائيلية على القوة المصرية المدافعة بعد الساعة
الثالثة ظهرا بقليل . ولما بلغت دبابات الباتون العدوة الطريق
الساحلي ، في جنوب الشيخ زويد ، هاجمت مع القوى
التي اخترقت خان يونس موقع الجرادة مفتاح العريش .

وهو موقع منيع كموقع ابي عجيلة الابعد منه جنوبا ، تمتد تحصيناته الى مسافة احد عشر كيلومترا طولا ، وسبعة كيلومترات عرضا ، وتطرد معانقة رؤوس التلال كيفمـا تعرجت، علوا وسفلا، وقبالتها للشمال على عدة كيلومترات، حقول للالغام والاسلاك الشائكة • اما الطريق الساحلية المارة بالتحصينات ، فانهـا لتستقيم وتلتوي بحيث تتيح للمدفعية الحامية لها ، التحكم في كل منعطف فيها •

تسلقت مفرزة استكشاف وسريتا سانتوريون ، أول هضبة رملية ، في تحصينات موقع الجرادة ، فلم يتعرض لها احد • انحدرت للسفح ثم صعدت ثم عادت فاجتازت التحصينات حتى الطريق المظللة باشجار النخيل ، على مدخل العريش • كانت هناك بعض الاكواخ الخشبية البيضاء ، وعلى واجهة احدها بأحرف كبيرة بالانكليزية، هذه الكتابة: «لا تطلقوا من فضلكم النار • اننا في الداخل امم متحدة» • فهم خوذ زرقاء يوغسلاف « لم تخرجهم مصر ، ظهرك ظهرك » ، كما لم تخرج الخوذ الزرقاء السويدية وسيجدها العدو بعدئذ في خان يونس ايضا ، عندما يتم احتلالها، ولا اية خوذ زرقاء ، منذ طلبت اليها الخروج ، وكنا اوضحنا في موضعه ، انه اختلف معنى ومدى ، في التأويل •

والت دبابات السنتوريون التقـدم بضـع مئـات الامتار ، حتى نقطة التقاطع مع طريق بئر لحفن والمطار •

وسط هذه النقطة يشمخ شهادة تاريخ حي ، نصب ضخم من عشرة امتار ، يخلد ذكرى الفدائيين الفلسطينيين ، ولا ينطفىء املا بالرغم من هول العاصفة • تقدمت الدبابات العدوة • لكن ها هي تنقطع بالمقاومة المصرية المتجددة عن مؤخراتها ، فتضطر للدوران عدة مرات، حول المدينة • ثم للتوقف، في مربعات دفاعية لقضاء الليل • اخترق العدو طريق الجرادة ، وليس الموقع المحصن نفسه ، لان قوى المشاة المصرية المنكفئة ، من موقع الشيخ زويد ، والمتبقية بعد سحب قوة اللواء الشاذلي الخاصة منه، في الليلة السابقة للحرب ، تحسبا لهجوم عدو منتظر في الجنوب ، على شرم الشيخ ، على ما سبقت الاشارة قد جاءت تعززه • ولم تكد تطل دبابات الباتون المقتفية اثر دبابات السانتوريون عليه ، حتى اوقفتها نيران المدفعية المصرية المنصبة عليها ، من كل فج • عربة الجيب حمار القافلة ، تناثرت هباء • صرع العقيد أحود قائد الهجوم • ارتدت الدبابات العدوة على اعقابها ، وقتل اثناء التراجع ، خلفه • واعطى عندها المقدم حاييم اذ آلت اليه القيادة ، امرا بمحاولة اجتياز الموقع من الناحية الشمالية المحتوية على حقول الالغام • وما ان نفذ امره ، حتى تفجرت بالالغام ، دبابتان ، فاضطر بدوره للتراجع ، ثم للاتجاه يمينا صوب البحر ، حيث وفق في اجتياز الموقع ، من الخلف •

لكن سرعان ما يقطع طريق موقع الجـرادة جنوبـا بشرق ، للمرة الثالثة ، خلال اربع ساعات . فـلا تستطيع الموجة الثالثة العدوة ، اجتيازه جزئيا بدبابات الشيرمان ، الا بعد قتال يستمر ثلاث ساعات اخرى . ثم دون ان يسقط موقع الجرادة كله ايضا الا في الغد ، بعد اربع وعشرين ساعة ، من قتال ليلي يائس غير متكـافيء ، دار فيه بالسلاح الابيض ، حصنا حصنا تقريبا ، وخندقا خندقا ، بل بعد ان حصل العدو على مساندة جوية كبيرة ضـد المدفعية ، وتعززت قواته بأفواج جديدة من المشاة ، وتسلم من دوائر استخباراته وطيرانه ، معلومات جديدة مفصلة وخرائط وصورا جوية واضحة ودقيقة ، لموقع الجرادة وتحصيناته .

حدثان صغيران عميقا الدلالة انسانيا وعربيا ، يعلو جرسهما مع ذلك ، في هذه المعارك ، فـي اليوم الاول للحرب ، على عربدة السلاح ، وعصف الحديد ، واختلاف الحظوظ ، ويدخلان تاريخنا ولو مع الهزيمة هتافي شهامة ونصر . لقد سجلهما العدو ، فيما سجل ، ولـم نسجـل للآن : المقدم غلوبوس من سلاح دبابات الساتتوريون ، اصيب بجرح بليغ ، وتوجب نقله بأقصى سرعة ، لمستشفى الشيخ ابي زويد ، وكان قد وقع بأيدي العدو ، سيعتني به طبيب مصري باخلاص جدير بكل المدائح . ولـكن عبثا .

الا نجدنا نعود بهذا الطبيب المصري وليتهم لم يضنوا باسمه، لعصور الفروسية وصلاح الدين ؟ العميد احمد مدحت فهمي ، قائد مدفعية اللواء السابع والخمسين ، يصاب بجرح في حلقه ويؤسر . ماذا يصنع به العدو ؟ يركبه دبابة ويفرض عليه في هذه الحال ان ينادي بأعلى صوته من مكبر صوت على جنوده وكانوا لا يزالون يقاتلون بالرغم من كل شيء ليكفوا عن القتال ، ويلقوا سلاحهم فيرضخ العميد الجريح بالطبع وينادي ، « ولكن لا يطيعه احد » .

في أبي عجيلة وفي البحر
الفصل الثاني عشر

بينما كان الهجوم الرئيسي المستمر على طول المحور الشرقي لسيناء ، بقيادة العميد تال يحقق تقريبا اغراضه ، بعد اختراق طريق الجرادة، كانت فرقة العميد اريل شارون، قد استطاعت، بما سهل لها ذلك الهجوم الاول ، وشغل عنها كثيرا ، ان تشق لها من ناحيتها طريقا في استحكامات ابي عجيلة الممتدة ابعد الى الجنوب، على طول عشرة كيلومترات، بعرض اربعة في الامكنة الوحيدة الصالحة في القطاع ، لسير الدبابات ومختلف الآليات عليها . موقع ابي عجيلة هو بوابة منطقة نيتزانا ـ الاسماعيلية . من الوجهة الطوبوغرافية ، تحمي الموقع من الشمال سلسلة من التلال، كما تحميه من الجنوب ارض صخرية تكثر فيها الاودية العميقة . وقد شاد المصريون حصونا في القطاع ، تشرف على كل سبيل قدروا ان الاعداء ربما حاولوا ولوجها اليه. الخط الاساسي في الاستحكامات المصرية يسد طريق ام شيحان ـ ام القطيفة ، وتغطية عدة صفوف من المراكز الحربية المتقدمة . القوات المصرية المدافعة عن مجموعة الاستحكامات والحصون كانت اربعة الوية مشاة من الفرقة

الثانية المتخذة من القصيمة مقرا لقيادتها العامة ، وتسعين دبابة ، واثنين وسبعين مدفعا مختلفا في الوسط .

لم تكن القوات العدوة المهاجمة بقيادة شارون بأقل عدة وعددا ، حتى دون المساندة الجوية المتوفرة لها ، من القوات المصرية المدافعة ، ان لم تكن اكثر ، فيما تدل عليه هذه العبارة ، عن تعداد مدفعيتها مثلا ، والاكتفاء بالقول عنها انها : « عشرات كثيرة من الافواه النارية ــ مدافع عيار ٢٢ ١٥٥ » مدافع هاون مم ٢٠ و مم ١٦٠ ، او هذه العبارة الاخرى تند عن العدو في وصف كثافة نيرانها فتبوح بأكثر : « الضرب الذي كانت تقوم به مدفعيتنا كان مخيفا . كان طوفانا من القنابل على الهدف » . ثم ان معنويات هذه القوات العدوة قد كانت ولا شك، مرتفعة جدا فـي معظمها بعد انتصار تال وقد تقدم هجومها هي ، فـي الساعة الثانية والعشرين والنصف ، من الخامس مـن حزيران. فهي ستواجه قوات تعاني من انباء الفشل السابق، وتتأثر بفقدانها للمساعدة الجوية ، مهما كانت روحهـا القتالية عالية . ولذلك راع العدوان يلقى اخيرا ما لقي من مقاومة ضارية في اقتحام ابي عجيلة ولا سيما الموقع (١٨١) في تحصيناتها بالرغم من مؤازرة الطيران له ، وتولـي طائرات الفوجاس مهمة دك قواعد المدفعية المصرية امامه ، بانتظام والحاح .

القواعد والاساليب التي طبقها العميد تال في هجومه الرئيسي على خان يونس ورفح والجرادة ـ العريش ، اعتمدها كذلك ضمن الخطة العامة شارون رئيس دوائر اعداد وتدريب الملاكات في الاركان العامة الاسرائيلية ، قبل توليه قيادته الجديدة ، في الهجوم على ابي عجيلة • مواجهة مباشرة ثم ثغرات في الاجنحة • ثم غوص في المؤخرات ، لتدمير المدفعية عندما تكون قد اخطأتها طائرات المساندة • ثم عودة من نقطة البداية في كل مرة ، تلتئم فيها خلف المهاجمين ، صفوف المدافعين من جديد ، محبطة للهجوم ، مقفلة للطريق بعد ان تمكنوا من اختراقه • فالموقع الواحد يتنقل بسرعة ومرات، من يد الى يد ، بالرغم من ان الهجوم من مرتفعات التلال المعتبرة خطا دفاعيا طبيعيا آمنا ، قد كان ، ومن مأمنه يؤتي الحذر ، في المثل العربي، مفاجأة تامة للمدافعين ، لا ريب في انهم لم يكونوا ينتظرونها • وساعدت الاسرائيليين ايضا ، ولو زعموا العكس ، عاصفة رملية هوجاء هبت اثناء الهجوم ، ودامت ساعات ، فتعذرت معها رؤيتهم احيانا بالاقل ، كهدف متحرك • ولم تتعذر عليهم ، والرؤية لا تكون بالعين فقط، رؤية المدافعين في الاستحكامات ، كهدف ثابت •

معركتان عنيفتان سجلهما هجوم العميد شارون على ابي عجيلة الذائعة الشهرة ، منذ حرب السويس ، بمقاومة

الجندي المصري الشديدة فيها ، حتى غدت مادة تدرس في المدارس الحربية المصرية والاسرائيلية على السواء ، بـل حتى نوه بها الرئيس عبد الناصر مرارا ، وضربها بحق مثلا، على بأس هذا الجندي، وقوة احتماله في المعركة ، كمـا سجلها موشى دايان في مذكراته هو ايضا عن تلك الحرب بشهادته في « ان المصريين قد قاتلوا بضراوة في ابـي عجيلة » • معركة العميد شارون الاولى في ابـي عجيلة اذ اخترقت فيها دبابات فرقته، بقيـــادة العقيد موتكه ، الزاحفة من نيتزانا منطلق الهجوم ، خط الجبهة المواجهة • ثم شددت قبضتها على مراكزه الامامية الشرقية ، والتفت حوله ، لتصبح قبالة موقعه الرئيسي في ام شيحان ــ ام القطيفة ، مما سهل بعدئذ هجوم المشاة عليه • وقد استمر الزحف بعد ذلك على المؤخرات حتى بلغ ام بسيس ، المركز الدفاعي الآخر المتقدم ، على اربعة كيلومترات مـن خط الهدنة ، المتبادل بين الفريقين مرتين ، قبل ان يسقط نهائيا في المرة الثالثة ، مفسحا بسقوطه لدبابات العدو المدعومة بالطيران ، الطريق الى ام طربة التي تسقط بدورها ، بعد مقاومة عنيفة ، تبديها حتى بالسلاح الابيض قوة المشاة المدافعة عنها • اما المعركة الثانية الاعنف من الاولى ، فقد دارت مع هبوط المساء ، بعد وصول دبابات العقيد كوتي الى موقع ام طربة وتصدي المدفعية المصرية لها • بدأتها قوة

المشاة العدوة الزاحفة خلف الدبابات بقيادة العقيد كوتي بالتوقف • فهي لم تكد تسمع دوي القنابل المتساقطة على الدبابات المتقدمة حتى انتشرت على عجل في الصحراء ، تحفر لها فيها خنادق تحتمي بها ، وحتى اسرع ساسون قائد رأس حربة الدبابات المتقدمة ، يلتقي كوتي للتشاور معه ، في امر اقتحام الموقع الذي يبدي هـذه المقاومة • وقد اتفقا على ان تقوم قوة المشاة بهجوم جانبي للاستيلاء على محور الطريق من نهايته شمالا ، وتمكين المدرعات بذلك من الوصول الى المؤخرات، لتدمير ما تملك من اسلحة ضد الدبابات •

مهد الاسرائيليون اولا لهجومهم بضرب شديد كثيف مركز بالمدفعيـة ، ثـم انحدر مشاتهم نحو الاستحكامات المصرية ، بعد ان قامت الحوامات القادمة لنجدتهم بانزال اللواء المظلي (كدود) بكامله خلف مراكز المدفعية المصرية، شمالي طريق ابي عجيلة حيث اخذ يهاجمها من الوراء بطارية بطارية ، ملحقا بها على العموم خسائر كبيرة • لكن المشاة والمظليين الاسرائيليين الستماية المهاجمين على هذه الصورة، استقبلوا مع ذلك بنيران حامية في كل مكان • ولم يتمكنوا من نقل قتلاهم وجرحاهـم ، وحرص الاسرائيليين علـى نقلهم ، في جميع الظروف معروف ، الا في اليـوم الثاني وقد استمر فيه القتال ايضا في اكثر من موضع ، وبكثير

من الصعوبة • في المركز (١٨١) وحده ، وقد صد بنجاح هجومين كبيرين متواليين عليه ، تفجرت لهم فيهما حتى باعترافهم، ثماني دبابات وعطبت عدة مدرعات، وصرع قائد فوج وثلاثة قواد كتائب• سقط بعد المركز (١٨١) حاجز (الروفا) وتمكن العدو بسقوطهما من التقدم الى جبل لبنى والعريش في الساعة الثانية بعد منتصف الليل • وانه لفي تقدمه ، اذا برتل مصري مدرع آت من جبل لبنى ، باتجاه ابي عجيلة لينتشر في مؤخراته • واذا بالمدفعية المصرية المتبقية في تلك الجهة ، تستأنف ضربها له ، وتقذف لشق الظلام وكشفه القنابل المضيئة • وما اقتربت الدبابات المصرية من دباباته حتى اشتبكت معها فورا ، بقتال ضار اضطربت تحت وطأته صفوفها ، مع ان القتال ليلي ، وهذا النوع من القتال ، يشددون عليه كثيرا في الجيش الاسرائيلي وعمت بينها الفوضى • « فاخذت دبابات موتكه على حد قول العدو ، تقاتل دبابات موتكه » ، حتى اضطرت قيادتها الى دعوتها الى الكف عن اطلاق النار• لكن تشكيلات طائرات الفوجاس العدوة لم تلبث ان تدخلت في القتال ، ورجحت كفته ، كالعادة • ظهرت طائرتا ميغ مصريتان حلقتا فوق المواقع المحتلة ، فاعترضتهما طائرتا ميراج واسقطتاهما ، يخبرنا العدو ، وكأنما لتكون لنا مثله، مساندة جوية ، لم نحرمها بالمرة • بالرغم من كل ذلك ظلت

مواقع ابي عجيلة تقاوم ولو مقاومة يائسة ، القوى العدوة المتفوقة ، كل هـذا التفوق • ولم تتمكن الدبابات مـن الوصول الى محيط دائرتهـا الا في ساعتين ، وبعـد ان تعززت بقوة اخرى ، وتمكنت مـن فتح الممر وكانت قد سدته عليها دبابة منها مصابة ومعطوبة • بل لم تسقط ابو عجيلة تماما بعد ذلك ، بالرغم مـن معركة عنيفة ، دارت حولها بالدبابات ، على مسافة لا اكثر من عشرة امتار غالبا، بين الدبابة والدبابة ، وطالت مـن الرابعة حتى السادسة صباحا • ظلت تقاوم بكـل سلاح في حوزتها وذخـيرة ، ساعا تـوساعات •

يصف الاعداء سقوط ابي عجيلة فيقولون : « اتمت الطائرات الاسرائيلية تدمير المدفعية المصريـة ، (ويا لها عبارة تفسر كل شيء) • هنا ايضا قفز في الخطوط العدوة، طيار اسرائيلي فانقذته حوامة• احتل المشاة الخنادق • القتلى المصريون اكثر من الف (ولنتأمل في هذا العدد ، عنف المقاومة الجبارة التي استوجبته) • القتلى اليهود ثلاثة عشر• الجرحى اربعة وثمانون فقط ، (ولنتأمل فـي هذا العدد ايضا حتى ولو اخذنـاه كذلك علـى علاته ، وفرة الحماية التي حددته وحصرته) • عقيد وعدة ضباط مـن اركان ابي عجيلة الاسرى ، يسألهم شارون : « الى ماذا تنسبون انكساركم » ؟• «لقد فوجئنا بهجومكم بالمشاة ،

اجاب العقيد ، ولم نكن مستعدين لهجـوم على الاجنحة والجوانب ، وعلى المؤخرة • اني لا افهم ماذا يمكـن ان يكون ، قد جرى ؟ ان هذا لم يجر كله ، كما يرد عنه في كتب التكتيك العسكري » • ولنتأمل اخيرا هذه الاجوبة العربية يمتدح بها شارون نفسه، مغفلا كل ما قد يكون قد قاله له العقيد بالبداهة ، من اسباب اخرى عن الانكسار ، في طليعتها بالاقـل الطيران الذي « اتم تدمـير المدفعية المصرية » في ابي عجيلة •

تلقى العميـد شارون في الساعات الاخيرة للقتال ، امرا من العميد غافيتش القائد العـام للجبهة الجنوبيـة ، يدعوه الى افساح الطريق بسرعة امام بعض فرقة يوفيه، قائد فرقة الهجوم الثالثة ، بعد تال وشارون للتقـدم الى جبل لبنى نحو خط الدفاع الثاني ، قبل ان يتمكن المصريون ، من اعادة تجميع قواتهم فيه • لم يتلق شارون الامر بطيبة خاطر ، على ما قالوا • فافساح الطريق على هذه الصورة ، ليس في « كتب التكتيك العسكري » فيما يظهر ايضا ، عند (البيريه الحمراء) كما يسمي الاسرائيليون شارون ، متفكهين مشيرين بالتسمية ، الى زهوه الظاهر فـي ارتداء (البيريه الحمراء) ، بشكل يحـاكي عرف الديك ، على رأسه الصغير • كيف يمررون قوات ودبابات ، لن تشترك في هذا القتال ، وسط قوات ودبابات تشترك فيه • لكن

شارون لم يستطع الا ان يخضع للامر، وان ينحدر الى حين، على جانبي الطريق ، ملزما قواته بعدم اطلاق مدافعها ، الا باتجاه الجنوب ، ريثما تمر ابتداء مـــن الساعة الرابعة ، دبابات يوفيه وقواته • وكانت قد عجزت عن ان تبلغ كلها جبل لبنى عن طريق التـــلال ، في المواعيد المحددة لهـــا أساسا ، في الخطة العامة للهجوم • ولا ينبغي الا ان تمتاز بشيء • بل ان يعتبر قطعها ما قطعت في تلك الحرب مـــن صحراء بوسائلها العصريـــة ، وهي ليست جمـــالا ، حدثا فريدا عند مؤرخيهم من حيث السرعة لا يوازيه ان جـــاز لنا ان نقارن ، قطع جيش خالد التاريخي للصحراء العراقية، وقد خف ينجد منذ اربعة عشر قرنا جيش التحرير العربي في سوريا وفلسطين ، طاردا منهما الروم •

فرقة يوفيه هذه حاربت في الخامس مـــن حزيران ، كما يروي احد قوادها العقيـــد ايساكار حربها الخاصة : «ففيما كانت الفرقتان الاوليان (يقصد فرقتي تال وشارون) تقاتـــلان ، كنا نحن نقـــاتل الارض • قطعنا خـــلال تسع ساعات ، خمسين كيلومترا من التلال ، دافعين امامنا بعض الوحدات المصرية ، مـــن حرس الحدود ، الصحراوية ، (ولعله يقصد الهجانة) • فلما صرنا وراء بئـــر لحفـــن ، على ستين كيلومترا ، جنوبي العريش ، اخذنا نشتبك مع العدو • موقـــع بئر لحفن محصـــن مـــن الجنوب وان

مهاجمته في اتجاه العريش لأسهل • امرت أن لا اهـاجم بئر لحفن ، ولكن ان اقطع طريقها بالمكث على مفترقه ، وعلى بعد الف ومئتي متر ، من الدبابات والمدافع المصرية• هاجمنا • استولينا على المفترق • المدفعية العدوة شرعت تضربنا • القتـال عنيف يكلف غاليا ، قائد سرية يقتل في دبابته • اعلموني فـي العاشرة مساء ان وحدتي مدرعات مصرية خرجتا من جبل لبنى ، احداهما لمهاجمتي ، والثانية لتعزيز مواقع العريش • لمحنا من بعيد اضواء • لقد اطفأ المصريون الاضواء الكبـيرة ، واقتصروا علـى الاضواء العادية • قائد الفوج المسيطر علـى المفترق يقـول لي : « انـي لا اتبينهم » • اجبت : « اضرب ظننا وتخميننا » • خلال عشرة دقائق كنا متفوقين • لكن المصريين انتشروا • كانوا اكثر • (كيف) ؟ دخلـوا في معركة دامت حتى العاشرة صباحا ، من اليوم السادس من حزيران • حملوا لي في الهزيج الاخير من الليل ، وقودا • وجاءت الحوامات، تنقل الجرحى • (لفظ القتلى صعب عليهم كلهم) • تدخل الطيران عند الفجر ، ضد المدرعات العدوة • لكننا كنا نحن ايضا قد دمرنا ، ثماني وعشرين دبـابة » • ولا ينسى الاسرائيليون قبل ذلك كله بالمناسبة ، ان يمهدوا ضمنا ، من عذر شر الثلاثة هذا الذي لم يحارب ، الا هذه الحرب ضد (الهجانة) او باعلانهم ان هذه الفرقة الثالثة كلها ،

فرقة يوفيه قيادة وجنودا ، هم أساسا وبعد كل شيء فرقة تتألف من الاحتياطي ، ولا يضيرهـا اذن ، ان لا تبلي الا هذا البلاء .

حاولت اسرائيل في ليل الخامس من حزيران ايضا ، ان تقوم الى جانب الهجوم الجوي والبري ، بعمل بحري ، مستغلة تواجد معظم الاسطول المصري في البحر الاحمر ، بعد ان اجتذبته اسرائيل اليه ، بخدعة الهجوم فيه كما رأينا قبلا . بـل لقد حـاول قائد بحريتها (ايريل) ان يكرر باسطوله الصغير ، ضربـة الطيران وحكاية الهجوم مـن الجنوب لا الشمال . طائرات مردخاي هود جمدت علـى الارض طائرات ، محمد صدقي محمود ، ودمرتها . فلماذا لا يجرب ذلك بدوره ، مع القوة البحرية الضاربة المصرية ، ولو انها تفوقه بكثير ؟ اختار (ايريل) اولا لمحاولته ، ميناء رأس التين، في خليج الاسكندرية، وهي ابعد ميناء مصري، عن القواعد البحريـة الاسرائيلية ، في حيفا واشدود . طفت فجأة تحت جنح الظـلام غواصة عدوة ، كانت منذ الليلة السابقـة ترود في الناحية ، ونزل منهـا في زورق مطاط ، ولباس الغوص الخاص بهـم ، اثنا عشر ضفدعا ، بقيادة يشوع بن نـون ، ولنلاحظ الاسـم التوراتي . اقتربوا تسللا وعلى السكت ، من الشاطىء . كانت مهمتهم ان يضعوا الغاما مغناطيسية موقوتة ، تحت القطع المصرية

الراسية ، مع بعض البواخر التجارية ، وناقلات الزيت .
وقد استطاعوا بعد ان تركوا عند مدخل الميناء زورقهم ، ان يضعوا كما تقول اسرائيل ، « متفجرات » تحت غواصتين مصريتين ، وزورقي (كومار) حربيين. لكن غلاما شاهدهم فأنبأ الشرطة بأمرهم فأسرت ستة منهم وهم يحاولون الهرب بعد ذلك على ظهر زورق نزهة بخاري وجدوه هناك فصعدوا اليه محاولين الهرب به . وقتل الباقون وبينهم يشوع بن نون بالغام الميناء في الاكثر . انتظرتهم ليلتها طويلا غواصتهم وكانت قد وعدتهم ان تلاقيهم على السطح مع الفجر . ثم انتظرتهم بالطبع ، في الليلة التالية عبثا .

لم تكن المحاولة البحرية المتقدمة الفاشلة ، هي الوحيدة ، تحاولها اسرائيل ، في ليل الخامس من حزيران . ففي ذلك الليل وعلى عشرة اميال من الشاطىء ، اقترب اليها ، مع حلول الظلام طراد وثلاث بواخر طوربيد من بور سعيد ، عند المصب الشمالي ، لقناة السويس ايضا . لقد شجع العدو على هذه الشجاعة ، غياب الطيران التام ، وكان يمكن ان يكشف وجوده . كانت هذه القطع البحرية العدوة ، تبحر متفرقة منذ الصباح . فلما امسى المساء تجمعت ، وعقد قادتها لهم مؤتمرا تدارسوا فيه مخطط غارة ، على بور سعيد . ثم بقي الطراد في عرض البحر ، يحمله الموج غربا ، ليقطع الطريق على بواخر مصرية قد

تقدم بغتة ، مـــن الاسكندرية . وامـــا بواخر الطوربيد الثلاث ، فقد اتجهت بعد ان اوقفت كل اتصال لها بالراديو في تشكيلة متماسكة وبأقصى سرعتها جنوبا ، نحو مداخل ميناء بور سعيد ، لا تستخدم للرؤية ، الا العين المجردة والرادار . شاهدت على شاشة الرادار قبل ان ترى المنار الدال على المدخل الشمالي للقناة ، وانوار المدينة ، حوالي عشرين شبح باخرة . انها ناقلات بترول راسية تنتظر المرور بالقناة . اندست بينها تعلو وتهبط خلفها متخفية بتياراتها عند المدخل . ولما وجدت المرفأ منورا ، لم يفرض فيه نظام التعتيم ، وخاليا ايضا من القطع الحربية ، عادت ادراجها . لكن لتلتقي عند المدخـــل بالزورقين الصاروخيين المصريين (اوسا) اللذين كانت تتوقع مفاجأتهما في المرفأ راسيين ، ففوجئت بهما عائدين اليـــه . تبودلت النـــار عـــن بعد . اطفئت انوار الميناء . تدخلت مدفعية الشواطىء قليلا ، ثم صمتت ، لتعذر التمييز في الظلام الحالك ، بين القطع المصرية والقطع العدوة . واغتنمت هذه الفرصة ، فتفرقت واسرعت تلوذ بالفرار ، قانعة بأنها على زعمها قد « اصابت بقنبلة احد الزورقين المصريين الداخلين للميناء » ، دون ان تقطع عليهما الطريق . وهناك اخيرا مزاعم اسرائيلية لـــم

تثبت عن اغراق طرادات عـدوة لغواصتين مصريتين فـي الساحل الفلسطيني ، المحتل • وقد اقتصرت على القول ان بعض بقع الزيت شوهدت على سطح الماء ، في المكان الذي قدرت الطرادات يومها اذ الغواصتين ترودان فيه ، لهجوم بحري تقومان به ، مع عدد من الغواصات ، لم يظهر له في كافة الاحوال ، ادنى اثر !!

كلام دبلوماسية وكلام مدفع

الفصل الثالث عشر

تكلمت الدبلوماسية العربية يوم الثلاثاء السادس من حزيران في القاهرة ، ومعظم العواصم العربية ، بصوت عال جدا . ولكن طغت عليها ، ومن يسمع صوت الدبلوماسية ، اذا ما كان المدفع يتكلم ، اصوات المدافع ، وقد ظلت تلعلع في سيناء والاردن وسوريا ؟ ولم تتحدث للآن ، على ما يمكن ان يحز من ذلك في النفس والعقل ، عن حرب دارت في اعتبارنا ويا للاسف ، مستقلة تماما ، بالرغم من كل ما يقال ، في الاردن وسوريا ، ولو انها دارت بشكل ما ، منذ اليوم الاول في نفس الوقت ، مع الحرب على الجبهة المصرية . بل دارت حتى مستقلة في الاردن وسوريا ، الواحدة عن الاخرى ، ايضا . والسبب هو اننا نريد ان نتحدث في كل ذلك اولا ، عما كان ، لا عما يجب ان يكون . وسنفرد كما قلنا في مقدمة هذا الكتاب ، لحربي الاردن وسوريا ، كتابا خاصا .

استدعت وزارة الخارجية المصرية ، منذ الصباح الباكر السفير الاميركي ، وابلغته قطع العلائق، مع حكومته، واعلنت دمشق قطعها كذلك بعد قليل ، مع الولايات

المتحدة الاميركية وبريطانيا • فدور اميركا وبريطانيا فـي الحرب ، كان حتى في اية صورة ، افضح واخزى ، من ان يسكت عنه • وتوالي قطع العلائق العربية مـع الدولتين اللتين مزقتا عن وجهيهما في هذه الحرب ، لا اقنعة الصداقة الزائفة ، فهذا امر مفروغ منه قبلا ، وانما معها ، كل اقنعة الحياد وعدم الانحياز دفعة واحدة • قطعت الجزائر والعراق واليمن والسودان ، علائقها مع الدولتين • وكانت غينيا ـ احمد سيكوتوري ـ ولا ينبغي ان ينسى لها العرب ذلك يوما ، الدولة الوحيدة غير العربية التي تضامنت معنا بشجاعة ، اذ راحت (كوناكري) تعلن قطع علائقها معهما « للتدخل الاميركي البريطاني » ضدنا •

اتخذت حتى خطوة استنكار عربيـة لموقف اميركا وبريطانيا ، أهم وأجدى ، من قطع العلائق الدبلوماسية او ما رافقها وأعقبها من تظاهرات • قررت مصر ، اغـلاق القناة • وقرر لبنان وقررت سوريا ، اغلاق انابيب البترول المارة بهما • واوقف العراق ضخ البترول وجمدت الجزائر وقطر والكويت والسعودية وليبيا والبحريـن ، شحناته منها للبلدان التي « تساعد اسرائيل » • وتسبب كل ذلك في ارتفاع سعر اسهم البترول الاميركي في (وول ستريت) وفي هبوط الليرة الاسترلينية المهددة باقفال القناة ، فـي لندن ، وفي اسعار العملات الذهبية ، كما لم تتصاعد منذ

ازمة برلين عام ١٩٤٩ ، اذ سجل (النابليون) الذهبـي ، ارتفاعا لأكثر من ستة فرنكات ، في يـوم واحد • وحمل هذا الاستنكار ولو جاء ، والسيف مثلم ، ومتأخرا جدا ، ليكون له أثره الحاسم ، بريطانيا ، علـى ان تصدر بلاغا تكذب به اشتراكها بطيرانها فـي الحرب ، انطلاقا مـن (حاملات للطائرات) ، كانما ليس هناك ، في حال عدم ثبوت هذا الشكل مـن الاشتراك ، مـن اشكال اخرى « انكليزية » ، لا تعوزها له • فراح « هارولد ويلسن » ، يستفظع حتى بعد نشر اعترافات بعض الطيارين الاسرى ذلك ، وحديث الملك حسين التلفوني المسجل عنه ، للرئيس عبد الناصر : (ـ الولايات المتحدة وبريطانيا ، او الولايات المتحدة فقط ، يسأل الرئيس عبد الناصر ؟) • (ـ الولايات المتحدة وانكلترا يجيب الملك حسين يومها) • ولم تدع اميركا بريطانيا تسبقها في « التكذيب » • فخف (روبرت ماك كلوزي) الناطق باسم البيت الابيض ، يكذب بدوره ، « مثل هذه التهم الباطلة » ، كما اسرع السفير الاميركي في عمان ، ببرغماتية بالغة ، يقـابل الملك حسين ، ويسلمـه مذكرة شخصية من الرئيس جونسون ، يتنصل فيها مـن « المشاركة العسكرية » ، فـي الحرب ، ويذيـع راديو رام الله فحواها ، فلا يصدقها طبعا احد •

بل لقد تكلمت الدبلوماسية الدولية هي الاخرى ،

في السادس من حزيران ، كلاما لم يسمع كذلك ، ولم يغن شيئا . فقد اجتمع في الليلة السابقة (غولد برج) المندوب الاميركي اليهودي في مجلس الامن ، مع زميله السوفياتي فيد يرنكو ، وكـان لا ينفك يحمـل بشدة على (جرائم الامبريالية الاميركية) ، واتفق معـه ، كأنمـا تخلصا من شعور بالذنب ، او تهدئة للزميل ، او انقـاذا لأية مظاهر او مضيا في اللعبة الاميركية الصهيونية القذرة ، الى آخر الشوط ، على مشروع قرار بوقف اطلاق النا ر، لم يلبثا ان عرضاه علـى المجلس للموافقـة ، فأقره المجلس ، في دقائق . كان قرارا ولد ميتا ، ككل القرارات الدولية من نوعه . فهو يدعو في ظاهر من رحمة ، الى وقف اطلاق النار فورا ، دون قيـد ولا شرط . ولكنه فـي باطن من قبله العذاب ، لا يتحدث عن معتد ولا معتدى عليه ، ولا عـن انسحاب من ارض محتلة ، ولا عن عقوبة في حـال عدم الانصياع . لا شك في ان القرار وقد زفضته مصر، وتظاهرت اسرائيل رياء بقبوله ، اذا ما قبله العرب ، في السابع من نيسان ، اي في اليوم الثاني لاتخاذه ، قد كـان في حد ذاته ، انتصارا لاسرائيل المعتدية ، فـي الدرجة الاولى ، واميركا المؤيدة لها للنهاية ، وخسارة لمصر المعتدى عليها ، وللاصدقاء السوفيات . صورة اميركا الفارضة وجهة نظرها فيه واضحة . وصورة روسيا وهـي لا ترفض صراحـة

هذه الوجهة واضحة . فهل كانت روسيا تجهل حقيقة الاوضاع او انها تعرفها بالعكس ، حق المعرفة ؟ في الفرض الاول ، لماذا جهلتها كل هذا الجهل ولا عذر له ، من دولة مثلها ؟ وفي الفرض الثاني ، لماذا لم تطلع القاهرة وليست لها وسائلها ، وبحكم الصداقة واتفاق المصالح على كل شيء ، ليكون لها بالاطلاع على كل شيء ، الرأي الاسد المتوجب لها بالظرف ؟ واذا كانت قد اطلعتها ، فلماذا اخطأ الصواب ، القاهرة ؟ كنا قد قلنا فيما سبق ، عند الحديث ، عن الحشود الاسرائيلية على الحدود السورية ، وقد كانت البداية الظاهرة للحرب ، ان اصدقاءنا السوفيات ربما كانوا غير مستعدين يومها ، لمجابهة اميركية ، كما انه لا يسعهم كدولة كبرى ، ان يتعرضوا لاسرائيل ، او ان يتعرضوا بخاصة اليها ان لم يكونوا مستعدين لمثل هذه المجابهة . بل ربما كانوا واثقين من قدرتنا ، مطمئنين قبل الاعتداء الى قوتنا ، ما دامت المجابهة المكشوفة ، لا تجري الا بيننا وبين اسرائيل . ثم فوجئوا مثلنا بالضربة ، بعد ان كانوا قد كرروا نصائحهم لنا قبلها ، بان لا نأخذ نحن زمام المبادرة ، و « صدقوا » بان اسرائيل لن تأخذه ، في هذه الحال ايضا . لكن ماذا يبقى واقفا على قدميه اخيرا من كل هذا ، بعد ضربة الطيران الغادرة ؟ الم يكن في مقاومة خط الدفاع المصري الاول ، بالرغم من افتقاده

للطيران ، ما يقول باننا لو اتيح لنا ، ان تتدارك عــن اي سبيل عندها ، خسارتنا الجوية ، او حتى بعضها ، لتبدلت امور كثيرة • حجة الطيارين ليست بحجة • نحــن فقدنا يومها بالاكثر الطائرات لا الطيارين • وحجــة المطارات المخربة ليست بحجة • وهناك مطارات الاقصر واسوان ، مهما تكن تجهيزاتها • وحجة وجود الاميركيين في ليبيا ، وقد قيل انه منع التعويض عن هذا الطريق ، لانه سيعتبر عندئذ تحديا لهم ، ليست بحجة ، اذ لم يكــن بسر ، اننا نشتري ونستورد كل سلاحنا ، من روسيا • وليست بحجة اكثر من كل هذه الحجج ، ان مطارات السودان والعراق « بعيدة » لنتلقى بواسطتها « التعويض » ولعله قد توقف عليه ، كل شيء ، ولو انتظرنا « بضع ساعات » اكثر • لا نعتقد ان فيديرنكو قد كان ابا موسى الاشعري ، بموافقته على قرار وقف اطلاق النار بصيغته المذكورة • لكننا لا نفهم لماذا لم يتح لنا آنئذ ، ان نعوض خسارتنا الجويــة فورا ، لا بعد ايام واسابيع ، كان قد فات فيهــا عندها اذ ذاك ، الاوان • فالمعلومات المجتمعة لنا عن كل ذلك لليوم، ان لم تسمح بان نتهم بصراحة وجزم ، انفسنا او اصدقاءنا او كل الاطراف جملة ، فانهــا لا تسمح بان نبرىء احدا ايضا ، من الاخطاء والاغلاط •

ظل المدفع يتكلم في السادس من حزيران ، ولا يأبه،

لأي كلام دبلوماسي • فالعدو يتقدم على المحاور الثلاثة لهجومه بسرعة • وقد باتت الحرب له الا هنا وهناك ، في بعض مؤخراته ، حرب سرعة • فهو يسير بسرعة اربعين كيلومترا في الساعة نحو الغرب وخط الدفاع الثاني • العميد تال تجاوز في الشمال العريش وقد ظلت تقاتل مع ذلك « منزلا منزلا » حتى المساء • وتمكن العميد شارون بصورة او باخرى من ابي عجيلة ، والتقى حتى العميد يوفيه (المائة والعشرون كيلو) كما سموه ساخرين بالاثنين، على مداخل جبل لبنى ، ولو انه انتقل اليها بالحوامة ، ولم يقاتل للوصول اليها الارض •

دخل الاسرائيليون غزة والعريش اللتين ظلتا تقاومان مع بعض المواقع المتفرقة في مؤخراتهم وتشكلان بعد تجاوزهم لها ، جيوبا مستعصية • وتستحق غزة والعريش خصوصا ، ان نتوقف عندهما قبل ان نتابع تقدم جيوش العدو ، المدعومة دائما بالطيران ، في السادس من حزيران ، نحو ما سمي بخط الدفاع المصري الثاني • تقوم غزة الشهيرة كصور في لبنان ، بمقاومتها للاسكندر ، وقد تردد اسمها كثيرا في الحروب الصليبية ايضا على تلة منخفضة تنحدر منها منازلها البيضاء صفوفا ، متلاصقة حتى البحر ، وتحيط بها من جهاتها الثلاث ، الى عدة كيلومترات، جنائن البرتقال والليمون الحامض • وقد عرقلت حقول

الالغام المنتشرة بينها ، زحف العدو عليها طويلا وكبدته خسائر جسيمة • لكن الحظ العاثر لعب دوره اخيرا وعجل في سقوطها • فقد وقعت بيد العدو في عربـة تحترق ، محفظة ضابط مصري ، كانت ملأى بخرائط مفصلة ، لتلك الحقول ، فافاد العدو منها كثيرا ، لتحاشيها وتطويق واقتحام البلدة ، وقد « ظل المصريون والفلسطينيون يدافعون عنهـا بيتا بيتا » مع ذلك ، كما قال العدو نفسه، حتى بعد « ان ارتفعت بعض الاعلام البيضاء ، على بعض الشبابيك » •
ثلة من الخوذ الزرقاء الهندية ، كان قد دهمها الهجـوم الاسرائيلي ، فلم تستطع الانسحاب ، وبقيت في مراكزها في غزة ، اطلق عليها اليهود النار ، وجرحوا عددا منها لانهم شاهدوا هذه الخوذ « تحارب الى جانب المصريين » ، ثم اسرعوا ينقلونها في المساء الى قبرص ، في طائرة • حتى آخر طلقة ، ظل اللواء عبد العزيز حسين ، حاكم القطاع ، يدافع مع كل من يستطيع الدفاع معه، عن غزة، بعد ان غير بسرعة ، مواقع اجهزتها الدفاعية « فضيع » المخـابرات الاسرائيلية طويلا ، الى « ان دخل عليه اخيرا في مبنـى دار الحكومة ضابط اسرائيلي » على ما يصف لنا مراسل الاكسبرس الحربي المرافق للحملة ، وقدم له وثيقة تسليم « وقعها دون ان ينبس ببنت شفة » الا سؤاله كأسير ، بعد ان انزل صورة عبد الناصر : « ان كان بوسعه ان يحمل

معه قرآنه ، وثلاث علب سجائر » ؟

ولم تقصر العريش عن غزة صمودا وبطولة • دافعت هي كذلك عن نفسها ، ولا نستعمل الا العبارة اليهودية كالعادة ، « بيتا بيتا » • ولم تنته مقاومتها الا بعد ان فرض الاسرائيليون منع التجول فيها ، وفتشوها « بيتا بيتا » ، بحثا عن اسلحة كانت السلطة قد وزعتها علـى اهلها ، للدفاع عن انفسهم • وقد تتصور وحشية هذا «البحث» حتى من خلال وصف مثير كـــاركو مراسل التلفزيون الاميركي ، لدخوله بيتا من بيوتها مع دورية اسرائيلية اذ « ارتمت النسوة على قدميه صارخات : اننا نحب اليهود• اننا نحبكم • لا تطلقوا علينا النار » • وأية صعوبة وجدها المراسل «الشهم» في « تهدئتهن واقناعهن ، بأنه لم يـأت لقتلهن ، ولكن ببساطة لتصويرهن للتلفزيون الاميركي » ، هن بالطبع والاسرى الشبه العراة ، يؤمرون بالانبطاح على الارض ، دافني الوجوه في التراب ، مادي الايدي العزلاء الى امام • فلا بد للتلفزيون الاميركي من ان يمتع مشاهديه بهذه الصور المصرية ، ويسجل سبقا •

اجتمع العمداء الاسرائيليون الثلاثة : تال ، وشارون ، ويوفيه ، كما قلنا اذ تركناهم على مداخـل جبـل لبني ، وتقاسموا فيما بينهم مجددا ، قطاعات الجبهة • فاما تـال فسيحتفظ الان ، بالمحور الساحلي ، مكملا زحفه نحو

موقع الرمانة • واما شارون فسيظل يتقدم جنوبا ، بعد الاستيلاء الكامل على ابي عجيلة • بينما يطور يوفيه نشاطه بين المحورين ، في محاولة لقطع خط الرجعة ، على الجيش المصري ، بسد الطرق للقناة وللضفة المصرية ، الافريقية ، وللتقدم الى ممر المتلا الجبلي ، وهو ينتهي بالسويس ، وينفتح شرقا على الصحراء •

كان العدو يتوقع في السادس من حزيران ، بعد سقوط خط الدفاع الاول ، هجوما مصريا مضادا • فالفن الحربي يفترضه بالرغم من كل شيء • لماذا لم يحدث الهجوم المضاد الا متقطعا • أو لم يحدث الا جزئيا ، وكأنما دون ترابط وانتظام واستمرار ؟ بل لماذا اخذ يبدو بالعكس، ان الانسحاب الجزئي من الخط الاول قد يصبح انسحابا عاما ، بالغ الفوضى ؟ ظل العدو حتى ظهر ذلك اليوم قلقا، يحسب كل حساب ، لهجوم مضاد عام كهذا منظم مترابط ، من القوات المصرية الاساسية وكانت ما تزال سليمة في معظمها ، ما عدا في الطيران، هجوم سيزيده خطورة، ان مواقع الجرادة وغزة والعريش والكونتيلا وسواها ، من المواقع الخلفية في خط الدفاع الاول ، ما زالت تقاوم بضراوة واستبسال عجيبين• وانه على الرغم من كل شيء فان هناك بعض الوحدات والقطعات المصرية المتفرقة ، ما زالت تكر على « الجيش المظفر الذي لا يقهر » في اكثر

من موضع وناحية ، وتضعضع احيانا صفوفه وترده مع تعذر المساندة الجوية ، الا في الشواذ ، على اعقابه ، وتضطره ، والكلام عموما للماجور ادغار اوبلنس ، اكثر من مرة ، « الى اعادة تنظيم قواته، والى اقالة بعض الضباط الذين فشلوا في مهماتهم ، والى نقل آخرين ، « حتى في تلك الظروف » من الجيش العامل الى الاحتياطي، والى احالة بعض العسكريين ، الى المحاكم العسكرية ، لاسباب محض عسكرية ، والى صرف النظر عن محاكمتهم بعد النصر، للاحتفاظ ببهجته ، فكثير من العسكريين لم ينفذوا الاوامر المعطاة لهم ، ثم الى ان يبقى كل ذلك في النتيجة سرا ، في الدعاوة الاسرائيلية ، حتى لا تهتز اسطورةالجيش الغلاب دائما ، في الاذهان » .

العميد مرتجي قائد عام الجبهة المصرية ، كان يملك بالفعل في خط الدفاع الثاني القوة المتحركة اللازمة المرتفعة المعنويات ، المتعطشة للقتال ، لشن هجوم مضاد . ولكن اين الطيران ، وقد ظل العميد مرتجي يجهل حتى الظهر بالمناسبة كارثة الطيران على حقيقتها ؟ بل اين اذا ما استغنينا نوعا عن الطيران ، حتى وسائل الاتصال اللاسلكية ولا بد منها، بالقطعات، ولا حرب بلا اتصال، ولا قيادة بلا اتصال، وأي جيش في العالم يفقد الاتصال بين قياداته ووحداته، ثم يظل جيشا ؟ يجمع النقاد والمعلقون العسكريون

على ان وسائل اتصالنا الحربية اللاسلكية ولم تكن فـي نظرهم يوما في المستوى المطلوب، قد تردت ايضـا فـي السادس من حزيران خصوصا، لدرجة العدم على ما سنتأكد قريبا • طرأ مهما يكن القول في نقص وسائل اتصالنا قبلا، شيء ما عليها، غير طبيعي ابدا، افسدها واخرسها في ذلك اليوم، وكأنما عطلها تماما، وافقد العميد مرتجي بذلك كل حرية مناورة في معركة ، لم تكن قد خسرت بعد في هذه المرحلة • مرتجي قبل غيره يظل مسؤولا في جميع الاحوال، لانه لم يفترض ، حدوث الشيىء اصلا ، ولا وضعه في حساباته ، وكل أمر جائز في الحرب ، ولم يعين مسبقا مـا يجب عمله على الجميع ، عند حدوثه • اعطى فيما يظهر حوالي الظهر امرا بالانسحاب الاول للخط الدفاعي الرأسي في الوسط • وكان يأمل ان ينطلق منه قبل قرار الانسحاب العام المفاجىء فيما بعد ، الهجوم المضاد • ولم يتبلغ كل من يجب امره • تبلغته بعض القيادات والوحدات دون الاخرى فظلت هذه الاخيرة لا تدري ما عليها ان تفعل ؟ أتبقى فـي اماكنها مدافعة ، ام تهاجم ، ام تتراجع منسحبة ، الى ان اجتاحتها الحيرة ، وسادتها بوجه عام فوضى ، سرعان مـا تحولت قبل امر الانسحاب العام احيانا الى تخاذل فـي بعض الوحدات والقيادات الميدانية ، حملها حتى على ترك قياداتها ، اللواء الرعديد عثمان نصار مثلا ، والتخلي عـن

واجباتها ، للنجاة بالنفس حتى دون نجاة غالبا • ولربما متصورة في حال الجنود ، انها ضحية خيانة عامة • او واقعة بالعدوى تحت تأثير ذعر جماعي ابله • لم يتثاءب بـه بكر حتى تثاءب عمرو • فاذا بالجميع خراف (بانورج) • قفز احدها الى الحفرة والتهلكة ، فاحتذاه القطيع • انسحبوا شر انسحاب ، دون ان يكونوا مضطرين الى ذلك كـل اضطرار • فالفن العسكري باجماع اهله لا يحتم ان يكون الانسحاب انكسارا • بل والتاريخ العسكري مليء بالامثلة، وحسبنا دنكرك وحدها في الحرب العالمية الاخيرة ، فلربما كان الانسحاب الناجح انتصارا كبيرا احيانا في حد ذاته ، تسلم به على الاقل ، معظم القوة لجولة ثانية •

انسحاب أو حب الهزيمة

الفصل الرابع عشر

خشي العدو انسحاب الجيش المصري، بعد ان ظهرت بوادره في السادس من حزيران، الى خط دفاعه الثاني في الوسط . راديو القاهرة اذاع يومها نداء لوحدات جلال حلمي ، يأمرها فيه بالالتحاق بقواعدها ، وعاد فأكد بالتالي الامر . فاذا ما نجحت القوات المصرية في الانسحاب بانتظام سالمة ، هددت انتصاره كله وذهبت به . وقد اسرع العميد غافيتش القائد العام للجبهة الجنوبية يلحق بالفعل في حوامة بالعميد تال في مقره العام في بئر لحفن البعيدة اربعين كيلومترا عن العريش ، ويعرب له عن مخاوفه ، حتى قبل سماع الخبر من بعض الاسرى المصريين . ويطلب اليه ان يغذ السير ويجهد في تطويق القوات المنسحبة على غير هدى عموما ، لاضطراب وسائل الاتصال فيما بينها وبين قياداتها ، وسد كل الطرق في وجهها . فهو ما لم يقض على هذه القوات ، لا يكون قد صنع شيئا .

وهكذا راح تال يواصل تقدمه ويتم استيلاءه في الوقت ذاته على موقع الجرادة . وقد يسره له مرة ثانية بعد غزة، عثوره مع عقيد مصري اسير على خرائط لحقول

الغامه ، كما يسر سقوط الجرادة نفسها تحرير شاحنات الزيت وعربات الذخيرة والقنابل لدباباته الساتوريون في العريش • ولم تكن قد سقطت ايضا • بل انها لم تسقط اخيرا ، الا بعد ان طوقت ، فيما سلفت الاشارة ، بيتا بيتا وانقطع كل امل للقوة المدافعة عنها في الانسحاب • وجرح قائد مدفعيتها واسر وطلب اليه ، على ما رأينا في احوال مشابهة مع اللواء احمد مدحت فهمي ، ان يأمر رجاله بالتسليم حقنا للدماء ، فيأمر ويستمع اليه هذه المرة رجاله • لكن « بعد ان ملأوا فوهات مدافعهم بالمتفجرات ونسفوها » •

التقت فرقتا تال ويوفيه جنوبي مفرق بئر لحفن بعد ظهر السادس من حزيران • ونسقتا فيما بينهما هجومهما على جبل لبنى • وكانت تدافع عنه مع موقع بئر الحسنة ، الفرقة الثالثة المصرية • وقد ابتدأت معركته في الساعة السادسة عشرة ، من ذلك اليوم • وتميز فيها قائد لواء الدروع المصرية العميد عبد المنعم واصل ، اذ صمد في مواقعه الحصينة • واستطاع بيقظته ومهارته ، ان يلحق بالعدو الذي حاول عبثا بالهجوم المباشر ، ثم بالاحاطة ، استدراج دباباته الى خارج مكامنها ، خسائر فادحة • ولم ينسحب ليلا بعدئذ الا بأمر • وراحت قوات تال تعمل الى يمين طريق بئر لحفن • واما قوات يوفيه فالى شماله • وقد تقدمت

هذه القوات الاخيرة مع قوات شارون • وكانت قد مرت بينها نحو الهدف وهو جبل لبنى، من ناحيتين مختلفتين ، لتلتقيا بعد الاستيلاء على كل النقط الدفاعية المصرية الفرعية بين الناحيتين ، ولتأمنا بالاستيلاء عليها كل خطر من المؤخرات • وهما لن تلتقيا ، الا اذا احتلتا تلك النقط • وقد عجز العقيد ايساكار قائد دبابات فرقة يوفيه بعد ساعتين ونصف من القتال ، وكان « لم ينم فيما يظهر منذ ثلاثين ساعة » على حد قولهم ، عن تحقيق كل الاهداف ، واخضاع جميع النقط المنعزلة ، كما لا يجب ان ننسى • اما قوات شارون فاستطاعت وبرضاها فيما يبدو هذه المرة، فتح ثغرة اخيرا لقوات يوفيه ، تنفذ منها لتلتقي بها •

قام العدو كذلك في السادس من حزيران بهجوم من قطاع ابي عجيلة باتجاه الجنوب والشرق حيث تسهل له رحابة المدى بين القصيمة وبئر الحسنة ، المناورة • وقد تمكنت قوات فرقة شارون في المساء من التماس بخطوط القصيمة المتقدمة • وكانت الاوامر ان يظل يتقدم صوب موقع قلعة النخل • ويصف لنا موتكة قائد دبابات فرقة شارون نفسه قتاله يومها واوضاعه العامة مع رجاله فيقول : «كان الرجال منهكين والدروع• ولم يكن قد بقي لدي الا اقل من نصف دباباتي السانتوريون • كنت في حاجة الى بعض الساعات لاصلاح عرباتي ودروعي• قررت

قضاء الليل قريبا من متفرعات القصيمة ــ بئر الحسنة » .

لكن بالرغم من فوضى الانسحاب المتأتية في الدرجة الاولى ، من فقدان وسائل الاتصال او تشويشها الـى اقصى الحدود، في تلك الظروف العسيرة ، فقد ظل واضحا للعدو في اليوم السابع من حزيران الاربعاء ، ان معظم الدروع المصرية ، كان لم يخض القتال بعد معه . وان لا بد له في جميع الاحوال ، ليضمن انتصاره ويكرسه من ان يستغل بسرعة فرصة الاضطراب السانحة ، بتراجع القوات المصرية العام ، ويحاو لالقضاء على كل ما يستطيع مـن وحداتها المدرعة ، فـي أحسـن الظروف بالنسبة اليه . فيستدرج ويستفز بعضها لقتال غير متكافىء في غيـاب كل حماية جوية لها . ويوكل خصوصا امر تدميرهاالجماعي للطيران .

أخذت بعض وحدات المؤخرة المصرية تعبـر فعـلا جسور القناة ، عائدة من سيناء . وما على العدو الا ان يعمل اذن على عجل ، ويستنفر معظم طيرانه . وهو لـم يتخلف في كل ما رأينا قبلا ، عن مساندة جيوشه منذ اليوم الاول للحرب ، لتدمير عدة الحرب المدرعة المصرية بصورة جماعية ، على طرق الصحراء القليلة الواضحة المكشوفة ، قبل ان تفلت منه . لم يعد القتال عندها قتالا . اصبح صيدا سائغا من الجو ، للدبابات والعربات المنقلبة والمحطمـة

والمحترقة والمعطوبة ، ولو ان محركاتها ما زالت تهدر ، بعد ان غادرها من كانوا فيها ، ناجين بأنفسهم حيث استطاعوا ، هائمين على وجوههم او احترقوا في الاكثر ، وتناثروا حواليها اشلاء .

استطاعت بعض وحدات المدفعية المصرية بجهد خارق ، من التجمع حتى في هذه الاحوال ، والتصدي بقوة للعدو في محاولة بالغة الشجاعة ، لحماية الانسحاب ما امكن . وقد كان لمجابهتها للعدو على هذه الصورة اكبر الاثر في نجاة بعض القوات المنكفئة ، من التدمير المحقق . ومضى العميد تال من ناحيته بجموع دباباته ، في حركة التفاف الى الشمال من قوات يوفيه ، في مواجهة جبل لبنى . ثم تابع تقدمه الى بئر الجفجافة مشتبكا في طريقه مع قوة مشاة مصرية معززة ببعض دبابات (ت ـ ٥٤) ، تغلب عليها . وتابعت تقدمها نحو بئر الحسنة وممر المتلا ، قوة العقيد ايساكار من فرقة يوفيه المكلفة على ما نذكر اساسا ، بقطع خط الرجعة للقناة ، على الجيش المصري . فما ان اخذنا طريقنا ، (والنص بلسان العقيد ايساكار) : «حتى كان بمقدورنا ان نلاحظ ، بأن فوضى كبيرة تسود الصفوف المصرية . كانوا في وقت ما بيننا يختلطون بنا . وقد تمكنا من تدمير ثلاثين ناقلة وعربة ومصفحة لهم . عطلنا خلال نصف الساعة ثماني دبابات ، وخمسة وثلاثين مدفعا .

عشرات المشاة المصريين قتلوا ، وهم يهبطون من مرتفع. بلغنا بئر الجسنة الساعة العاشرة صباحا . وقد سقط الموقع بأيدينا بعد اشتباك قصير . هنا اسرنا اهم العمداء الاسرى المصريين التسعة ، العميد صلاح ياقوت ، من خريجي دفعة عبد الناصر في المدرسة الحربية لعام ١٩٣٨ . وقع بالمصادفة اسيرا . جاء يتفقد قبل يوم من الحرب مواقع المدفعية في سيناء . ولم يكن قد اكمل جولته لما اندلعت الحرب. دهمه الاعصار ورمى به بين يدي زخال» . ضابط اسرائيلي كبير سأله ، حسب عادتهم في الاسئلة المسمومة : « لماذا نقتتل في الواقع ؟ لنكن صريحين . هل انكـــم في حاجة الى هذه الحرب ، بينما ارضكم بهذا الكبر ، وارضنا بهذا الصغر »؟ ويجيب العميد ياقوت : « انني جندي واني لانفذ اوامره فأما خارج هذا فاننا لا نحارب لفتوح نفتحها . ولكننـــا نحارب من اجل اللاجئين الفلسطينيين » . ومـــن ايـــن للصهيوني ان يفهم ، ولو فهم، ما يعنيه مصريا وعربيا، جواب كهذا ينعي للصهيوني الصهيونية مهما تنتصر .

انفذ العميد تال في الليل قوة تساعد فـــي جبهته الجنوبية على تصفية الجيوب المصرية المتبقية على جوانب بئر لحفن . وقد احتلت هذه القوة فـــي الطريق مطـــار العريش . وكانت الطائرات العدوة قد تحاشت على مـــا سبقت الاشارة تدميره كله نوعا ، بغية استخدامه بعـــد

قليل . وعثرت فيه على حجرة موصدة ، تعلو بابها عبارة « انتبه ــ خطر » . خلعوا الباب . كانت الحجرة فيما قالوا مخصصة لتعليم كيفية استعمال الغازات الخانقة . وفيها الى ذلك معدات اشعاعية وبكتريولوجية . ولكن ما من قذائف غازية ولا جرثومية . اقنعة غــاز ليس الا . ولــم تمض ساعتان على احتلال المطار ، حتى جاءت الجرافات تعده ، لاستقبال الطائرات الاسرائيلية .

بئر الحسنة الموقع الحربي وقاعدة التموين الهامة ، وقد ذكرنا انها سقطت في اشتباك قصير ، كان الاصح ان نقول انها لم يدافع عنها تقريبا . اذ لم يجد العدو فيها عند احتلاله لها ، الا العميد صلاح ياقوت ، وثلة رمزية معه لا تذكر من الجند . فقد غادرتها الوحدات المدافعة عنها قبل وصول العدو . كيف بقي مثل العميد ياقوت ولم يستطع مغادرتها لو كان الانسحاب طبيعيا ؟ لا نعلم . لكن العدو لم يفد فقط من هذا الكسب المعنوي الكبير في بئــــر الحسنة . بل افاد كذلك من كميات الوقود والمياه الهائلة السائلة المخزونة فيها . كان في حاجة شديدة اليها ، لانــه تهافت عليها فورا قبل ان يستأنف سيره الحثيث الى ممر المتلا الجبلي مفتاح طريق القناة ، البالغ طوله ثلاثة وعشرين كيلومترا . الممر شهير وقد سبق ودارت فيه اثناء حرب السويس معركة ضارية كبدتها اسرائيل ، بانزال فوج من

المظليين في المتلا ، على رأسهم العميد شارون بالذات ٠ وكان ما يزال وقتها قائد لواء ٠ فالذي يسيطر على المتلا ، يتحكم فعلا بطريق السويس ٠ لكن العدو لم يكن في اندفاعه هذه المرة نحو المتلا ليقاتل غالبا عدوا يقاتله ٠ وانما قوات تنسحب ٠ وكل ما عليه ان يدركها ويسبقها الى الممر ، ليسد طريقه في وجهها ٠

روى العقيد ايساكار وقد استشهدنا به الى الان اكثر من مرة ، لانه قاد شخصيا من ناحية العدو، السباق الى ممر المتلا ، وكان سباقا بكل معنى الكلمة ، اكثر منه معركة ، قال ، ونحن لن نختصر او نحذف كلمة منه : «كان قد اصبح ظاهرة عادية وامرا مألوفا ان نرى مصريين يسيرون بأقصى السرعة على جوانبنا ٠ كنا ننطلق كمجانين ٠ وكان الوقود ينفد من حين الى آخر من بعض الدبابات ، فتضطر الدبابات المتوقفة الى الاشتباك بارتال الفرار ٠ قامت احدى قواتنا بعد ان نجحت في التزود منه بملء خزاناتها ، بتوزيعه على تلك الدبابات ٠ ادركت بعد الظهر بأني لن أتمكن بهذه الطريقة من اداء مهمتي ٠ فالدبابات الهاربة قد ابتعدت عنا قليلا ٠ ويجب علي لانصب لها كمينا ، ان ابلغ بأي ثمن ، ممر المتلا ٠ تلقى احد القادة امرا بالوثوب على المتلا ، فبلغها مع تسع دبابات ، تقطر خمس منها، الاربع الاخرى٠ جرى قطر هذه الدبابات تحت انف المصريين ٠ ثم تبين بأن

هذه الوحدة (ويعني المصرية التي التقت الدبابات التسع) هي ايضا من دبابات الساتوريون • وقد خالتنا مصريين لاننا لم نطلق عليها النار ، فسمح ذلك لدباباتنا ، بتسلق مسافة كيلومتر بعيدا عن نصب (باركر) التذكاري القائم هناك • وعندما قرر القائد بأن لعبة التهدئة هذه قد طالت اكثر من اللازم ، فتح النار • ناقلتـــان مصريتان اصيبتا فسدتا طريق المرور • تكدست في المكان كمية هائلة مـــن العتاد • وكانت عرقلة سير بديعة في صميم الصحراء • هنا قاتل المصريون • بقي احد قادة قواتنا لوحده ، من الساعة الرابعة بعد الظهر ، حتى العاشرة من صباح الغد • كنت أمده خلال كل هذه المدة بالوقود ، مما نغنمه على الطريق من العدو • ولكي تتجنب كل تشابه والتباس، بين قواتنا التي تستخدم دروعا مصرية والدروع العدوة ، فقد اقمنـــا نقطة مراقبة كمن فيها ضابط ، وشرع يطلعنا باللاسلكي على هوية شاغلي الدروع المارة • كان المصريون ينتقلون فرادى ، ولا يكلفون انفسهم عناء التعاون فيما بينهم ، والاستفهام عما يحصل ، فيقعون آحادا في كميننا • وما من مرة اتيح فيها لخمس عشرة او عشرين مدرعة عدوة ان تحتشد معا ، الا وحاولوا اقتحام الممر • جربت ذلك قوة من (اس ـ او ، ١٠٠) • مدرعة واحدة استطاعت المرور• وقد دمرنا البقية من اول طلقة على مسافة مائتي متر او حتى

مائة • بيد ان الطيران قد قام بعمليات التدمير الاشد هولا بكثير • فكل دروع حاولت الهرب، سمرت على الارض• كانت هناك اعداد كبيرة من الدروع ، حتى لقد خشينا ان تسد الممر على قوات زحال • خيطت متلاحقة حوالي مائة مدرعة ، وراحت تحترق • المصريون يخلون دروعهم المشتعلة ، ويختبئون بين الصخور • اضحى الممر بالنسبة اليهم قبرا • وبات بالنسبة لعرباتهم حظيرة ، لهياكل من كلنس » •

اطمأنت اركان حرب رابين منذ اليوم السادس من حزيران الى نجاح الهجوم في كل القطاعات، بعد ان بات بالانسحاب ، على ما رأينا ، سباقا بين عدائين • فأولت عنايتها دون ان تتوقف عن متابعته ، لمضايق تيران المغلقة • وقد كانت السبب الظاهر المباشر للحرب • وبدأت فيها عملية حربية بحرية جوية مشتركة مضمونة باستطلاع ، لا بد انه سبقها ولا شك ، قامت به في فجر السابع من حزيران او قبله ، عمارة بحرية والمظليون • اسطول صغير من بواخر الانزال والطوربيد يخرج لمهاجمتها وفتحها ، من ام الرشراش ـ ايلات ماخرا طوال خمس ساعات ، مياه خليج العقبة القاتمة العميقة ، وكأنها بجبال سيناء العمودية الى شمالها ، والعربية السعودية الى يمينها ، قناة كبيرة او سد هائل محكم الجدران • وكان بعض المظليين المتربصين في

الجبال يهبطون عليها في الوقت نفسه ، وهي تهاجم من البحر .

اقتربت العمارة الاسرائيلية في منتصف الطريق من واحة (ذهب) الهزيلة . وكان سكانها الاعراب القلائل قد هجروا مضاربهم وأكواخهم فيها الى الجبال ، منذ بداية الحرب. ولم تجد فيها احدا . ثم اقتربت من جزيرتي صنافير وتيران وسط صخور مرجانية لا تدع كما سيق في موضعه ، الا مجرى ضحلا قصيرا ، بين الشاطيء والجزيرتين الصغيرتين ، ولم تجد احدا ، سوى ثلاثة مدافع بحرية ، قد انخفضت فوهاتها نحو الماء . ارتاب العدو واوجس خيفة . فلعل هناك خدعة وكمين حرب. واخذ يطلق قنابله هنا وهناك . فلا يرد عليه احد . ولما بلغت العمارة شرم الشيخ ، البعيدة خمسة عشر كيلومترا ، عن الجزيرتين ، نزل بعض رجالها الى الساحل ، فوجدوا في حصنها كمية من الاسلحة والطرود ، كما هبط عليها كذلك في الوقت ذاته بعملية مجوقلة المظليون من طائرات النقل الجوية (نورد اطلس) والطائرات العمودية وفتشوا كلهم الجنبات والضواحي ، فلم تخدش لهم بالطبع اصبع . غواص عدو فقط ، غطس يبحث عن الغام ربما كانت مبثوثة في ناحية ما . عضته سمكة . احتلت شرم الشيخ سبب الحرب الظاهر دون حرب . بلى وجد العدو بعدئذ على

مدخل البحر الاحمر من ناحية الجنوب ، قاربي صيد مصريين يتجهان الى السويس، وفيهما حسب روايته، ثلاثون رجلا بلباس البحر ، هم بدليل ما عثر عليه معهم من اسلحة في القاربين ، ولا يقول نوعها ، حرس المؤخرة للحامية المنسحبة . وهنا اسرعت الاميرالية الاسرائيلية تبرق لرئيس بلدية ايلات ام الرشراش ، تبشره بالفتح ، ولناقلة الزيت الاسرائيلية (الدولفان) الراسية منذ اسبوعين بشحنتها آنئذ ، في مرفأ جيبوتي ، تستقدمها . فقد امنت لها حرية المرور بالمضايق .

فجاءات العجز والخيانة

الفصل الخامس عشر

يتأكد كل يوم اكثر فأكثر ان أمر الانسحاب الصادر للجيش المصري في السادس من حزيران ، كان كارثة في حد ذاته . جيش بهذه الكثافة ، مائة الف او حواليها او ربما اكثر ، منتشر في منظومات دفاعية محصنة قوية ممتدة على مساحات كبيرة ، كيف يكشف للطيران فجأة في صحـراء ولا سيما بعد ضربة الطيران ، ما دام قادرا على الصمود مدة طويلة . كيف يعرى بانسحاب لا تفرضه على الاقل بهذه السرعة ، الضرورات العسكرية والسياسية القاهرة ؟

الدارسون والمعلقون الكبار حياديين واعداء مجمعون تقريبا على استهجان الامر . ولكن العميد العراقي الركن حسن مصطفى يذهب في دراسة له عسكرية قيمة جديدة عن حرب حزيران ، حتى للحكم عليه حكما قاطعا . فبالرغم ، يقول الجندي العربي المجرب من : « ان موقف القوات المصرية في سيناء بعد مرور ٣٠ ساعة على بدء الحرب كان حرجا ، وليس في صالح الجانب المصري، انه لم يكن مـع ذلك سيئا الى درجة تبعث على اليأس ، وتجعل القيـادة العليا للقوات المصرية المسلحة تفقد ما تبقى من صوابها ،

فتصدر اوامرها المرتجلة الى قواتها في سيناء ، بوجوب الانسحاب الى غرب قناة السويس خلال ٢٤ ساعة » . الا نجد في هذه الحكم يكظم غيظا عميقا مما حدث ، وسخطا عظيما على المسؤولين عنه ايا كانوا ، وحرصا على الاتعاظ به ، حتى صدى صدمة (الترام) ، ذلك التعبير المشهور قبلا للرئيس المغفور له عبد الناصر في خطبة مؤثرة عقب الكارثة مباشرة ، كظمت من ذلك ، كبرا ومسؤولية ، هي الاخرى، الشيء الكثير ؟

من هم اولئك الذين فقدوا ما تبقى من صوابهم وصدمهم الترام ، فاعطوا أمر الانسحاب وذابوا في الذرى بأول نار ، وكان ذلك الامر من الاول خطأ جسيما من الوجهة العسكرية الفنية الصرف ، ثم زاده خطأ انه لم يعط بواسطة قيادة الميدان ، وهي المفروض فيها ان تنفذه. بل كأنما أعطي من وراء ظهرها ، حتى شاع ان الفريق المرتجي ، وكان هذا من الزم واجباته ، احتج عليه وقتها بشدة ، فلم ينصتوا له ؟

يناقش العميد الركن حسن مصطفى طويلا امر الانسحاب الغامض ، بعد ان ظهر كذلك ، ليعزي ان امكن العزاء ، ان جهاز التخطيط العسكري الفني في الجيش المصري ، وهو كما لا يجهل احد ، دماغه المتصف بالكفاية على اعلى مستوياتها ، لم يستنشر فيه بدوره ، فيقول في

النتيجة : « اذا كان لا بد من سحب للقوات المصرية من الخط الدفاعي الثاني ، فكان من الواجب ان لا تتعدى في انسحابها ، خط المرتفعات التي فيها المضايق الاربعة لسيناء ، يقصد (الرمانة ـ والجفجافة والجدي والمتلا) ، فتدافع هناك مستفيدة من مناعة المضايق ووعورة الاراضي • ومثل هذا الانسحاب كان اسهل بكثير من الانسحاب الى غرب القناة واكثر فائدة منه • فقد كان سيساعد على بقاء قناة السويس مفتوحة للملاحة الدولية ، ويؤمن للقوات المصرية في الوقت نفسه ، موضعا منيعا يساعدها على الدفاع ومنع العدو من الوصول الى ضفة القناة الشرقية ، والسيطرة من هناك على مدن القناة ومنشآتها الحيوية • وليت العميد العربي زاد عن الانسحاب ، ولعله اهم من كل هذه الاسباب : « ولا يحقق لاسرائيل هذا النصر السياسي المعنوي الاعلامي المنقطع النظير برفع اعلامها على ضفة السويس، وهي أكثر من مجرد اسم جغرافي عربيا ودوليا» •

كانت القيادة العامة المهيمنة على وزارة الحرب والجيش وقتها ، وقد عرفت بعدئذ بشلة المشير «تعتقد» فيما زعمت وكما كشفت عن ذلك بعض اعترافات شمس الدين بدران وزير الحرب ، في محكمة الثورة ، انها تحفظ بذلك الجيش فيظل سليما • فاذا ما سلم لها هذه السلامة ، عادت فتقربت من اميركا وتوسلتها لتضغط على اسرائيل

للانسحاب ، قياسا على ما فعلته في حرب السويس • وانه ليصعب علينا ان لا تتساءل بعد ان وثقنا من فساد هـذا التفكير من الوجهة العسكرية اولا ، وعلمنا ان قيادة الميدان وجهاز التخطيط العسكري الفني المختص قد استنكراه في حينه ، ماذا كان يعوزه ليكون ، ولنقلها مهما تحز في النفس، مؤامرة تزكم رائحتها الانف وخيانة ؟

يذكر السيد حسين الشافعي هو قبلنا على كل ، ومن عامين (الخيانة) بصراحة في حديث له مشهور مع مراسل جريدة «السياسة» الكويتية عن الاحداث ، كان قد ادلى به اليها وكرر معناه مجددا كما سبق القول فـي محاضرة جديدة له عامة في القاهرة • « ان ما حدث سنة ١٩٦٧ من هزيمة كان خيانة مدبرة • وليس نتيجة ظروف معينة » • وقد «بانت» الخيانة على ما يشرح الشافعي بلغته كذلك ، باعتراض المشير على عدم تعيين شمس بدران خليفة لعبد الناصر بعد استقالته • والشافعي وهو الشافعي في النظام المصري والثورة، لا يستقي معلوماته من الدعاوة الاسرائيلية، ومن (تحطمت الطائرات عند الفجر) واضرابه ، عن شلة المشير شمس بدران وصدقي محمود وصلاح نصر واللواء عبدالله هلال وجلال هويدي وسواهـم مـن انتهازيين ، استغلوا ربما موجهين فيما لا نستبعد ، ولو بصورة غيـر مباشرة من الخارج ايضا ، طيبة المشير وضعفه على شجاعته،

واقباله على الملذات وغروره . والرجل كان معروفا بالاضافة الى قصور ثقافته ، بالطيبة والضعف والغرور . وما كـان ليجوز ان تشفع له حتى سابقته المجيدة في الثورة ، ودالته على الرئيس عبد الناصر ، للبقاء في مركزه الخطير ، ولا سيما بالاستقلال الكبير فيه وتركه بعد فشله في سوريا واليمن وتواتر انباء ضعفه وفساده ، يغدو العوبة بيد شلته تنجرف به ، ولربما دون وعي منها ومنه ولا ادراك ، الـى طريق ستتوسل اميركا ، كما قال شمس بدران دماغ الشلة نفسه على ما يظهر في المحكمة . وكأنه مجرم يقول خذوني، « لنضغط على اسرائيل لتنسحب مـن سينـاء » متناسيا بالمناسبة كل ما اوردناه قبلا في غير موضع ، عـن عظم الفوارق والقوى في هذه الحرب وحرب السويس ، فاضحا بنفسه تجاوز الشلة بكل ذلك للزعامة السياسية الثوريـة القائدة القائمة عندها ، وكان من مسؤوليتها وحدها في نهاية المطاف اتخاذ القرارات الحربية المصيرية بالتشاور مع رجال الحرب المختصين طبعا . فالحرب خصوصا هذه الحرب ، كانت من هذه الناحية شيئا اخطر بكثير ، كما في القول الفرنسي المأثور ، من ان يترك للجنرالات .

أين كان الرئيس عبد الناصر ، ولا يخفي كم شجب ، في احاديث خاصة وعامة بعدئذ أمر الانسحاب ؟ عبد الناصر أكبر ، تشهد بذلك كل سيرته ، من ان يقال عنه انه رجل

يقنع لنفسه في منصبه بالدور الشرفي البروتوكولي ، او يتهرب من مسؤولياته الكبرى العملية فيه ، بالقائها على عاتق غيره ، كما يفعل الكثيرون في احوال الفشل . خلق الشهامة والزعامة في الرجل ، وقد تكرس بعد الموت الذي يمحص كل افتراء ، هل كان ليرضى ، لو انه كان مطلعا على الأمر وموافقا عليه ، ان يحيل بالاقل مصدريه المسؤولين عنه ، لمحكمة ثورة تحملهم وزره ؟ لقد استقال عبد الناصر مع ذلك الاستقالة الشهيرة التـــي رفضتها الامة العربيـة بأسرها لا مصر وحدها عند ذاك ، لانهـا ادركت بحدسها الصادق دون ان تكون قد اطلعت وقتها ايضا على الحقائق بعد ، انها استقالة جاربها عبد الناصر على نفسه وعلى امته، وانه ما كان له ان يتخلى عن سكان القيادة مختارا او حتى مكرها على قول ، تاركا السفينة لكل العواصف والانواء دون ربان . يلقي الوزير البريطاني (انتوني ناتنغ) المعروف بصداقته الشخصية للرئيس عبد الناصر اكثر من كل من تعرضوا في مصر وفي البلاد العربية ، بعض الاضواء في هذا المجال ، في كتابه (ناصر) على بلية عبد الناصر بصديقه المشير ، فيورد مثلا في (ص ٣٠٩) من كتابه المذكور : « استغل عامر سنوات ما بعد حرب السويس لاقامة قلعة حصينة من الشعبية حول نفسه ، تكاد لا تؤخذ . وكان عمادتلك القلعة الشعبية هيئة الضباط الكبار ، ممن كان

يدفع لهم عامر مبالغ ضخمة نقدا ، كلما ساءت احوالهم المادية • ولذلك فضل ناصر تقليص دور عامر السياسي ، على ان يفرض سلطته الفعلية على الجيش ، لئلا يصطدم مع هيئة الضباط الكبار • الا ان عامرا لم يقنع بفرض نفوذه الطاغي على الجيش وحمايته للقواد العديمي الكفاية ، من امثال صدقي محمود قائد القوات الجوية • بل راح يتدخل في الوظائف الدبلوماسية والادارية ايضا • وبالاضافة الى تعيين محاسبيه في السفارات الشاغرة استطاع عامر تعيين بعض اتباعه كذلك على رأس بعض المحافظات ، وحتى تسمية وزير او وزيرين ايضا •• هذا الوضع دفع ناصر الى التقرير بان الوقت قد حان لاعادة عامر الى حجمه الطبيعي، ولتكن ما تكن النتائج • والطريق الوحيد للوصول الى هذا الهدف هو نسف اساس سلطته ، اي نفوذ عامر الشخصي في الجيش » •

« •• دعا ناصر صديقه عامرا ذات يوم من عام ١٩٦٢ واخبره انه يريد استبدال قائد القوات الجوية محمود ، وقائدي البحرية والمدفعية • وافهمه انه بصفته رئيسا للجمهورية ، فهو المسؤول عن جميع شؤون الدولة ، بما فيها الجيش • وانه غير مستعد منذ اليوم لتحمل مسؤولية الجيش دون ان تكون له السلطة الفعلية للاضطلاع بهذه المسؤولية • رفض عامر بشدة الطلب ، وهدد بالاستقالة من

جميـــع مناصبه بما فيهـــا منصب النائب الاول لرئيس الجمهورية • تماما مثلما حدث من عام مضى ، عندما فكر ناصر بقص جناح رفيقه• ولم يستطع عامر تجاه اصرار ناصر في النهاية ، الا النزول على طلب (الريس) • ولكن قبل ان تصبح تلـــك القرارات نافذة المفعـــول ، اختفى عامر في مرسى مطروح ، وامتنع لبضعة ايام عن الرد على اي كان • استدعى ناصر حالا نواب الرئيس وأعلمهم بان عامرا ربما كان يعد انقلابا في مرسى مطروح ، ولذلك فهو يصر على اقالته فورا • الا ان نواب الرئيس لم يوافقوا علـــى طلب ناصر ، بحجة انه لا يجوز اتهام عامر واداناته في اثناء غيابه• فاضطر ناصر الى سحب اقتراحه » •

« بعد مشاورات طويلة اتفق على ان يتولى عبدالناصر القيادة العليا للقوات المسلحة ، وان يصبح عامر نائب القائد العام• فأما السياسة الدفاعية فتقرر ان يشرف عليها مجلس للدفاع برئاسة ناصر وعهد الـــى لجنة للدفاع الوطنـــي ، بالاشراف على القوات المسلحة ، وتألفت تلك اللجنة من البغدادي وعامر وزكريا محي الدين وكمال الدين حسين • بيد ان استقالة البغدادي بعد عام ، شلت اعمال المجلس • فعاد القديم الى قدمه ، ولم تنفذ قرارات استبدال القائد محمود وبقية رفـــاقه • واستعاد عامر نفوذه في القوات المسلحة المصرية •• » •

ثم يعـــود انتوني ناتنغ الذي وقع عـن الجانب البريطاني بقلم الرئيس عبد الناصر ، اتفاقية الجلاء واستقال استقالة مشرفة من الوزارة ، احتجاجا على دخول بريطانيا حرب السويس ، ولا يمكن ان يتهم بالتالي بعداوته للعرب، وقد كان في مصر عند اندلاع الحرب الاسرائيلية العربية الاخيرة يشهد احداثها وتطوراتها فيقول في ص (٤١٩) من كتابه (ناصر) كذلك ، مؤكدا مسؤولية عامر في الانفراد بادارة شؤون الحرب وبتقديم المعلومات الكاذبة عن سيرها للرئيس عبد الناصر : « استطاع عامر خداع ناصر باقناعه بان الجيش المصري قادر على الدفاع عن مصر على الاقل ، وحتى لو كانت مقدرته الهجومية موضع تساؤل وشك . واخفى عنه انباء جبهات القتال ايضا . فأصدر بلاغات كاذبة تدعي تقدم القوات المصريـة ، بينما لم تكـن لتتقدم في الواقع سوى القـوات الاسرائيلية . ولكي يعرف نـاصر حقيقة ما كان يجري في الجبهة فقد اضطر الى استجواب الضباط الصغار بنفسه في هيئة الاركان العليا .. »

بل لقد كتب (ناتنغ) عن مأساة الرئيس عبد الناصر برفيق الثورة في ص ٤٢٩ مـن كتابه ايضا : « واحتراما لصداقته القديمة لعامر ، ارسل ناصر مـع انور السادات رسالة شفوية ، يتعهد فيها بعدم اعتقاله اذا غادر البـلاد فورا ، وبمده بكل ما يحتاج اليه من مبالـغ في منفاه .

ولكن عامرا رفض الاقتراح بشدة ، واصر على البقاء ٠٠ »

رفيقا ثــورة وعمر ٠ ولكنهما كما يقــول الشاعر : « عودان آس وخروع » ، من كل النواحي ٠ وقلما خلت ثورة من العودين ٠ لكن سؤالا يحرق الاعصاب هنا ٠ هل كان عبد الناصر قادرا بالفعل منذ البداية على ضرب الشلة العامرية وحسم امرهــا ، ولم يفعــل لاعتبارات عاطفيــة وانسانية فقط ، وهو استاذ التاريخ العسكري الذي كان يعرف خصوصا ولا شك ، ان عمر العظيم قــد عزل يوما حتى خالد بن الوليد ؟ ام لا لم يكن قادرا ، فالتزم بالصبر على الشلة الى ان يتاح له الخلاص منها دون تعريض الثورة والبلاد ، لانقسام داخلي خطير لا تؤمن عواقبه ٠ ولكن الاحداث عجلت ولم تصبر فضربت ضربتها ؟ اننا لو ملكنا المعلومات والوثائق الضرورية للحكم ، لما ترددنا في الحكم، حتى ولو لم يجيء الى جانب بطلنا ٠ فما مــن عظيم الا ويظل مهما يعظم بشرا ٠ ولكننا لا نملكها لانها لــم تنشر بعد او لم تكتب ؟ شيء واحــد لا نستطيع الا ان نسجله على ذلك منذ الان في هذا الصدد ، وهو ان الاعتبارات المثالية كانت اعتبارات لا يمكن ان تغيب بتاتا عن كل اعمال عبد الناصر ٠ كيف عامل فاروق الملك المخلوع ؟ كيف عامل كل رفاق الثورة ، حتى عندما كانوا يقفون ضده في اوج قوته ؟ كيف اغضى مرارا عمن سبق لهم في حرب السويس

وزاغت قلوبهم في اللحظات الحاسمة واصطكت ركبهم واستعجلوا الارث ، ودعـوه يومها حتى « لتسليم نفسه للسفارة البريطانية » ؟ انه من ناحيته لم يكن (ستالين) ، ولربما قلناها اليوم حتى عاتبين . لكن الشلة من ناحيتها هل تورعت عندما ظنت هذه المرة ايضا ان الفرصة مؤاتية ، عن محاولة تحميل عبد الناصر كل اخطائها ، والخلاص حتى في الظروف القاسية هذه القسوة على البلاد والامة بعـد « انسحابهم » و « هزيمتهم » ؟ كـان عبد الناصر يتعبهم ويحرجهم داخلا وخارجا في كـل ساعة ، ولو مـن باب المقارنـة فقط . وان في استقالتـه لأمانا مـن السقوط والعقـاب ، وضمانا للاستمرار والبقاء ، في نعم الحكـم ومباهجه ، لمثلهم . لقد « اوفدوا » اليه كما لا حاجة لترداده لانه بات معروفا جدا لليوم لا يجهله احد « ضباطا يدعونه عقب الكارثة لحساب يؤديه امامهم » ، فصعقت هيبتـه وحدها ضباطهم ، ثم صعقتهم لما اقتحم عليهم معقلهم بمفرده تقريبا ، ولقد قاموا « بغارة وهمية على القاهرة » ليعزلوه عن الجماهير ، فلم تنعزل عنه الجماهير . طافت «شرطتهم» تباشر انزال صوره من الشوارع والمحال ، كما حدث اكثر من شاهد عيان ليلة الاستقالة . وقد رقص لها اليهود في تل ابيب في الشوارع ، وهم الذيـن لم يرقصوا يـوم (النصر) على ما سنرى قريبا ولا عند انتحار المشير ، بعد

ان اسقط في يده وبدا على حقيقته . كانت مؤامرة رهيبة لو قدر لها ان تنجح تماما قبل ان يقضي عليها شيئا اذ ذاك حس الجماهير العفوي السليم في الوقت المناسب، لجعلت الهزيمة هزيمتين . وذلك بانفراد « المنقذين » الذين جلبوها عندئذ بالحكم وفرض انفسهم كبديل ، والعياذ بالله .

يذكر الفرنسيون الى اليوم المارشال (بازين) مثلا بغصة وانفعال . فكيف بنا نحن الذين ما زلنا نعيش كارثة المشير وشلة المشير ؟؟

الهايوتس وبناء المثلا

الفصل السادس عشر

عدلت القيادة العامة المصرية أمر الانسحاب ، بعد ان ثبت خطله وتأكد فساده . ومددت مهلته بأوامر مضطربة تناقضت عنه احيانا . لكن بعد ان فقدت او كادت كل اتصال لها منظم بالميدان . ولم يدر احد يومها ان سوء التقدير والتدبير والنوايا ، لم يكن وحده السبب في الهزيمة . كانت هناك معه « كائنات غامضة (هايوتس) بالعبرية التوراتية ، تروح وتجيء كالبرق » لعبت دورها الكبير فيها ، على ما يقول لنا الصهاينة بخبثهم المعتاد ، مستشهدين بسفر قزحيا عن (الميلرانابازاق) الحرب الخاطفة الغامضة ، يتم فيها النصر بفعل المفاجأة والخدعة . ولذلك سمى جنرالاتهم المنتصرون انفسهم ، حرب حزيران او حرب الستة الايام (الميلرانابازاق) ، دون ان يبتعدوا في الواقع عن الحقيقة الاسطورية والشهرة اليهودية القديمة في السحر . عشرات الفنيين الاسرائيليين ممن يحسنون العربية ، انصرفوا من مواقع سرية ثابتة ومتنقلة مختارة بعناية ، منذ بدأت الحرب او ربما حتى قبل ان تبدأ، الى التشويش بأجهزة الكترونية خاصة على الاتصالات العربية

وعرقلتها ، بينما فضل العدو نفسه فيما خصه كما سلف ، استعمال تلفونات الميدان القديمة ذات الخطوط العادية حيث اقتضى الامر ، على الاتصالات اللاسلكية ، لانها على حد قولهم « احفظ للسر » •

فقد راح هؤلاء « الهايوتس » بعد ان زودهم اهارون ياريف رجل الاستخبارات الصغير الذي لم يكن كل هذا البدع مع ذلك بدعه كما سنرى عما قليل ، بأدق المعلومات عن مواقع الجيش المصري وقطعاته وتحشداتها وتحركاتها ، حتى مع اسماء قادتها والقابهم ، على مستوى الطائرة ان صدقناهم ، وما جرى لا يكذبهم كثيرا من هذه الناحية ، والدبابة احيانا ، يصدرون لاولئك القادة باصطلاحاتهم الاوامر المنتحلة المزورة ، ويلغونها ويحرفونها ويتلاعبون بها • بل كثيرا ما قاموا حتى برسم الخطط الوهمية للالوية والافواج والسرايا ، للهجوم او التراجع او لشن هجوم مضاد مزعوم، على مواقع احتلها الاسرائيليون وفي نية القيادات المصرية مهاجمتها حقا • لكن بعد ان يكون هؤلاء قد اخلوها فعلا ، ليوقعوا مهاجميها في كمائن محكمة أعدوها لهم على طريقها وحولها ، للتضليل واضاعة الوقت والجهد على غير طائل ، وتحطيم المعنويات بالتشكيك في جدارة كل القيادات واخلاصها •

هؤلاء (الهايوتس) الذين لهم الصيت ولاميركا غالبا

الفعل ، لم يكونوا على كل سوى (هايوتس) يهود صغار ، تدور بيننا وبينهم مهما نقل ، حرب معلنة مكشوفة تبرر عملهم . فاما (الهايوتس) الحقيقيون الكبار في هذه الحرب، فكانوا بعد الطيارين والطائرات ، حكومة اميركية لا تدور بيننا وبينها حرب معلنة . لم نفضحهم هنا نحن ايضا ويا لسخرية الاقدار ! ولكن فضحوا انفسهم وفضحهم اليهود الصغار مصادفة وبالغلط . كانت الساعة الثانية بعد الظهر من يوم الاربعاء في الثامن من حزيران ، وهو اليوم الثالث للحرب . وليس في السماء على سواحل سيناء غيمة. شاهدت طائرتا (ميراج) عدوتان تقومان بدورية او ثلاث في رواية، على اربعة عشر ميلا فيما ادعى اليهود، أي في ساحل العريش واثني عشر ميلا فيما ادعى اليهود ، أي في المياه الدولية في الفرض الاول ، والاقليمية في الثاني . واختلاف اقوالهم لا يغير هنا بالنسبة لنا شيئا في جوهر الموضوع ، كما لا يغير منه تناقض الرواية اليهودية ، حول ان دورية زوارق طوربيد بحرية عدوة شاهدت هي بالاصح لا دورية الطائرتين او الثلاث على شاشة الرادار ، شبح سفينة حربية تظن انها مصرية او روسية ، وقد كانت هناك سفن روسية في ذلك الوقت. ولكن على بعد عشرات الاميال من الساحل . وانبأت قيادتها بدورها قيادة الطيران والقيادة العامة ، فأمرت هذه الاخيرة بمهاجمة السفينة المشبوهة جوا وبحرا .

انقضت الطائرتان او الثلاث اولا على السفينة من علو كيلومتر تقريبا بمدافعها عيار عشرين مم ورشاشاتها وسجلت في هيكلها في قرابة خمس دقائق وفي ست صولات ثمانمائة واحدى وعشرين اصابة • ثم تقدمت ثلاثة زوارق طربيد فاطلقت عليها رشاشاتها هي الاخرى • فردت السفينـة المسلحة بالرشاشات على النار بالمثل • وقذفتها الزوارق في هذه الاثناء بطربيدين ، فتح فيها احدهما باصابة مباشرة في الجوف ، تحت مستوى العوم ، ثغرة كبيرة باتسـاع خمسة عشر مترا ، اندفعت منها المياه فورا الى داخـل السفينة ، فاشتعلت في بعض اجزائها الحرائق، ولفتها كلها سحب الدخان • ولم تكن السفينة الحربية المجهولة الا سفينة التجسس العلميـة الاميركية التـابعة للاسطـول السادس واسمها (ليبرتي) الحرية ، ويا له اسما على مسمى، وهي مجهزة بآلات تستطيع التقاط وتسجيل وترجمة وفك رموز كل الاتصالات بالراديو في سيناء ، بما فيها مطارحات عربات الجيب على الطريق فيما بينها ، والطائرات المحلقة في الجو • ثم بآلات باستطاعتها كذلك ان تشوش وتفسد كل هذه الاتصالات ، وتحل محلها على موجاتها نفسهـا بالطبع ، لا يمنعها من ذلك اخيرا ، ميلان ابعد او اقرب من الساحل •

اطلق قائد (ليبرتي) وليم ماك كوناكل اشارة الانذار

عند مهاجمة الطائرات والزوارق للسفينة . ورفع علما اميركيا بديلا عن علمها . وامر بالابتعاد عن المكان بأقصى سرعة ، كما اتصل بالقيادة البحرية الاميركية للاسطول السادس يخبرها بالحادث ويطلب النجدة . فقد اصيب هو نفسه بجراح ، وان ظل يقود سفينته . وقتل خمسة وثلاثون من رجاله . وجرح خمسة وسبعون . وخرقت السفينة بصورة خطرة واختل توازنها . وكفت الزوارق والطائرات عن مهاجمة (ليبرتي) بعد ان تبينت هويتها . وسألها احد الزوارق بالاشارة عما اذا كان يستطيع مساعدتها، والمشاركة في انقاذ الجرحى . فأجابت بلا . ولكنها طلبت الابتعاد عنها . لانها تعاني صعوبة في الملاحة . وظهرت في هذه الاثناء طوافة اميركية قادمة من تل ابيب، قذفت لها برسالة من الملحق الاميركي البحري في اسرائيل يستفسر عن الخسائر ، ان كان من خسائر ؟ ثم ابتعدت (ليبرتي) قليلا واصعدت جرحاها للناقلة (امريكا) الآتية لنجدتها وذهبتا معا الى مالطة . واستبدل اسم السفينة بعد ذلك فيما يظهر فاصبح (هايمان ريشوفر) وهو اسم اميرال يهودي اميركي تخليدا أو طمسا لكل معالم الجريمة .

اعتذرت الخارجية الاسرائيلية رسميا للاميرالية الاميركية وعرضت حتى «تعويضات» تبلغ ، على قول، ثلاثة ملايين دولار ، دفعتها لذوي الضحايا . وفسرت الاركان

الاسرائيلية غلطتها بأنها « نتيجة عدم رفع السفينة للعلم الوطني » . « وقبل البحارة الاميركيون العذر » . وامروا ان ينسوا الحادث . ولكنهم ذكروا ان العلم ولو لم تره الزوارق والطائرات العدوة في رابعة النهار والسماء الصاحية ، كان يخفق بالصورة القانونية عندما مزقته رشاشات المطاردات الاسرائيلية في الزخات الاولى . ثم ان السفينة كانت في المياه الدولية » . (ليبرتي) لم تكن حيث كانت في شمال العريش لتقيم قداسا ولا لتؤمن على ما زعموا « الاتصال بين المواقع الاميركية في الشرق الاوسط . وهي لم تشك يوما نقص وسائل اتصالها الخاصة بها وتساعد في اخلاء الرعايا الاميركيين » . كانت تتجسس علينا ولم يكن ما يدعوها لهذه المجازفة بالسمعة الاميركية، وتحاربنا حربها. لم تكن تتجسس على اسرائيل ولا تحاربها. فطبيعة الاشياء وكل القرائن والدلائل تنفي الشيء . لقد غادرت اسبانيا ، كما علم بعدئذ ، في الثاني من حزيران لتكون في المنطقة قبل موعد الحرب . ولا يصدق ساذج ان الولايات المتحدة كانت تجهل موعدها . فهي بعض ما حمله (ابا ايبان) معه على ما سبق من الباب الخلفي للبيت الابيض من نور اخضر . لماذا لم تكن (ليبرتي) ترفع علما، تقول لجنة التحقيق الاميركية في الحادث انها كانت ترفعه ؟ لقد كانت تخفي هويتها . فالعمل «النظيف» عملها لا يتطلب رفعه تجنبا على قدر الامكان للفضيحة .

ولمن يمكن ان يشك لحظة مثلا في قيام (ليبرتي) بهذا العمل «النظيف» واكثر، حسبنا ان نسوق اليوم بانتظار «الانظف» دائما من هذه الناحية ، هذا الاعتراف البليغ المنقول عن القائم بالاعمال الاميركي في القاهرة عام ١٩٧٠ وقد اورده حتى «اميركي وضابط علاقات عامة قديم كبير» هو (نورمان ديسي) رئيس اللجنة الاميركية الفلسطينية الحالي في كتابه الموجه الى الرئيس نيكسون في الثامن من ايار ١٩٧٣ الفائت فقط . وقد نشرته اكثر من صحيفة اجنبية وعربية : « ان النجاح الضخم للضربات الجوية الاسرائيلية على المطارات المصرية خلال الساعات الاولى من حرب الايام الستة ، وهي عمليات كانت عنصرا مهما في انتصار جيش الدفاع الاسرائيلي اصبح ممكنا بفضل معلومات الاستخبارات العسكرية التي تولت السفارة الاميركية في القاهرة نقلها الى اسرائيل » .

بل يكفينا وهو دليل آخر مهما يختلف عن الاول ويبتعد، ان نقرأ بالمناسبة ايضا هذا الاعتراف الابلغ من ذاك، يضيفه من هذا القبيل نورمان ديسي وهو ادرى طبعا بسوابق حكوماته المعروفة مع العرب ويعرف اكثر من غيره عمن يتكلم هنا في كتابه الدبلوماسي المذكور متخوفا ، وكأنما متأكدا من ان شيئا ما لم يتغير الى اليوم في هذا الصدد منذ حزيران ١٩٦٧ وقبله ، مخففا على طريقة امثاله

وبحكم (عمله) النفسي وقع الجريمة باستفظاعها اميركيا، قبل ان يكشفها باعتراف اميركي صريح كتلك الزمن : « اننـا نأمل فـي ان الزمن لن يكشف بالنسبة الـى الاحداث المؤسفة الاخيرة في بيروت اغتيال بعض زعماء المقاومة (الشهداء) ابي يوسف وكمال ناصر وكمال عدوان وغيرهم في الغارة الاسرائيلية الليلية) ، ان الحكومة الاميركية كتبت ايضا صفحة مشينة اخرى في التاريخ الدبلوماسي » .

اما كيف ان (احدى يدي اصابتني ولم ترد) اذن في جريمة (ليبرتي) ؟ فلا بد انه كما يشرح العميد العراقي الركن حسن مصطفى بهذا المنطق الجلي جدا ، او بأي منطق يقرب منه : « بعد ان ادت ليبرتي واجبها في ٥ و٦ و٧ حزيران وتغلبت القوات الاسرائيلية على القوات المصرية في سيناء ، لم تعد ثمة حاجة الى وجود ليبرتي في المنطقة ، فصدرت اليها الاوامر بالابتعاد عنها ، قبل وقوع الحادث . ولكن ألا وامر تأخرت في الوصول الى السفينة . ولما رأتها زوارق الطربيد الاسرائيلية ، وهي لا ترفع علما او تحمل علامة تدل على هويتها ، اشتبهت بها وظنتها سفينة مصرية او سوفياتية او مجهولة الهوية ، فطلبت مهاجمتها من الجو . وقد وافقت هيئة الاركان العامة الاسرائيلية على ذلك ، لانها كانت تعتقد ان ليبرتي قد ابتعدت عن المنطقة ، وان السفينة المجهولة الهوية يجب ان تكون معادية » .

لكن لنعد بعد ان شغلنا كثيرا بحرب الهايوتس صغارا وكبارا ، الى الحرب المنظورة ، وكانت بنسبة كبيرة جدا، انعكاسا عمليا وتجسيدا لتلك الحرب. فقد تركنا الحرب المنظورة سباقا مجنونا بين المنسحبين بغير نظام ، وبين العدو على طريق ممر (المتلا) ، من يجتازه فينجو ومن يسبق فيسد طريقه على عدوه، فيمنعه من النجاة او التقدم للقناة؟ فممر المتلا هو وحده سبيل الانسحاب من اواسط سيناء، للجيش المصري المحاصر من الشمال بفرقة تال ، ومن الجنوب بفرقة شارون . وقد ظل موضوع اجتياز الممر واغلاقه منذ حرب السويس، محلا للجدل الحامي في الاوساط العسكرية الاسرائيلية . ففريق يرى ان العملية المظلية عملية لـواء شارون اذ ذاك ، بأمر من موشي دايان القائد العام لاغلاق الممر ، كانت مجازفة كبدتهم خسائر بالغة ، لم تكن لتحتمها الضرورات العسكرية . وفريق لا يرى هذا الرأي . وما كان لمذكرات دايان المنشورة قبل حرب حزيران وقد ظهر اننا لم نقرأها عن حرب السويس ، الا ان تذكي جدلا ، منع الاركان الاسرائيلية فيما يظن من ان تلحظ في عملياتها الحربية ، عملية انزال مظلية في المتلا . ثم انه لربما كانت تنقصها لعملية كبرى في تقديرها اكبر بكثير مـن العملية السابقة ، بالنظر لضخامة التسلح المصري هذه المرة ، طائرات النقل اللازمة ايضا .

كان الليل الصحراوي يغشى كعادته معجلا • وكـان العقيد ايساكار يعدو الى المتلا ، غير واثق بعد ان يخيم الليل من فعالية الطيران الشديدة فـي هذه الحال، وقدرته التامة على مساندته • هتف للعميد يوفيه في مقر قيادة فرقته : «لقد تبقت لي عشرون دبابة فماذا يمكن ان اصنع»؟ فاجابه يوفيه : « مهمتك ان تحاصر المتلا فحاصرها • فاني لناضب نفد وقودي» ، رد ايسكار ، ويدعي انه كان يقول ولا يقول كل الحقيقة لقائده • وذلك على امل ان يسمع العدو حديث عجزه عن متابعة التقدم • فلا يكون تقدمه بعدئذ الا مفاجأة اكبر له •

التقى العقيد ايساكار عند بئر ثمادة فـي منتصف الطريق الى المتلا ، ولم يكن قد تبقى له الا خمس عشرة دبابة قادرة على السير نوعا ، بمجموعة دبابات مصريـة اشتبك معها طوال نصف الساعة ، دون ان يتمكن مـن التغلب عليها ، ومنعها من الاندفاع جنوبا بكل سرعتها • ثم رأى انه لا يسعه بحاجته المتزايدة للوقود ، وتوقف بعض دباباته كلما فرغت منه، ان يتراجع او يبقى في مكانه، عرضة في الصحراء ، اما تراجع او توقف ، لاخطار اكبر ، وانه لا مفر له من التقدم • فهو افضل له ، مهما يكن الوقود المتبقي لديه • وبعث وهو يتقدم بدورية استطلاع مؤلفـة من ملالة وعربتي جيب ترود في كل جهة بحثا عن الوقود،

في الغربات والشاحنات المصرية المحطمة او المهجورة . ولم تمض ساعة حتى تلقى اشارة تعلمه بالعثور على خزانات ملأى بالوقود . وانه لينتظر ريثما تلحق به الدورية وتزوده بحملها منه ، اذا به يتلقى امرا : « التقدم حالا نحو المتلا » فيرد هذه المرة ايضا : « نفد وقودي واني لاعبيء خزاناتي . ولن استطيع حراكا قبل ساعة » . « حالا . فالمصريون يعبرون الممر . ولقد اشار الطيران بأن بعض الدبابات عبرت من الغرب » ــ « لكني لا املك الا خمس سانتوريون صالحة للسيرة » ــ « اركض بها الى المتلا فورا » .

لكن لماذا يلحون بالرغم من كل شيء هذا الالحاح على ايساكار ، ليتقدم الى ممر المتلا ، لولا انهم يعلمون بأنه سيتوقف على بلوغه واحتلاله ، معظم نصرهم السهل الرخيص بعدئذ فيه ؟ والا فمن هو ايساكار ومن نشاء من قادة في اوضاعه ، وبهذا اللاشيء من القوة ــ خمس دبابات سانتوريون اصبحت في النهاية تسعا ، وبعض العجلات النصف المسرفة ، ليجترح لهم المعجزة المنتظرة ؟ الامر بغاية البساطة . كانوا متأكدين ان الممر الخطير المنيع خال من أية قوة تدافع عنه . فأما لماذا كان خاليا، فلغز من ألغاز هذه الحرب ما زال يحير الى اليوم عسكريا الخبراء العسكريين ؟

لقد ترك ممر حيوي مثله ثلاثة وعشرون كيلومترا ـ حتى في تلك الظروف يستولي عليه من يبلغه اولا ، ولو بأية قوة . ويمتنع به ويوصده بابا للنجاة في وجه عدوه. وهم اذا ما الحوا على ادناهم منه، بالتقدم نحوه ، كيفما كان الامر ، واحتلاله ، فانهم لا يضعونه بين شدقي اسد . بل ولا يكلفونه صعبا جدا .

اية قوة متمركزة قبلا في المتلا ، والسؤال ما انفك يحير الخبراء العسكريين ايضا ، مصممة على حمايته ، ولو للمدة اللازمة لانسحاب الفرق والالوية المصرية المنسحبة من سيناء ، وكأنما دون وعي، هل كان بوسع بضع دبابات عدوة ان تقضي عليها بسهولة ، وتصل هكذا بسهولة الى الممر فتسده ، جاعلة منه مصيدة كبرى لجيش كبير ؟ جزء صغير من القوى المتدافعة موجا على مدخل المتلا الموصد في وجهها ، كان بمقدوره ان يقلب يومها اكثر من سحر على الساحر . كان يكفيه بدل التهالك على الانسحاب بأي ثمن ودون خطة موحدة ، ان يقف ويجمع شمله ، ولاسيما ان الوقت متسع امامه على ما سنعلم ، ويتصدى بحزم وثباة للقوة العدوة الضئيلة المسيطرة على الممر ، في احوال غير طبيعية بهذا القدر . وذلك قبل ان تتدفق عليها في الصباح النجدات جوا وبرا، وتضيع لصدها، كل فرصة.

صحوة ثم غيبوبة

الفصل السابع عشر

هددت موسكو في بيان اذاعته مساء الاربعاء في السابع من حزيران بقطع علاقتها الدبلوماسية بتل ابيب، ان هي لم توقف الحرب : « فالاتحاد السوفياتي سيعيد النظر في موقفه من اسرائيل ، ويتخذ قرارا حول الاحتفاظ بالعلائق الدبلوماسية مع هذا البلد الواقف بأعماله ضد كل الدول المسالمة » . وعقد موشي دايان في اليوم ذاته مؤتمرا صحفيا اعلن فيه: « ان جيوشنا لا تجد اية صعوبة في بلوغ قناة السويس . لكن هذا ليس هدفنا . فنحن لا نريد ان نتورط في قضايا دولية. لقد حققنااهداف السياسة واهداف الامن لهذه الحرب . وعلينا ان نتباحث فيما يجب عمله ، حتى لا تتكرر الظروف التي قادت للنزاع » .

كانت اسرائيل كأنما ترد بصورة غير مباشرة على التهديد بقطع العلائق الدبلوماسية معها . فهي تعرض السلم وجيوشها المنتصرة على ابواب القناة . بل ربما كانت رباياها قد بلغت اذ ذاك القنطرة في منتصف الطريق بين بورسعيد والاسماعيلية ، فأمرها موشي دايان ليكسب ان صحت الرواية اليهودية بحركة مسرحية « عطف الدول

ويحمل مصر على التفاوض » ، بالتراجع اربعين كيلومترا عن مواقعها المتقدمة تلك . فلئن فاوضت مصر في هـذه الحال ، فعلى اساس الاعتراف بالهزيمة والتسليم لاسرائيل ، بكل ما تريد دون ان تكون مضطرة الى متابعة القتال . ولئن رفضت المفاوضة والتسليم كما هو المؤكد ، فلا ينبغي ان تلوم الدول عندئذ اسرائيل ، اذا هي تابعت على كره منها حربا سيكون آخـر مـا يمكن ان يوقف الجيوش المنتصرة فيها ، تهديد بقطع العلائق الدبلوماسية .

لكن شيئا ما يشبه الاستفاقة المتأخرة واستعادة الوعي في الجانب المصري كان يحدث ايضا في اليوم نفسه على الجبهة . ويرد ردا عمليا ولو يائسا في احوال التدهـور السائدة عموما ، على موشي دايان . وما كان لدايان ما دام كل الضوء الاخضر الاميركي ينير طريقه ، ان يخشى قطع أية علائق دبلوماسية معه يقف عند حد القطع . فلقد اعلنت طوافات استطلاع للعميد تال وكانت دباباته على مقربة من بئر الجفجافة ترتاح لساعتين ، ان جمعا مـن الدبابات المصرية يحتشد على عشرة كيلومترات منه في المعز أي وادي الجفجافة . كان تال مهتما الى الآن بالمحافظة على التماس مع القوات المصرية المنسحبة . وها ان هذه القوات قـد اخذت تبطىء فجأة في الانسحاب وتتجمع ، مما يدل في

تقديره ، على ان الهجوم المضاد المنتظر عنده دائما ، ربما كان يعد في هذا الواد .

نادى تال هاتفا من عربة جيب كان يتمدد ويسترخي على مقعديها الاماميين منهكا كرجاله : « اسمع ايها الالفان والسبعماية . اريد ان اتقدم على محور كاسيوب حتى ٣٤ وان اقتحم مع بورديتشيف ستالينغراد مــن الجوانب » . الالفان والسبعماية كانت الاركان الاسرائيلية . وستالينغراد هي بئر الجفجافة . وجاءه الجواب بالموافقة . ورسخ اعتقاد تال بقرب هجوم مضاد ، ظهور بعض بقايا طائرات الميغ المصرية فوق الميدان ، ومهاجمتها للمرة الاولى الدبابات الاسرائيلية في مضيق الجفجافة ، وتلك المتقدمة على المحور الشمالي ، واشتباكها مع طائرات المستير المسرعة للنجدة ، وتمكنها من اسقاط احداها . فأسرع يتولى شخصيا قيادة كل قواته ، وبدأ بالانقضاض بكتيبة من دباباته ، علــى مدخل مضيق الجفجافة ، لسده من الشرق، وبكتيبة ثانية على مخرجه ، سلكت له لتهاجمه من الجناح ، طريق الكثبان الرملية ، لتسده من الغرب . وقد تصدت له في جنوب شرق المضيق ، وحدات من الفرقة الرابعة المدرعة المصرية الموضوعة بقيادة اللواء صدقي عوض الغول . وهي اقوى قوة ضاربة في الجيش المصري واتمها تسليحا وتدريبا ، تحاول جاهدة كسر النطاق المضروب حولها على هــذه الصورة ، وفتح طريق الاسماعيلية .

اربعون او خمس واربعون دبابة مصرية معززة ببعض وحدات المدفعية ، اشتبكت هناك مع قوات تال القائل ، آلة دمر خمس عشرة منها من طراز (ت ٣٤) ومائة قطعة مدفعية. ولكن قوات مصرية جديدة تتألف من ثماني وستين دبـابة (ت ٥٤) لم تلبث ان ظهرت فجأة قادمة مع ذلك بطريق الاسماعيلية ، لتداهم قوات تال وتلتحم معها في قتال ضار حتى من مسافة عشرين مترا ايضا . حشد العدو كل مـا بحوزته هناك من (دبابات ام اكس ١٣) في مربعات قتال كثيفة امامية تطلق منها مجتمعة قذائف مدافعها عيار مم ٧٥ على الدبابات المهاجمة . ولم يستطع بالرغم من ذلـك ان يصيب الا ثلاثا او اربعا منها، لان تصفيح هذه الدبابات البالغ السمك كان يجعل قذائف العدو تنزلق عنها ولا تؤثر فيها الا عندما تصيبها في الجوانب حيث يرق التصفيح وتتقاطع الواجه .

ركزت الدبابات المصرية رمايتها اولا فيما يظهر على ناقلات العتاد والذخائر العدوة . فأصابت في دقيقتين ناقلة بعتادها وذخائرها وجنودها . واتبعتها الواحدة بعد الثانية، بست ناقلات اخرى ، بينها ناقلة متفجرات انفجرت فدمرت ثلاث دبابات عدوة قريبة منها . ثم انعقدت غمامة دخان على ما يقول العدو في سماء المعركة، تبرق خلالها فطرا ذريا ألسنة اللهب . وبادر جنود كل هذه الناقلات والدبابات

ينجون بأنفسهم منها هاربين ، تاركين وراءهم باعتراف العدو ستة عشر قتيلا وعشرين جريحا . وخفت الدبابات المصرية المزودة بجهاز للاشعة تحت الحمراء يمكنها من الرمي ليلا ، تلتف حول مربعات الدبابات الاسرائيلية المتقهقرة امامها ، وقد احست انها معرضة لخطر الابادة وطلبت النجدة ، فأمرت ان ترتد مبدئيا قرابة الكيلومتر والنصف للوراء ، ليتسنى للطيران العمل بحرية . وستصلها نجدة من دبابات الشيرمان تليها نجدة دبابات سانتوريون ، طلب العميد تال من العقيد صموئيل ، ان يدرك بها على جناح السرعة .

الاستفاقة المتأخرة واستعادة الوعي لم تقتصر في اليوم الثالث للحرب ، على هذا التحرك بالدبابات وبقايا الطيران . وانما شملتا كذلك جماعة من المغاوير المصريين استطاعت اختراق خطوط القتال الاسرائيلية والتغلغل فيها حتى غزة ، تهاجم انطلاقا منها بمؤازرة عناصر فدائية من الاهلين ، عددا من المستوطنات الاسرائيلية المواجهة لها . وتنشر فيها الرعب ، قبل ان تتمكن السلطة المحتلة بكل صعوبة من اسر بعض عناصرها ويذوب الباقون في صفوف الشعب المتحمس . فروح المقاومة لم تفارق الشعب بالرغم من عظم النكبة . ونصب الفداء وكان جنود العدو قد اخذوا لانفسهم رسوما تذكارية قربه في غزة ثم نسفوه، ما زال قائما في النفوس .

لكن هجوم الدبابات المصرية الرائع كما رأينا في البداية ، اعوزته في رأي النقاد العسكريين يومها قيادة ذكية لماحة تستغله وتجعله نصرا حقيقيا ، يمنع فرقة تال من بلوغ السويس • كان الواجب في رأيهم بعد ان اجبرت هذه الدبابات دبابات العدو على التقهقر ، ودمرت لها ما دمرت من عتاد وذخيرة ، ولم تصب الا ثلاث منها او اربع لخطأ في المناورة عند الالتفاف عرضت به لسوء الخبرة ولا بد مقاتلها الجانبية الارق تصفيحا لنيران العدو ، ان لا تدع الدبابات العدوة تفلت من قبضتها ، وان تمضي في الانقضاض عليها ، قبل ان تتلقى أية نجدة من المسافة القريبة بينهما ، وهي عشرون مترا غالبا ، الى ان تدمرها وتسترد مضيق الجفجافة ، وتمتنع به ، وتحول دون اختراق العدو له • فقد كانت متفوقة تصفيحا ومدفعية على دبابات تال الخفيفة (ام ــ اكس ١٣) تفوقا ملحوظا • ولم يكن الطيران ليعتبر خطرا كبيرا عليها بكل هذا القرب من دبابات العدو • فالعدو سيتحاشى كثيرا ضربها عندئذ ، لئلا يدمر هو نفسه بنفسه دباباته •

قطعت دبابات (امـاكس١٣) العدوة التماس مع الدبابات المصرية ، واخذت تتراجع تحت ستار الليل ودخان الحرائق ، دون ان تلحق بها هذه الدبابات • ولكنها لم تلبث عندما تبينت انها غير مطاردة للنهاية ، ان عادت مع

سرية نجدة دبابات الشيرمان الى مكانها ، حيث كان يحترق قتلاها وجرحاها ، وهم اكثر فيما يظهر من (ستة عشر ومن عشرين) وعتادها الكثير الآخر من ناقلات وذخائر ودبابات. وقد بدا مكانهـا يومئـذ بالعجلات والناقلات والدبابات والجثث المحترقة بينها ، وكأنما حدثت فيه مجزرة . واستفاد العدو كما هو المنتظر من الفرصة السماوية السانحة لـه بالتوقف عن مطاردة هذه الوحدات من قواته من مركز قوة . فاستعان حتى قبل وصول نجدة الشيرمان الموعودة اليها بالطيران الكثيف يسلطه منذ الفجر على مـا اعتبره الفرقة الرابعة المصرية المتصدية له ، ويخوض مع هـذه الفرقة « اكبر معركة دبابات في حرب سيناء » .

وصلت سرية نجدة دبابات الشيرمان العدوة . ولم تكد تصل حتى اصيب قائدها بشظية بترت له ساقا . ولمـا وصلت سرية نجدة الساتتوريون بدورها ، كان الطيران قد اضطر الدبابات المصرية المضيعة هي فرصتها السماوية ، الى الانكفاء خمسة كيلومترات عن ميدان المعركة، مصممة على القتال مهما تكن قسوة الظروف . وغرّ هذا التراجع قائد سرية الساتتوريون النقيب شاماي كابلان وهو احد قادة الدبابات اللامعين في الجيش الاسرائيلي ، فتقدم الى ابعد من المسافة المحددة له عن موقع القوات الاسرائيلية ، وهي عشرة كيلومترات ، فلقي حتفه في كمين مصري ، وفقدت

السرية دبابتين • ولم ينقذ دباباتها الست الاخرى، وقد زعموا انها دمرت عشر دبابات مصرية ، الا وصول لواء صموئيل المدرع بكامله بعدئذ للميدان وانقاذها من الكمين•

تعاونت كل قوات العقيدين مان وصموئيل على اختراق طريق الاسماعيلية الى السويس ، بعد ان سهل لهم مهمتهم الى ابعد الحدود مثل كل مرة ، الطيران ودمر معظم دبابات ومدفعية وحدات الفرقة الرابعة المصرية الموجودة عليها ، دون ان نعرف لليوم كيف كانت موزعة في منطقة بئر الجفجافة وغيرها • وتولت هي تدمير عدد منها، حتى لقد بلغت الخسائر المصرية يومها بكل ذلك وبحسب « الاحصائيات الاسرائيلية » مائتي مدرعة •

اعتبر اللواء صدقي عوض الغول قائد الفرقة الرابعة فيما بعد مسؤولا بالطبع عما حدث لفرقته • واحيل مع سواه من القادة المهملين المقصرين ممن لم يكونوا على مستوى مسؤولياتهم في الحرب الى المحكمة العسكرية الخاصة المؤلفة لمحاكمتهم وحكم • وكانت التهمتان الموجهتان الى الغول تؤكدان انه أخل بواجبه الاساسي في الاتصال الدائم بالقيادة العامة ، مهما تكن الصعوبات والعوائق ، لتلقي الاوامر المتوجبة ، وقد كان من شأنها لو تلقاها، ان تتيح للجيش المصري الاحتفاظ بمواقعه الحصينة في سيناء • وانه مكن بذلك العدو من اقتحام تلك المواقع

وبلوغ قناة السويس ، على أهون سبيل وبابخس ثمن •
وهكذا بلغ الوضع بعد الانسحاب المرتبك المضطرب الوخيم العواقب ، بما رأينا وما لم نر من تقصير واهمال، هذه الدرجة من السوء، في اليوم الثالث للحرب • يوفيه يتحكم بدبابات ايساكار التسع بمضيق المتلا ويسده ، قبل ان تصله باقي قواته وتنقذ موقفه بالرغم من مساندة الطيران• وتال ينزل بالفرقة الرابعة المؤملة اكبر الخسائر ، ويسيطر على مضيق الجفجافة ويندفع منه نحو السويس • وها هوذا شارون يلاحق كذلك في الجنوب وحدات الفرقة السادسة المصرية • وقد كان مقدرا لها لو جرت امورها في مجراها المرسوم لها على ما يظن، انتستولي على ايلات امالرشراش، وان تلتقي مع الاردنيين في العقبة • فلقد دلت شارون طائرات استطلاعه هو الآخر ، على ان هذه الفرقة تتلمس طريقا لها للغرب، وان عليه ان لا يدعها تحقق غرضها وتفلت من الطوق • فقام على حاجته الشديدة للوقود والماء ، في صباح الثامن من حزيران وبمؤازرة الطيران ، والبركة دائما في الطيران ، يعوض كل نقص ، بحركة التفاف حول موقع قلعة النخل متجاوزا حقول الغامه ، مهاجما اياه من المؤخرة، مدمرا على ما قال، ولنفهم بالطيران غالبا، في ثلاث ساعات، خمسين دبابة مصرية (ت ٥٤) وثلاثمائة ناقلة وكتيبتي مدفعية مضادة للطائرات والدبابات • وهذا عدا القتلى

وربما بلغوا الفا ايضا ، وراع عددهم حتى (البيريه الحمراء) نفسه ، كما لا يفوت مؤرخيه الاسرائيليين ان يضيفوا ويذكروا : « ان شارون استفظع المشهد وغلبه هوله ، وهو ينظر بعد المعركة الى كل هذه الجثث تخمد مع ذلك الحطام، فجلس على صخرة مسندا رأسه بيده معيدا مكررا : ولكنه لوادي الموت » .

لم يعد بعد النصر في بئر الجفجافة ـ قلعة النخل ـ من قوة مصرية منظمة متماسكة في سيناء في نظر العدو . كان كل ما تبقى ليل الثامن من حزيران ، جماعات هائمة مشردة من الجنود ، وبعض الوحدات المتفرقة المحرومة من كل شيء، تهاجم مع ذلك هنا وهناك ليلا المواقع الاسرائيلية بحثا عن الماء والطعام والوقود . ولربما عثرت عليها الطائرات العدوة في سيناء الواسعة جدا يقتلها الظمأ ، فقذفت لها احيانا بصفائح الماء بالمظلات « فظننته وقودا » ، مما تقذفه للوحدات الاسرائيلية ، فعزفت عن شربه ، فيما قال العدو، بسادية بالكاد يكتمها ، بل ربما راحت تدور حوله ولا تبلغه من الاعياء في صحراء أضحت فرنا طبيعيا هائلا يشوي الاجساد ، ولا سيما بعد ان قطع المصريون يومها خط انابيب ماء الشفة في شمالي سيناء، من القنطرة للعريش ، « ليمنعوا الماء عن الاسرائيليين » .

الفصل الثامن عشر

توقّف إطلاق النار

بدأ العميد تال رأس حربةالعدو يستعد للهجوم الاخير على القناة ، بعد ان سيطر مع العميدين شارون ويوفيه عموما على كل الممرات المؤدية اليها . اصدر اوامره يـوم الخميس الثامن من حزيران ، للعقيد صموئيل ، يكلفه مهمة تقدمه . لكن القيادة العامة العدوة استبطأت تحركه لبلوغ الهدف الكبير ، بالرغم من كل انكار وتحفظ ومكيافيلية . خشيت ان تقبل مصر بوقف اطلاق النار قبل ذلك . واخذت (تشم) فيما يظهر رائحة القبول به ، فأوفدت في المســاء العميد حاييم بارليف صاحب الخط الدفاعي العدو المعروف بعدئذ باسمه ، وكان عندها ثانيا للعميد رابين القائد العام ، الى مقر تال في بئر الجفجافة ، فجاءه في حوامة ، بصحبة قائد الجبهة الجنوبية العميد غافيتش ، يتدارس الامر مع تال على الطبيعة ، ويبلغه رغبة القيادة العامة الملحة في بلوغ القناة في أقصر وقت، درءا لكل مفاجأة واستباقا لكـل احتمال ، يمكن ان يعرقله في آخر لحظة .

عرض تال انه حيال هذه الرغبة بين خيارين : فأنا اما ان اتابع القتال متأنيا حذرا ، وانما مع تكبيد الخصم اكبر

الخسائر ، كما فعلت الى الآن ، واما ان اجري الى القناة في انطلاقة واحدة ، لا أبالي الخسائر • واجابه بارليف وهو يختار له : القيادة العامة ترجو ان تبلغ القناة بأسرع مـا يكون • ولكنها تود بالقدر ذاته ، ان تحدد خسائرنا وتقل ما امكن • ومهما يكن فالخيار لك في النتيجة • ولاح من المتوقع في أروقة الامم المتحدة ، ان توافق مصر في ذلك المساء على وقف اطلاق النار • الا ان الانباء العامة لم تلبث ان نفت الخبر ، وان عادت بعدئذ فأكدته باعلان محمد عوض القوني في هيئة الامم له، وكأن طودا يهوي في نفسه منه ونفس كل عربي • فقد أجهش القوني بالبكاء وهو يعلن استعداد مصر لوقف القتال • لم تنطق المندوب السياسي المسكين يومها «رماح» قومـه بشـيء آخر ، فأجهش غير ملوم وانهار • وتشجع تال عندئذ واطمأن وازداد ثقة بنفسه وبقواته • فاختار دون تردد لم تعـد لتسمح به الاحداث المتسارعة بهذا الشكل • سينطلق فورا بكامل فرقته نحو القناة غير عابىء بما ستقابله به علـى الطريق احيانا ، بقايا الفرقة الرابعة المصرية وسواها مـن مقاومة ، وتكبده اياه ، من خسائر • فالقناة وقـد باتت أبوابها مفتوحة على مصاريعها تقريبا ، دون ان تحـرك الدول المستفيدة من القناة ايضا ساكنا، وهي التي تعودت ان تقيم الدنيا وتقعدها غيرة على القناة ، تستحق هـذا واكثر •

جرى لواءا تال بقيادة للعقيدين صموئيل ومان الى ضفة القناة يستبقان • لكن المظليين الاسرائيليين المعززين بدبابات الباتون سبقوا بقيادة العقيـــد رفول الجميع • اصطدموا على حوالى تسعة كيلومترات فقط من القنطرة بقوات مظلية مصرية تحصنت فيها على عجل• اصيـب العقيد رفول منذ الطلقات الاولى ، فخلفه على قيادة القوات المظلية العدوة المهاجمة العقيد اهارون دافيدا • وكان عائدا لتوه من بلدة الطور مرفأ سيناء الجنوبي لنقل الحجاج الى مكة ، بعد ان استولى عليها • وهي كما لا يخفى، غير الطور الجبل التاريخي الديني المقدس ، طور سيناء او سينيين ان شئنا • ويحسن بالمناسبة ان نقف عند احتلال العدو له ، كما يرويه لنا لنزداد بتأمله مليا معرفة بعدونا ، وبكل مـا يستخدم من اسلحة ، ليس افتكها واخطرها بالضرورة ، على السواد بخاصة ، اسلحة التكنولوجيا الغربية الاميركية •

اخذ العميد شارون الزاحف مع تال ويوفيه الـى القناة ، بعد بلوغ القنطرة يوسع معقوبات هذا الاخير، مدى احتلاله في الوقت ذاته لسيناء • بعث في نطاق هذه الخطة بنفيضة استطلاع من عربات جيب وملالات لطور سينـاء الجبل ، او بالاصح السلسلة الجبلية البالغة الكيلومترين• وقد خلعت قديما اسمها على الصحراء • وصلت القـوة العدوة الى دير القديسة كاترين القائم هناك ، بحجـارته

الصيلبة الحمراء ، قلعة منذ خمسة عشر قرنا ، على سفح صخرة هائلة وسط ركام صخري وعر • كلم الرب في المكان النبي موسى في زمنه • وتلقى موسى الكليم فيه بعد خروج العبرانيين من مصر بكل ما امكنهم استعارته وحمله والهرب به ليلة الخروج، وبأمر من (يهوه) يسارع لهم به كالعادة في هواهم ، فيحلله ، من حلى المصريين ومتاعهم الثمين الخفيف ، وكل الخوارق المعروفة وغيرها ، الواح الشريعة المشهورة المتميزة بهذه المعجزة ، عن الواح (ملك العدل حامورابي) العربية القديمة • عشرون راهبا يعيشون في الدير البيزنطي ويحرسون معه جامعا من طين يلاصقه ، مستندا الى جدران كنيسته • فالمكان مقدس من الديانات السماوية الثلاث • وهو يملك في بناء يتبعه مكتبة تعتبر اغنى مكتبة في العالم ، بمخطوطاتها ومحفوظاتها التوراتية والانجيلية الموغلة في القدم •

استقبل رهبان دير القديسة كاترين « المنتصرين الجدد غير مستغربين •فلقد علموا بالحرب من الراديو ، وظلوا على صلة مستمرة بتطور احداثها ، من البدو المارين تحت جدرانهم ، يبادلونهم الاخبار بالماء • رهبان الصحراء هؤلاء تعودوا الفتوحات وطال بها عهدهم • وقد عرضوا على الجنود الاسرائيليين بما لا يخلو من التخابث الساخر ، مخطوطة كتاب يمنحهم اعفاءات وامتيازات ضريبية على

الحبوب . الكتاب مؤرخ من مقر القيادة العامة في القاهرة (٢٩) فريمير السنة السابعة (١٧٩٩) وصادر عن (بونابرت) القائد العام : « رغبة منا في تفضيل دير جبل سيناء ــ لكي تنقل للاجيال القادمة تقليد فتحنا ــ احتراما لموسى والامة اليهودية ، ويرسم لنا سفر التكوين عندها العصور السحيقة ــ وبما ان دير جبل سيناء يقطنه اناس متعلمون ومتحضرون ، وسط برابرة صحراء ، حيث يعيشون ــ آمر : ان لا يستطيع العرب البدو الاقامة في الدير ، وان يعفى الرهبان من ضرائب المكس عن الحبوب التي يجلبونها من مصر ... وهلمجرا .. (الامضاء بونابرت) . » .

ففي « هذا النص وقد امضى خيالة (كليبر) سبعة عشر يوما على ظهور جيادهم ليحملوه الى الدير ، يشير بونابرت بما فيه الكفاية الى ان مخططه في الشرق يمر بهذه (الامة اليهودية) التي قليلا ما نجد لها ذكرا في كتابات ذلك الزمن السياسية . البدو اليوم باتوا لا يهددون بخطر . والرهبان يتلقون هبات هامة ، من كل الطوائف الارثوذكسية في العالم . والجامعات الاميركية تصور المخطوطات . وبئر مائهم العذب لا تجف ابدا » . لكن ضابط مفرزة الاستطلاع يسأل اخيرا الاب رئيس الدير ، اذ لا بد في هذه الاحوال ، من سؤال ومن جواب ، ينقل

كالعادة لكل غاية : « هل بوسعي ان اقدم لكم شيئا ؟ » لا شيء مطلقا ثم وشوشة في اذن الضابط : « اذ عدتم من هنا فاحضروا علبة سجاير او علبتين » • وتتجاوز هذه العلبة او هاتين العلبتين من السجائر ، وكل الصغار الصهيوني فيهما الى المخطوطة نفسها بالطبع •

يطل علينا في هذه المخطوطة ان ثبتت صحتها بحرفيتها ، ولم تكن اسرائيلية اخرى صغيرة مدسوسة هنا على نابليون وكذلك على الدير ، ولا يدل مجرد وجوده هناك ، على انه مهدد من احد ، من الاسرائيليات اي الاكاذيب التاريخية المشهورة • وتاريخهم يحفل بها في كل عصر وناحية ، وجه سالومة او استير عابرة مجهولة ، او مراب او تاجر حرب يلازم الجيوش الغازية ، او جاسوس منهم ، لا يبعد ان يكون قد قبضها ثمنا لخدمة ما قذرة ، قدمها لمن خان الثورة الكبرى ليصبح الامبراطور، وعبث مرة حتى بمقام البابوية ليطلق ويتوج • ولم يعرف في حياته بدين ولا تقوى ؟

دير القديسة كاترين لم يكن ولا شك بالمكان الصالح لاحترام بونابرت (للامة اليهودية وقطع عد بلفور) فرنسي لها • ولا سيما في زمن لم تكن التبرئة المستحدثة لتخطر فيها على بال ، ولا حتى الوثيقة الاسقفية الفرنسية الجديدة للعلائق اليهودية المسيحية التي هدم اباطيلها في التبرئة

اخيرا على اعمدة اكثر من صحيفة فرنسية وعربية العلامة اللبناني الاب ميشال حايك ، بما ليس بعده في بابه ، من علم ومسيحية لبنانية عربية وانسانية اصيلة، مطلب لطالب. شيء اذن لا قيمة له الا في الدلالة على الانتهازية السياسية، والاستهتار بكل القيم ؟ سخرية على غرار اسلام نابليون المزعوم عندما تقرب فاتحا باسلامه في مصر ، من المسلمين وعلمائهم ايضا ؟ ربما . الا اذا كانوا قد وجدوا لنابليون بمرضهم المتأصل في سرقة كل كبير ، وربطه ، ولو على طريقة الملك فاروق عندنا بالامس ، بآل البيت ، عرقا دساسا لهم فيه ، اضطره الى الاحترام المذكور (للامة اليهودية) بغير داع . فقد وجدت الصهيونية حتى في هذا العصر مثل هذا العرق ، لمن لا يعدون من شخصيات كبيرة ، لا يتركون واحدة منها لغيرهم ، واستخدمته حسب الحاجة . فللافادة من جاهه حينا وللاضرار بصاحبه اذا لم يخدم مآربها حينا . ديغول ـ كنيدي ـ الملكة اليزابيت وبعلها ، الجنرال فرنكو ـ اتاتورك ـ اديناور ـ وكل مشهور نريد ، فيدل كاسترو ومئات غيرهم تلوث عليهم الافعى .

قلنا قبل ان نقف كل هذه الوقفة عند احتلال العدو لجبل الطور ، ان المظليين الاسرائيليين المندفعين للقناة ، طلائع لقوات تال وشارون ويوفيه اصطدموا على مقربة

من القنطرة آخر عقبة بادية في وجههم على طريقها ، بمقاومة مصرية أعدت غب التدارك . نجحت هذه المقاومة المعدة على عجل مع ذلك ، في صدهم اول الامر ، وفي تكبيدهم خسائر لا يستهان بها ، فيما عرف بعدئذ بمعارك ــ رمانة ــ جلبانة ــ المثلث . اشتركت في معركة رمانة في ليل السابع الى الثامن من حزيران ، زوارق حربية مصريـة ، وبعض قاصفات اليوشن . وتمكنت من مقاومة العدو مقاومة فعالة بطولية بالرغم من كل الاخطاء . واهمها بالنسبة الى هذه الزوارق ، افتقادها وهي تتعـاون لاول مرة كقوة مساندة مع قوات برية ، للخرائط اللازمة لتسديد الرماية علـى الاهداف الأرضية .

واشتركت كذلك في معركة جلبانة وقـد دارت في وقت واحد مع معركة رمانة ، طائرات مصرية استطاعت مع قوة مؤلفة من كتيبة صاعقة وقوة دبابات ومشاة ومدفعية، قدمت من الضفة الغربية للقناة ، وتمركزت غرب جلبانة ، ان تجمد ولو دون تنسيق ظاهر فيما بينها وبين هذه القوة دبابات الباتون العدوة المتقدمة . فاسرعت عندئذ اعـداد كبيرة من مقاتلات الميراج تنجدها بصب قنابل النابالم على القوة المصرية المدافعـة . وصمد المدافعون طويلا . بـل واضطروا القوات العدوة الى التقهقر واوقفوا بذلك تقدمها قرابة خمس ساعات ، شن العدو على أثرها وبعد ان حشد

هناك قوات متفوقة كثيرا ، هجوما كبيرا لعب فيه الطيران المتفوق تفوقا ساحقا ، كما في كل مرة الدور الحاسم •

معركة المثلث دارت هي الاخرى في الوقت نفسه ، بين كتيبة مدفعية مصرية متنقلة ، خفت من قرب السويس لتعزيز المدافعين عن موقـع جلبانة • ولم يمكنها الطيران العدو بضربه الكثيف المركز لها مـن تجاوز منطقة المثلث على بعد حوالي تسعة كيلومترات عـن القنطرة • فقررت التحصن حيث هي ، والدفاع مهما يكن ، بآخر قذيفة عـن موقعها •

دخلت القوات المظليـة الاسرائيلية القنطرة • وتابع قائدها العقيد دافيدي تقدمه منها الى الاسماعيلية للالتقاء فيها بقوات العقيد صموئيل المدرعة • ولكن بعض الطائرات المصرية راحت تتصدى له مـع بطاريات مدفعية الضفـة الاخرى للقناة • فبادرت فرقة تال تؤازره • ضربت المدفعية الاسرائيلية والطيران العـدو الاسماعيلية بقـوة واشعلا الحرائق في احيائها الآهلة • وفي الساعة الثالثة من صباح الجمعة التاسع من حزيران ، بلغـت قـوات صموئيل هي ايضا القناة التي اسكر منظرها بعضها فارتمى يبترد بمياهها، كما بلغتها قوات تال وشارون ويوفيه جميعا • صعد يوفيه والعقيـد ايساكار تلة يشاهدان منهـا ضفتها الافريقية ، جنوب البحيرات المرة ، وجماعـة مـن الجنود المصريين

يحاولون قطعها سباحة ، فتحصد معظمهم الرشاشات المصرية المنطلقة من ضفتها الثانية • وربما حسبهم الدفاع المصري عنها اسرائيليين • وفي الساعة السابعة مـن ذلك اليـوم الجمعة بلغت قوات العدو كذلك جسر الفردان ، بعـد ان اصطدمت بمقاومة يائسة للدفاع عنه والاحتفاظ به معبرا اخيرا وحيدا للقوات المصرية الناجية مـن سيناء • وكانت لا تزال تحاول باستماتة عبوره الى الضفة الغربية • القناة التي استهدف كل كفاح مصر الحديث ، طرد بريطانيا منها منذ ده لسبس لم يعد العلم المصري العربي خافقا مـن يومها الى اليوم على ضفتها الشرقية •

استأنف العدو ، بعد تحقق حلمه ببلوغ خط المياه الحيوي العظيم ، وقد سماه الحدود الجديدة مـع مصر ايضا ، بسط احتلاله في الوقت نفسه لسيناء ، كما سبقت الاشارة • عثرت بعض وحدات دبابات يوفيـه وكـانت تسد ممر المتلا كما تقدم ايضا ، غير بعيد عن هذا الممر ، على قواعد لصواريخ سام تحتوي على اثني عشر صاروخا سليمة ، لم تمسسها يد • غربي النخل عثرت قوات شارون بدورها على خمس وستين دبابة ستالين سليمة مهجورة • كيف تركت على هذا الشكل ، مجللة بشبكات التمويـه فقط ؟ لم تفجر ، لم تدمر • لا نعرف جوابا عن ذلك ، الا الجواب الابله المجرم الفظيع الذي ينقله لنا شارون عـن

لسان العميد الركن الاسير عبد النبي قائدها ، بعد ان أسر وهو ينجو بنفسه فيما بعد . وقد سئل في ذلك : « السبب هو ان صوت انفجارها كـــان سيلفت الاسرائيليين . فان دبابة تنفجر ، لتحدث كما تعلم ضجة » .

غنموا في اليومين الاخيرين مـــن الحرب الخميس والجمعة ، اكثر من غنيمة باردة . استولوا خصوصا في سيناء المعدنية في رأس السدر ، الى جنـــوب بور توفيق على مناجم المانغانيز . وقـــد وجدوا فيهـــا ثلاثة خبـــراء بولونيين ، اركبوهم حالا طائرة الى تل ابيب ، حيث سلموا لسفيرهم فيها . ثم علـــى آبار البترول وقد اشعلت هذه المرة قبل الانسحاب ، واخترقت لاربعة ايـــام ، بين رأس المطرة ووادي طربة . ويصل انتاجها السنوي مـــن النفط الخام ، الى ستة ملايين طن .

وابرق غافيتش القائد العـــام للجبهة الجنوبية جبهة سيناء وهو يعب بلا حساب ، كل هذه الخمرة يوم الجمعة في الساعة الخامسة والربع صباحا ، الى رئيس الاركـــان الاسرائيلية رابين يعب معه وقد انتهى كل قتال ، نخـــب نصره : « سعيد باعلامكم ان قواتنا تعسكر على ضفة قناة السويس والبحر الاحمر . كـــل شبه جزيـــرة سيناء في ايدينا . تهاني لكم ولكل زحال . حرب سيناء انتهت » .

الا ان الجمهور في تل ابيب وغيرها ، قد كان فيما بدا

على قولهم ، ابعد يومها نظرا من قادته اذ « لم يتظاهر ولم يرقص ولم ينظم استعراضات ، ولا رفع اعلاما ، ولا اضاء مشاعـل » . فرح ولا شك فرحاً عظيما . ولكـن « كل الاسرائيليين كانوا يتساءلون : « قتلناكـم ـ ؟؟ السلام ـ كيف ـ ؟؟ مائتان وخمسةوسبعون قتيلا، وثمانمائةجريح، واحدى وستون دبابة ، وهو الرقم الذي تعترف به الدولة الصهيونية لقتلاها وجرحاها وخسائرها اجمالا ، في معارك سيناء . ليس هذا ان صح برقم مخيف جدا كثمن للنصر ولسيناء، يمكن ان يمنع من التظاهر والرقص والاستعراضات ورفع الاعلام واضاءة المشاعل، او ان يدعو للتساؤل عنـه واستعظامه . رقم « رسمي » فقط لم يصدقه حتى الجمهور الاسرائيلي الذي لا بد انه كان اكثر اطلاعا على الحقيقة واستشفافا منها للمستقبل. فطابع التهوين والمغالاة في قيمة حياة المحارب الصهيوني وبطولته صارخ في هـذا الرقم الرسمي ، خصوصا لدى مقارنته بالعشرة الآلاف قتيـل مصري والخمسة الآلاف اسير مصري وبينهم تسعة عمداء وثلاثمائة وخمسون ضابطا من مختلف الرتب والاربعمائة دبابة المدمرة ، والثلاثمائة المأخوذة غنيمة حرب من اصل ما يقارب او يزيد عـن الالف ، والستمائة قطعة مدفعيـة الموزعة بين غنيمة حرب او مدمرة من اصل حوالي التسعمائة ومئات الناقلات والعربات المصرية ، مما يقدر كله بخمسمائة

مليون جنيه . وذلك عدا أولا، كل قاذفات توبولوف المصرية وثلثي الميغ ٢١ المصرية او ما يقرب من ثلاثمائة طائرة عموما ولا ننقل فـي الحالين الا عـن مصـادر العـدو نفسهـا وارقامه ، ومعظم الناقلات والحوامات المصرية الخ .

ومهما يكن فاننا دون ان نعزي انفسنا بهذا اخـيرا ونعتبره فتحا لاي نبوخذنصر عربي جديـد ، او صلاح الدين ، لنتساءل اليوم نحن ايضا مع الجمهور الاسرائيلي ، بعد كل هذه الستة الاعوام الطوال تمر على « النصر » ، ولا تأتي بالسلام : السلام في الواقع كيف ؟ وهناك في فلسطين وغيرها من ارض عربية دولة صهيونية ، لا بد ان تسقط اولا ، لينعم اليهود بالسلام ، وهو غير « النصر » الذي ستثبت لهم الايـام اكثر فأكثـر ، انه لـم يكـن من الخليج الى المحيط في النتيجة ، وحتى فـي الظواهر الحاضرة الخادعة ، على هنود حمر . بل لـن يكون الا معركة اخرى فقط في حرب !!

خاتمـــة

كان سفير لبنان في فرنسا الاستـــاذ جـــورج نقاش يرحمه الله عائدا لتوه يوما من باريس ، سمعناه يروي في مجلس ، بعض تفاصيل آخر مقابلة له هناك مـــع الرئيس ديغول ، وقد نقل خصوصا هذه العبارة عن محدثه الكبير، قالها بالحرف في حديث معـــه عن اسرائيل وانتصارها ، وعن المخاوف العربية بعامة بعد الهزيمة :

«N'ayez pas peur. Ils seront engloutis par les déserts arabes.»

ــ لا تخافوا ستبتلعهم الصحارى العربية ــ ، كررها الجنرال مرتين على عادته عندما يؤكد رؤية له بعيدة ، وأمرا يؤمن به كل الايمان ، وانها لعبارة تاريخية قـــد تشبهها بخاصة بين كثير قيـــل بمعناها عبـــارة ادغار او بلانس الكـــاتب الانكليزي وقـــد اختتم بهـــا كتـــابه ــ الحرب العربية الاسرائيلية الثالثة ــ وهو من اهم مراجعنا التي عدنا اليها اكثر من مرة في هذا الكتاب ، واعتبر فيها تلك

الحرب « صفحة فخار مضيئة في التاريخ الاسرائيلي » • ولكنه توقع هو ايضا للمنتصرين مستقبلا يمكن ان يكون «اسود» • وقد فضلنا العبارة الديغولية على الانكليزية بالطبع وجعلناها دون غيرها عنوانا للكتاب لانها باسلوبها الديغولي الرفيع ودلالاتها وشخصية صاحبها الاوفر اطلاعا على الامور وتجربة ، اقطع واوضح واغزر عقلا وعاطفة • ولكننا نسرع فنسجل اولا ان هذه النبوءة الديغولية وهي تعني لنا ولاعدائنا على السواء بلسان ديغول اكثر مما قد تعني بلسان سواه، لا يمكن ان تكون على جلالها نبوءة ، الا اذا ادركنا بأننا نحن من يقصد ديغول بالصحارى • نحن العرب بشر هذه الصحارى • فالصحارى بحد ذاتها ، وها هي سيناء تشهد يبلعها الانسان في هذا العصر ولا تبلعه • والانسان يظل كل شيء بالصحارى وبغير الصحارى • فحيث لا انسان ، فلا معنى لشيء •

زعموا ان هناك دائما في روسيا مثلا جنرالا لا يقهر • قهر نابليون وهتلر • اسطورة في النتيجة هو الجنرال (ثلج) • سلاح كغيره من الاسلحة • والمعول في كل سلاح على من يستعمله • فالسلاح كما يقول الشاعر جميع الناس تحمله • لكن ليس كل ذوات المخلب السبع • فالروس قهروا نابليون في موسكو، وقهروا هتلر في ستالينغراد لا الثلج• ولم يكن الا مجرد سلاح في خدمة العقول والايدي•

فلولا ارادة المقاومة واخلاقها والعقل الروسي المدبر والقوزاق فرسان الثلج وذئابه واحراق موسكو ، لوجد نابليون وسيلة يمضي فيها شتاء اندحاره في روسيا ، ويستأنف بعده حملته المظفرة في بداية الامر • ولولا ابطال ستالينغراد والصمود في جميع الظروف ، ولا سيما عندما لا تتعادل القوى ، لما أغنى الثلج عن الروس شيئا ، امام الجحافل الهتلرية الجبارة •

والصين هي الاخرى يحسب الكثيرون انها تملك جنرالا لا يقهر • اسطورة ايضا • فالجنرال (عدد) لولا الوحدة الصينية ، وقد حققها نضال المسيرة الطويلة وما بعثت القلة في الكثرة ، من روح ثائرة مقتحمة ، والثورة الثقافية العجيبة الدائمة ، كأنما تستمر ولو توقفت، لما كان شيئا • والا فماذا صنع الجنرال (عدد) للصين وقد كان دائما جنرالا صينيا ، لما كانت مع كل عراقه تاريخها وحضارتها امة مستضعفة متفرقة جاهلة ، يفرض عليها حتى بالحرب ، تعاطي الافيون ، ولا قلة فيها تضرم نار الكثرة ؟ كوبا بل فيتنام معجزة الصمود في وجه العسكرية الاميركية المسلحة بأعظم تكنولوجية معروفة ، هل كان لأية مساعدات روسية وصينية محدودة مهما تبلغ ، وادغال وانهار ، ان تخلصها من براثن التنين الاميركي ، لولا الاخلاق البطولية الحربية الفيتنامية والعقول والسواعد الفيتنامية ؟ والجزائر وهي

مثلنا العربي الحديث الوحيد بين كل هذه الامثلة ، هل حررها من استعمار استيطاني عات غالب ، قبل كل مساعدة وعون وعطف وامم متحدة ومجلس أمن ، الا ايمان الجزائريين بوطنهم وبعروبتهم وطلب (فلاقتهم) الحياة بالموت ،؟ فنحن حيثما نظرنا بأي منظار فلسفة وحضارة وتأملنا ، ثمة الانسان يخلق بالتحدي (جنراله) وينتصر به او ينهزم ، ويكون في كل الاحوال المتشابهة او حتى في أحوال الغنى الطبيعي الوفير هنا والفقر التام، هناك ايضا ، اندونيسيا او يابانيا ، ونكتفي الآن بهذا المثل البعيد، ولا نزيد •

وهكذا فديغول ونكرر ولا نمل ، عندما تحدث الى سفيرنا وكاتبنا الكبير عن الصحارى العربية اذن ، بل ونحن لم نعرف بذلك الا اخيرا ، عندما اوفد كذلك رسولا خاصا يحمل رسالة خاصة منه بهذا المعنى ومثله في النتيجة ، ومهما يختلف الاسلوب ، الى السيد ياسر عرفات بعد النصر الاسرائيلي ، على ما كشف ابو عمار في مؤتمر عدم الانحياز في الجزائر بالامس فقط ولاول مرة ، ولنلاحظ بالمناسبة النظرة الصادقة العميقة من يومها في هذه اللفتة الديغولية الالمعية للمقاومة ايضا، فان الرئيس الفرنسي العظيم لا يمكن ان يكون قد قصد بكل اولئك الا الانسان العربي لا أي جنرال مجاهل ورمال وقفار ولا حتى جنرال بترول • واننا

لنتفاءل .بنبؤته بهذا المعنى وحده ونستبشر • فهـي عندئذ شهادة بالانسان العربي وطاقاته وقدراته الكامنة فيه ، من عليم كديغول بالتاريخ وبالبشر ، تفذ بهـا الـى الاعماق ، وتجاوز العرض الى الجوهر •

فالاخطاء المميتة ارتكبناها وكان بوسعنا فيما ثبت ان لا نرتكبها الى هذا الحد، على كل صعيد ، هزيمة حزيران بمعظمها ، او كلها من صنعنا كبشر • فهي استخباراتنـا العاجزة المقصرة ان اكتفينا اجمالا بالاخطاء المباشرة ، وقد كان بيدنا ان نتلافاها على ما رأينا في متفرق فصول هـذا الكتاب ، ونقص تدريبنا العسكري بالمقارنة مع العـدو ، وحصره في الدفاع دون الهجوم ، وقلة كفاية القيـادات عموما في كل الرتب، الا باستثناء قليل ، وانعدام روح المبادرة فيها ، وعدم قدرتها الفاضحة على التكيف مـع ظروف المعارك وعلى حسن التقدير للمواقف ، وسرعة البت والتقرير ، ثم اولا واخيرا تخلفنا روحيا وماديا وعلى خلاف مـا نعتقد ، روحيـا ولـو بعجزنا عـن الوحـدة ، اكثر منـا ماديـا ، وهي اخطـاء باتت شائعـة معروفة ثابتة باجماع كل من كتبوا في هذه الحرب• ولم يكن بد من ان يفيد منها العدو كما أفاد ، ومن ان ينتصر بغض النظر عن كل اسباب اخرى وسياسة وسلاح وعدد ومدد •

تهول هذه الاخطاء وغيرها • ويهول اكثر منها بالطبع

الواقع المحزن القائم حتى بعد تبينها • ويتضافر الخوف في هذه الحال مع الدعاوة العدوة المركزة تغذيه ، على هدم المعنويات العربية ، وبث روح الاستسلام فيها بمختلف الوسائل • وافتكها مبالغتنا نحن انفسنا بقوة العدو وتصويره بأنه بنفسه وبصداقاته الدولية ، آلهة وغنى وعلم وتقنية لا سبيل الى قهرها • ولربما انتهى كل ذلك بالكثيرين الى اليأس من كل شيء في الجيل الحاضر بالاقل، ونفض اليد من امكانيةحرب هذه الالهة بوجوده• فالافضل لنا في رأي هؤلاء «الحكماء» الاكثر حكمة كما آن لنا ان نعلم ، من كل ما قديريد لهم «حكماء صهيون» انفسهم في اوضاعهم من حكمة ، ان نقتلع الان من نفوسنا ورؤوسنا، كل فكرة قتال ونضال وتوحيد وحشد واعداد ، لا سيما على صعيد الشعب ، ليصبح شعبا مقاتلا بالفعل، لا بالخطب والقرارات والادعية والصلوات، وان ينصرف كل منا وحيث هو فيبيته الصغير المكشوف الىتنميةحديقته الصغيرة وزرع الملفوف ، تاركا أمر الحرب والضرب، لجيل سيطلع به الغيب ذات يوم موحدا قويا مدربا من بطن الزمن • ويكتب عليه القتل والقتال والتحرير او في اضعف الايمان وللتذكير ، اطلاق أيما رصاصة رمزية واحدة بالاقل في وجه العدو، في كل ذكرى للهزيمة ، تشعرنا قبل ان تشعره، بأننا ما زلنا احياء •

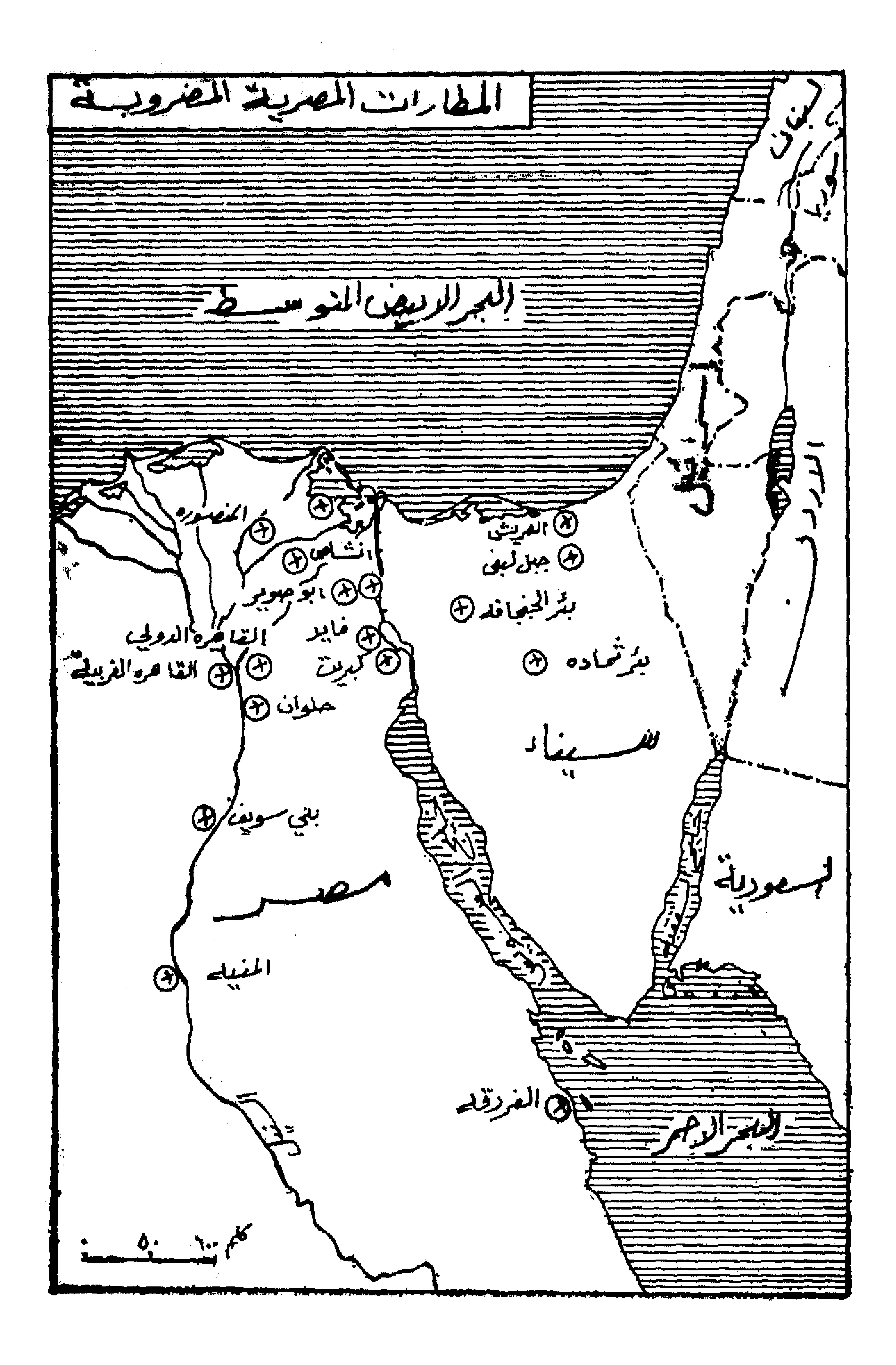
هرب من الواقع لا ينجي منه، وطلب لسلامة ذليلة، لن يتاح لنا بهما عما قليــل حتــى الاحتفاظ بملفوف حدائقنا الصغيرة ، الا اذا رضينا بما يفرضه العدو علينا في كــل شيء من خشيته وتحاشي اغضابه بأي ثمن ، ليظل آمنــا خطوبنا . فعدونا ليس من السذاجة بحيث يدعنــا حتى نعد له القوة بهدوء ودعة وراحة بال وملفوف . وهذا هو لبنان مثل صارخ مبك فاجع من هذه الناحية للجميع في هــذه الايام لا تحتاج (عربدة) العدو فيه الى شرح ولا تفصيل . بل انه لمثل سيكون ان لم تتعظ به بعد حرب الايام الستة مثلا صغيرا فقط ، لأمثلة اكبر بكثير . فالصهيونية لا تنسى في هذا المجال ، ولئن نسيت ذكرها « الذهب الاسود » بالشيء ، حتى واحات نخل «المدينة» ولا ذكريات بنــي قنيقناع وبني النضير ، ولا قافلة الجمال الثلاثمائة الــى الاربعمائة اليهودية الشهيرة تنطلق ذات فجر منها حــاملة الأذل ، يخرجه الأعز . ولقد عبرت غولدا مئير نفسها جادة ولــو ساخرة عــن كــل مــا فــي (النفس) للذهــب الاسود اخيرا احسن تعبير . فقــد فحئت بغليلها للبترول في جلسة مباسطة مع المستشار الالماني الغربي ويلي برانت بالامس القريب. وكان الابن الطبيعي الكبير وربما حامــل جائزة نوبل بالرشوة على ما يقال قد جاء يعفر الجبين على قدمي العجوز الصهيونية ، ويدشن هــو ايضــا باســم

المانيا الغربية سياسة (توازن) المانية صهيونية اميركية جديدة بين اسرائيل والعرب : « لن تغفر اسرائيل لموسى غفلته . فلقد اخرج الشعب اليهودي من مصر . وفلق ليسقيه الصخر . ولكنه هام به اربعين عاما في الصحراء ، ليسكنه المكان الوحيد الذي لا بترول فيه بالدنيا » .

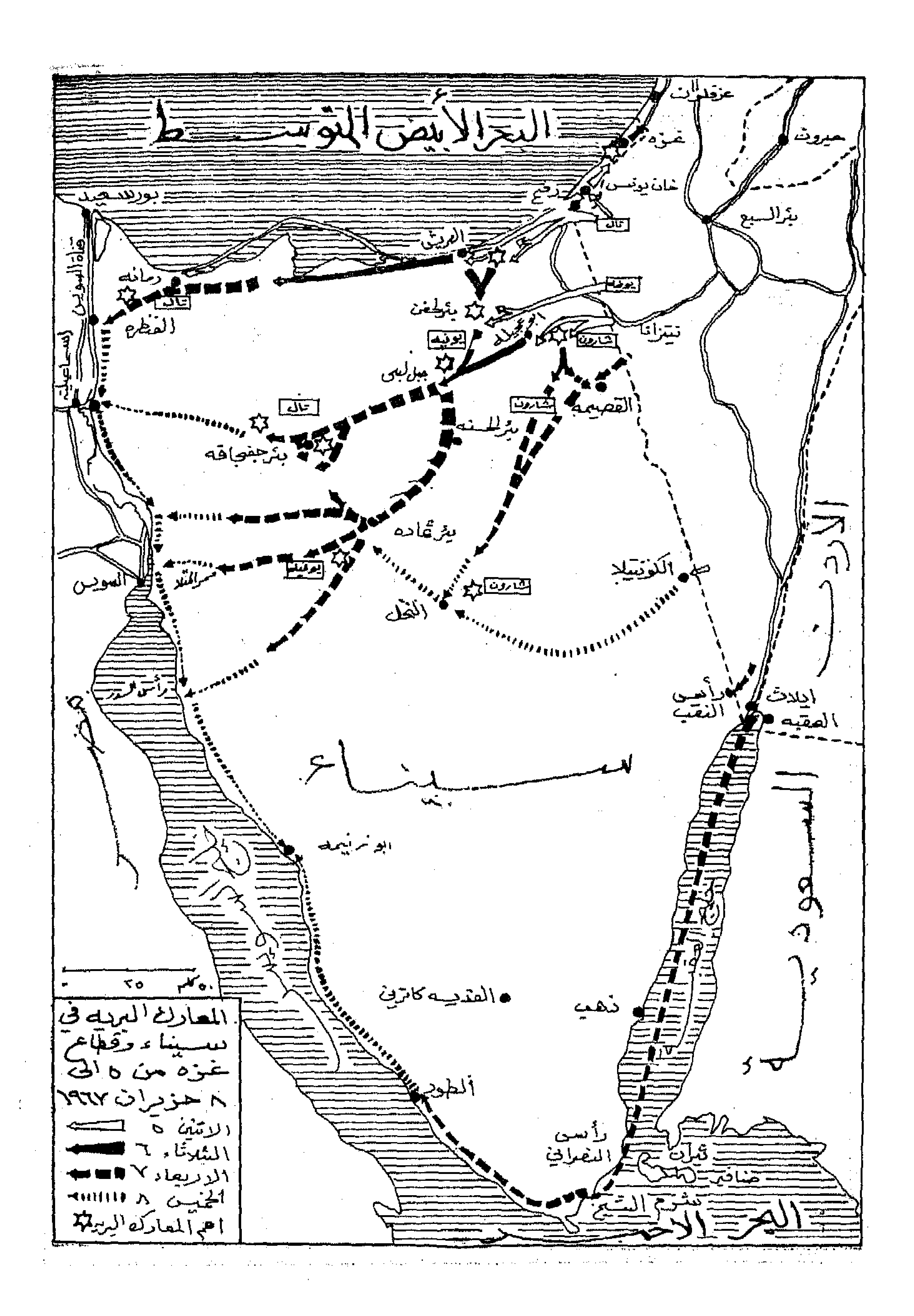
ثم ان الزمن لا يلد ، ولنعلم هذا مرة واحدة ، شيئا من عنده لم نجعله يلده . وانما تتداخل الاجيال حلقات . فلا ينفصل جيل منها عن جيل انفصالا كاملا تتحدد فيه مهمة كل منها وتنحصر به وحده . فهذا «للحكمة» والملفوف وجر ذيول الدعة والسلامة واحراز السبق تلو السبق، في الاقامة على الضيم، والانتصارات الخطابية في الامم المتحدة ومجلس الامن . وذاك لاستعادة الشرف والارض والمجد . وجيل الهزيمة لن يكفر نوعا عن هزيمته ، الا اذا ربي بتجربته وحقائقها ، وهو ما زال غالبا ومهما تتغير الاسماء ، في مواقع العمل والمسؤولية ، في المدرسة والبيت والحكم ، وحيثما شئنا ، جيل النصر . ولو حتى في هزائم متلاحقة لا تكون هزائم ، ما دامت لا تخرس فيها البندقية . وما دمنا تتعلم فيها الحرب بالحرب . وذلك حتى تفجر المعاناة المتصلة كما لا بد ان تفجر كل ما في الامة من فضائل وطاقات روحية ومادية لا تحصى، يشهد لها بها كل تاريخها . ولكنها ما زالت لا تجديها كثيرا ، لانها ما برحت حتى في حالات تفجر

بعضها ، ينابيع صغيرة مبعثرة ــ ثورات عربية ــ لا الثورة العربية تصب في نهر كبير واحد • فتكون مصدر الطــاقة الكبرى اللازمة ، ولو للبقاء اليوم ، ان لم يكن للنصر •

فالدولة الصهيونية ، ونقولها اخيرا بكــل صرامــة الواقعية ، تظل غير قائمة بالرغم من قيامها، ومن أية هزيمة، ما دمنا نقاتلها بأيما بندقية لم تعوز يوما بأي معنى مقاتلا يريد القتال • بل انها لن تقوم على انقاضنا كلنا فعلا ، الا يوم نعترف بها، ونكف نهائيا عن التفكير الجاد في قتالها قتالا مستمرا لا يتوقف لأيما سبب، لنفرغ تحت مظلة العدو ورقابته وسلمه الصهيوني الاميركي وتعاون الامم المتحدة ومجلس الامن لنزرع الملفوف في حدائق صغيرة ، من يدري في هذه الحال ، حتى ان كانت ستبقى لنا كذلك ، ولــو لنزرع الملفوف ؟؟



المطارات المصرية المضروبة
البحر الابيض المتوسط
المنصورة
انشاص
ابو صوير
فايد
كبريت
القاهرة الدولي
القاهرة الغربية
حلوان
العريش
جبل لبنى
بئر الجفجافة
بئر تمادة
سيناء
بني سويف
مصر
المنيا
الغردقة
البحر الاحمر
السعودية



البحر الابيض المتوسط
عسقلان
غزة
حبرون
خان يونس
رفح
بئر السبع
بور سعيد
قناة السويس
العريش
تال
رمانه
القنطرة
بئر لحفن
ابو عجيلة
يوفه
شارون
نيتزانا
جبل لبني
الاسماعيلية
بئر الحسنه
القصيمه
بئر جفجافه
بئر تمادة
ممر متلا
السويس
الكونتيلا
النخل
رأس سدر
رأس النقب
ايلات
العقبه
سيناء
ابو زنيمه
القديسة كاترين
ذهب
الطور
رأس النصراني
تيران
صنافير
شرم الشيخ
البحر الاحمر
السعودية
٥٠ كلم ٢٥ ٠
المعارك البرية في سيناء وقطاع غزة من ٥ الى ٨ حزيران ١٩٦٧
الاثنين ٥
الثلاثاء ٦
الاربعاء ٧
الخميس ٨
اهم المعارك البرية

فهرس

اهـداء : صفحـة : ٥ .

مقدمـة : صفحة ٧ — ١١ .

الفصل الاول :

اسرائيل ارادت الحرب ١٣ — ٢٧

الفصل الثاني :

لا سوريا ولا مضايق تيران ٢٩ — ٤٢

الفصل الثالث

مواقف دولية من النزاع ٤٣ — ٥٧

الفصل الرابـع

الدعاوتان الاسرائيلية والعربية ٥٩ — ٧٤

الفصل الخامس :

دبلوماسية وجاسوسية حرب ٧٥ — ٨٧

الفصل السادس :

الجيش الاسرائيلي المهاجم ٨٩ — ١٠٢

الفصل السابع

الجيش المصري المدافع ١٠٣ — ١١٦

الفصل الثـامن

ضربوا اولا المطارات ١١٧ — ١٣٢

الفصل التـاسع

ثم ضربوا الطائرات ١٣٣ — ١٤٦

الفصل العاشر :

بساط احمر صهيوني ١٤٧ — ١٦٠

الفصل الحادي عشر

مدافعون عــن الارض ١٦١ ـ ١٧٥

الفصل الثــاني عشر

في ابي عجيلة وفي البحر ١٧٧ ـ ١٩٢

الفصل الثالث عشر

كلام دبلوماسية وكلام مدفــع ١٩٣ ـ ٢٠٧

الفصل الرابع عشر

انسحاب أوجب الهزيمة ٢٠٩ ـ ٢٢٢

الفصل الخامس عشر :

فجاءات العجز والخيانة ٢٢٣ ـ ٢٣٦

الفصل السادس عشر

الهايوتس وسباق المتلا ٢٣٧ ـ ٢٥١

الفصل السابع عشر

صحوة ثــم غيبوبة ٢٥٢ ـ ٢٦٢

الفصل الثامن عشر

توقف اطلاق النــار ٢٦٣ ـ ٢٧٧

خــاتمة : ٢٧٩ ـ ٢٨٧

خريطتنا المطارات المصرية المضروبة وأبرز معارك الحرب في سيناء ٢٨٩ ـ ٢٩٠

ثبت المراجع الرئيسية اللاحق ٢٩٣ ـ ٢٩٤

اهم مراجع الكتاب

(١)

الانكليزيـة :

1) Nutting Anthony - Nasser
2) Mansfield, Peter : Nasser - Egypt
3) Copeland Miles, The game of Nations.
4) Childers, B. Erakhine : The Road to Suez.
5) Eden, Anthony : Full Circle
6) St Jhon, Robert : The Boss.
7) O' Balance, Edgar : The Third Arab - Israeli War.
8) Flower, Raymond : Napoleon to Nasser.
9) Stephens, Robert : Nasser.

(٢)

الفرنسية :

1) Lacouture, Jean : Nasser.
2) Vaucher, Georges : Gamal Abdel Nasser et son équipe.
3) Besançon, Julien : La guerre d'Israel.
4) Seguev, Samuel : La guerre de six jours.

5) Elon, Amos : Les israéliens.
6) Lapierre, Dominique - Collins, Sarry : O Jérusalème.
7) Roger Peyrefitte : Les Juifs.
8) Jacques Coubard : La guerre de six jours.

(٣)

العربيـة :

١ ـ عبد الناصر جمال : فلسفة الثورة
٢ ـ خطب الرئيس عبد الناصر .
٣ ـ السادات انور : ثورة على النيل .
٤ ـ السادات انور : ولدي جمــال .
٥ ـ الشقيري احمد : الهزيمة الكبرى .
٦ ـ الشقيري احمد : اني اتهم .
٧ ـ هيكل محمد حسنين : مذكرات عبد الناصر .
٨ ـ العميد الركن مصطفى حسن : حرب ٥ حزيران ١٩٦٧
٩ ـ نحو استراتيجيةعربيةجديدة: ديري اكرم ـ الايوبي هيثم
١٠ ـ في معركة الحضارة : قسطنطين زريق .

اهم المراجع الصحفية :

مجموعات الصحف اليومية :

Le Monde
The Times - The Herald Tribune

مجموعات المجلات الاسبوعية :

Le Nouvel Observateur.
The Economist - Time - Newsweek,

مجموعات الصحف والمجلات العربية المختلفة

ملحق

ـ دروس حرب الخامس من حزيران ١٩٦٧ وماذا افدنا منها في حرب السادس من تشرين الاول ١٩٧٣ او رمضان ، المرتبطة بها اسبابا ونتائج ، حتى لا تفهم الواحدة الا بالاخرى ـ

لم تكن نحسب ونحن نفرغ لكتابة ــ هؤلاء الصهاينة ــ ستبتلعهم الصحارى العربيــة ــ في الشتاء الماضي ، انـه سيبقى تحت الطبع ، حتى تدهم حرب السادس من تشرين الاول او رمضان . وتصرف عن كل ما عداهـا . فنجدنـا لا نهتم بغيرها . بـل لم يكن ليخطر على البال ، ان هـذه الحرب ستؤيد وتبرز بهذه السرعة المذهلة كل ما في الكتاب من نظرات في الهزيمة ــ وتطلعات الى وعي دروسها الكبيرة .

مازال من المبكر جدا بالطبع ، دراسة حرب لم تنته ، ولم تقل الكمة الفاصلة فيها ، الدراسة الجديرة بهـا ، مع انها ولا بأس من ترداداها مع معظم من علقوا عليها تعليقات خاطفة لليوم ، من مفكرين وسياسيين ونقاد عسكريين ، قد بدلت ، ولا سيما في مرحلتها الاولى ، ودون مبالغة ، وجـه العالـم .

لقد غيرت هـذه الحرب ، وهذا هو المهـم ، نفس الانسان العربي ، واعادت اليه اعتباره ، وبدلت الكثير في السياسة الدولية . فقد بتنا كلنا أفرادا وشعوبا وامـة عربية واحدة قبل كل شيء ، غيرنا قبل عبور القناة واقتحام خط بارليف ودكه ، والانقضاض على معاقل جبل الشيخ ، والجولان والبطش بالقوات العدوة الكثيرة فيها ، وهز سيف البترول الطويل في وجه العالم المؤيد للباطـل الصهيوني ، المنكر حقنا العربي الانسانـي الصريح في فلسطـين ، وكل

اراضينا العربية المحتلة . وقد تبدلت بها اكثر من علاقة بين الكبار والكبار ، والصغار والصغار ، وبين كل اولئك وهؤلاء. وجاء هذا التبدل في مصلحتنا من كل الوجوه . لا ينبغي مهما يكن استباق الامور ، في حرب غيرت وبدلت حتى في الساعات الست العربية الاولى ، كل هذا التغيير والتبديل . ووضعت عن نفوسنا خصوصا اوزار الستة الايام الصهيونية المشؤومة . فلذلك كله ولا شك موعد نرجو ان لا يتأخر كثيرا عنه ، بعد استكمال مادته . لكننا نسجل على كل ، دروس حرب حزيران المستفادة في حرب تشرين بصورة عامة في ملحق ، لم يكن مقدرا له ان ينضم في الاصل الى الكتاب ، خاتمة بعد الخاتمة ـ ثم جاءت هذه الحرب تشرفه به ، بعدما يشبه اليأس من مجيئها أحيانا وتميزه وتشفي به من اكثر من حزن وعذاب . بل وتعد باكبر منه، ما دمنا قد وعينا فعلا على ما يتأكد ، هذه الدروس . واكتشفنا على ضوئها ، طريقنا الصحيح للنصر والقضاء على الصهيونية العدوة . ومضينا فيه خطوة جبارة بكل مقياس .

كان امر الافادة من هذه الدروس حتى البارحة اشبه بالحلم البعيد الحائر الضائع في حلك الليل المخيم . فاذا بالارادة العربية المؤمنة الصادقة تقربه فجأة وتدنيه وتجسده حقيقة لا ريب فيها . واذا بأمس حزيران التعيس يمضي ، ولو لم يمض بكل آثاره الجغرافية بعد ، الى غير رجعة . ويشرق يوم عربي لتشرين او (بدر) الحديثة او (الشرارة) لن نعجب ان يؤرخ به عربيا ودوليا بعد اليوم . ويوصف بان المارد العربي قد أخذ يخرج فيه ، حقيقة لا مجازا هذه المرة ، من قمقم لن يعود اليه ، مهما تتبدل السماء والارض، غير السماء والارض .

لقد تركزت اخطاؤنا الجسام المباشرة ،كما علمنا ، في

حرب حزيران او كادت ، على ما ورد متفرقا ومجتمعا في ثنايا هذا الكتاب وتسلسل وقائعه ، في امور كانت أولا باختصار : **عجز استخباراتنا** يومها عن اكتشاف حقيقة نوايا العدو وعزمه على مهاجمتنا في وقت محدد . فتركناه يفاجئنا بهجومه مفاجأة تامة . والمفاجأة هي كل شيء في الحرب . ويختار هو وقت ومكان ونوع الضربة . ويضمن لنفسه ما اراد من نجاح كامل . **ولقد كنا نحن من اخترنا بعلم والهام في حرب تشرين** ، وحفظنا مع اننا عرب ، السر ، بعد ان تمكنا من حصره في قلة لا يتجاوزون عدد أصابع اليد . فامتلكنا زمام المبادرة ، وفرضنا نجاحنا .

ثغرات تدريبنا العسكري واستعدادنا كانت هي الخطأ الثاني الاكبر في حرب حزيران . فلقد تبين عندها ان تدريبنا كان دون تدريب القوات العدوة . واستعدادنا دون استعدادها بكثير . كان لدينا سلاح كاف . ولكننا لم نحسن استعماله . ولم يبد علينا اننا قد انسجمنا معه حتى اصبح جزءا منا ، ينبض بنبضنا مثلما ينبض السلاح عندما تتوثق اواصر الالفة بينه وبين حامله . فيغدوان وكانهما كائن حي واحد . يشعر نفس الشعور بالواجب وبالعزة والكرامة والقدرة . وهو ربما فسره اكثر من اي تفسير ، غزلنا الشعبي العفوي القديم الصادق الشائع بين المحارب وبندقيته مثلا ، اذ يعتبرها في حداء (بارودتي محبوبتي) وغيره ، حبيبة بالفعل ، من لحم ودم . او قبل ذلك بين الفارس وجواده ومهنده وباقي اسلحته منذ الجاهلية ، حتى ليربط بين شرفها وشرفه .

واما في حرب تشرين وفي مواجهة ربما اكبر مانع مائي في الدنيا ، وخط بارليف خلفه يحميه ، وجبل الشيخ وشواهقه وحصونه . فلقد تبين اننا نحن الذين **اكلوا**

الخدلة ، **وشربوا الخطــة الذكية الجريئة** ، **وناموا وقاموا مع الخطــة** وروعوا العدو بانسجامهم مع اسلحتهم التكنولوجية المعقدة (محبوبتهم) من طائرة ودبابة وسبام وسواهــا ، وبحسن تدريبهم واصالته، وافقدوه صوابهمدة ليست بالقصيرة مطلقا ، حتى انه لم يجد ما يبرر به نجاح ضربتنا ، الا ان الاسر العظيم قد كان في عيد غفران . ولم يكــن ليجوز ، والعدو الصهيوني لا سواه هو الذي يقول ويا للعجب « لم يكـــن ليجوز للعرب » ولو في وضح النهار ورابعته اخــيرا ، ان يضربوا هذه الضربة في يوم (كيبور) .

كفاية القيادات بعامة في مختلف الرتب والمستويــات اعوزتنا في حــرب حزيران . فلم تتكشف لنا تلك الحــرب غالبا عــن قادة لهم قماش القادة ومعدنهم ، لما حــين يأتون فيحاربون وينتصرون حسب القول المشهور لقيصر . فلا تصدمهم مفاجــأة ، ولا تشل تفكيرهم ضربــة . لقد كــان لنا في حزيران قادة ، امروا مثلا بانسحاب غبي مشبوه ، لم تكــن لتجبرهم عليه ، ضرورات عسكرية قتالية . وكان تصرفهم الاحمق ضربة رحمة اجهزت علينا ، ذاك الخطــأ الثالث ، وربما الاكبر بآثاره المروعــة .

واختلف الموقف في تشريــن اختلافا جذريا . فكان لنا ، اذا استثنينا بعدئذ في المرحلة الثانية المائعة من الحرب بعض سوء التقديــر **قادة كبــار رأيــا وشجاعــة ومبــادرة وتصميما ولماحية قبل** كل شيء . قادة خططــوا ونفــذوا اقتحام القناة وخط بارليــف وجبل الشيخ عنــوة وباغتوا في عز الضحى ، وارقصوا عجائز اسرائيل غمــا وهلعا . ودوخــوا دايان وجنرالاته كما دوخوهم فترة ، واضطروهم

الى الكـذب في بلاغاتهـم عـن الحرب ، كل كذب . بـل وزلزلوا صنم العسكريتاريـا الاسرائيليـة المعبود ، وهـزوا قواعده . قادة حربيون من كل النواحي إن يغبطهـم اعظـم القادة في اية امة .

اعلامنا وهو الخطأ الرابع ، والترتيـب نظري بحت ، لا يكاد يقدم خطأ على خطأ ، كان جاهلا بدائيا في الداخـل والخارج في حـرب حزيران . فقد كنا لا نطلع الشعب على الحقائـق ولا نضعه في الصورة الصحيحة للاحداث . ولا حتى في ما يقرب منها ، لنستنهضه ونحرك طاقاته العظيمة، فيهـب للدفـاع عـن نفسه . ظل المواطـن العربي غافـلا مستهترا لاهيا . يعيش اجواء النصر المزعوم ، وهو في صميم الهزيمة . ولا يدرك ما حل به . ولا اين هو واجبه في هذه الحـال ؟ فلما عرف بعدئذ وقدر مدى الكارثة ، ولم يكن قد تهيأ لها ، انسحقت نفسه ، وفقد مدة الامل ، وشك في نفسه وكل شيء .

وقد كنا نخاطب العالم بغرور وتبجح وجهل تـام بنفسية العالم الغربي وما رسخته الصهيونية فيها عنا وعنها، مستغلة الرواسب الاستعمارية المساعدة ، من معان ومفاهيم . فلطالمـا روجـت الصهيونية عنـا ، اننا قـوم متخلفـون متعصبون عنصريون ، نريـد ان نفني اليهود ، لدوافـع دينية فقط ، ونفورا من « حضارة » يقدمونها لنا ، بعد ان عادوا إلى مهـد « توراتهم وانبيائهم » قدوة ، تنقلنا مـن حضارة الجمل والخيمة ، الى حضارة العصر . فلسطين ما هي فلسطين الوطـن بلا شعب ، دونهـم هم ، بعد ان جعلوها وطنا لشعب ؟ عبد الناصر دكتاتور نازي وشيوعي معا . جمعوا فيه حتى النازيـة والشيوعيـة ، وهمـا لا تجتمعان . فهل يرضيكم ان يقتلع اليهود من الوجـود ،

ويطفىء نجمتهم الحضارية الصغيرة البازغة آمالا كبيرة لكم ولهم ، في ليل الشرق الاوسط ؟

شيء اخر اعلامنا داخلا وخارجا في تشرين .

فنحن اناس يعودون الى « بيوتهم » . ونحن بشهادة جميع المراقبين ، لم نسقط للعدو ، الا حوالى المائتي طائرة اسقطناها . ولم ندمر له الا اكثر من تسعمائة دبابة دمرناها . وهي نصف دباباته . ولم نخسر الا طائرات ودبابات اقل من ذلك بكثير الكثير خسرناها . عبرنا القناة ، لا في البلاغات والازجال . ولكننا عبرناها بعد ضربة طيران موفقة لمطارات العدو ، وبعد ان عطلنا مواسير النيران المتلظية المتقاربة المعدة بآلاف الاطنان ، لاحراقنا عند العبور . واغلقناها بالاسمنت . وقد كان بوسعها ان تحرق كل سطح المياه ومن عليها . وان تشوي الاسماك في قعر القناة ، كما يصف الفريق الشاذلي . واخترقنا بابتكار طريف لمهندسينا ، الساتر الرملي الترابي الهائل، على طول ضفتها الشرقية . وقد اقامه العدو ، واجهة تحمي خط بارليف المنيع بعده . وتغلبنا عليه بعملية تجريف دقيقة مبتكرة ، استخدم فيها مهندسونا يحميهم مشاتنا ، المياه المندفعة بالضغط العالي ، لفتح الثغرات اللازمة العديدة فيه .

مدفعية العدو ورشاشاته المنصبة علينا جحيما ، من فتوحات خط بارليف ، اسكتناها بمدافعنا وطائراتنا . فأتحنا لمشاتنا الشجعان ، العبور الى الضفة الشرقية بالقوارب ، وبأقل خسائر ممكنة ، حاملين اكثر ما يمكن من اسلحة وصواريخ مضادة للطائرات والدبابات وعربات للجر ابتكرناها لهم ايضا ، لتساعدهم على نقل كميات اكبر من الاسلحة والذخيرة ، وسلالم للتسلق . ولم

تلبث أن اتبعناهم فورا ، بعدما أمنوا رؤوس الجسور المتحركة ، لتضليل الطائرات العدوة والمعابر القائمة ، بالدبابات والعربات والاسلحة الثقيلة . تمضي الى اهدافها المعينة قبلا في نظام عجيب ، فلا تخطئها . وبأي بطولة قادة وجند . وتلك ، والوصف كله مستقى من الفريق الشاذلي دائما ، عشرات القلاع والحصون الجبارة ، فيما اعتبر بحق ، خط ماجينو او سيغفريد الصهيوني ، رافعة بكل هذه الجهود والبطولات الفردية والمشتركة وعلى صيحة ، الله اكبر ، اعلامنا العربية على انقاضها ، مشيدة من خرائبها ، حائط المبكى اليهودي الجديد ، هادمة اسطورة كل « حدود آمنة » و « جيش لا يقهر »

جبل الشيخ بذراه الشامخة وعقابه وثلوجه وتحصيناته وموانعه ، هضبة الجولان كلها ، كانت بدورها قناة سماء عصفنا بها ومرغنا فترة غير قصيرة الكبرياء الاسرائيلي . ففي لحظة عبور القناة ومهاجمة خط بارليف نفسها في الجبهة الجنوبية المصرية ، تحركت في خطة متكاملة ، الجبهة الشمالية السورية ، جبهة اوفى الاوفياء بالعهد ، على قول الرئيس السادات . وهذه هي الامة العربية الغائبة في حزيران ، الحاضرة في تشرين ، تمثلها في الجبهة الشمالية كما مثلتها بالمناسبة في الجبهة الجنوبية ، اكثر من قوة عربية منذ الرصاصة الاولى . فالى جانب القوات السورية الرئيسية والفلسطينية ، هناك قوات عراقية جوية وبرية كبيرة تجيد صناعة الموت ، ونسور مصريون . وبعض القوة المغربية والسعودية الباسلة وغيرها . وقوة اردنية ولو رمزية بعدئذ . كانت كأنما تجيب مسبقا عن تساؤل كسينجر نكسون مؤخرا ، وما كان بضائرها ، عما هي الامة العربية ؟

انقض المغاوير العرب على العدو المتربص بهم في مثل اوكار النسور . وحملوا عليه في الاعالي وفي خنادقه وتحصيناته الارضية المنيعة . وقاتلوه قتالا مريرا . فاجلوه عن اهم مواقعه المتقدمة في الجبهة الشمالية . وكبدوه خسائر جسيمة في الارواح والعتاد . وبلغوا مرة حتى القنيطرة ، بينما كان يعلن هو بوقاحة ، انه اصبح على ابواب دمشق ، وانه سيدخلها . ودون ان يعلن ذلك الرئيس الاسد من جهته ، وتتبجح به وسائل الاعلام في دمشق . بل من غير ان نعرفه ويعرفه العالم اولا ، الا عن طريق المراسلين الاجانب . وما نقلوه بصدده ونشروه ، من صور كثيرة اسرائيلية منتحبة وواجمة مطرقة .

لقد شاهدنا بالعين المجردة احيانا في لبنان كثيرا من طائرات الفانتوم العدوة ، الفارة من الميغ العربية وصواريخ سام ، تتهاوى كالفراش . كان ذلك قبل تشرين احلاما تراود المخيلة ، فاذا به في تشرين وبالتكرار ، ذلك المنظر العادي المألوف .

الوقائع الراهنة المشاهدة مرة اخرى ، كانت اذن مصادر اعلامنا الداخلية والخارجية في تشرين ، لا البلاغات الوهمية والازجال الحماسية الفارغة ، كما قلنا . بدلت الوقائع من نظرتنا الى انفسنا . فلكأنما ولدنا من جديد . وبدلت من نظرة العالم الينا . وقد احتقرنا بعد حزيران ايما احتقار . فاذا بنا عنده في تشرين ، ولو عادانا بدرجات مختلفة في اوروبا واميركا ، امة تعرف كيف تقاتل من اجل كرامتها وارضها ، وتتقبل التضحيات مهما تعظم ، راضية مطمئنة .

اسرائيل انتقمت خصوصا في الجبهة الشمالية ،

بضرب الاهداف المدنية والمنشآت الاقتصادية في دمشق وطرطوس وحمص واللاذقية وغيرها . وقتلت ودمرت الكثير . فهل اثر ذلك ادنى اثر في معنوياتنا ، وهل قابله الشعب الا باستعداد للتضحية ، ادهش كل المراقبين الاجانب والمراسلين الدوليين ، وانساهم حتى مثله في فييتنام ؟.

لقد انتصرنا نفسيا وماديا انتصارا كبيرا . ولم يسحق اليعازار المغرور عظامنا بآلة الحرب الاميركية . ولم يدخل دمشق ، ولا القاهرة . انتصرنا ، ولو لم نحتفظ من انتصارنا المادي الان ، الا بمعظم ضفة القناة الشرقية وبخط بارليف ، وما هو بالقليل . تمكنت اسرائيل ، ولا بأس ان تقول حتى اميركا ، ولا سيما عقب وقف اطلاق النار ، من التسلل ، بسوء تقدير عارض منا ، الى جزء من الضفة الغربية ، ومحاصرة بعض قوات جيشنا الثالث هناك ، بتظاهرة عسكرية ذكية . لكن براقة الظاهر فقط برأي كبار العسكريين ، لا تشوب النصر العظيم في النتيجة العامة . فقد استطعنا ان نؤكد انتصارنا عسكريا وسياسيا ، بقواتنا المحتفظة بعنفوان انتصارها في الجبهتين الجنوبية والشمالية . **وهذا هو الدرس الاكبر ودرس الدروس . تدعمها الامة العربية من خليجها الى محيطها** . والكلام هذه المرة ، ليس برقيات عاطفية تقليدية ، ووضع امكانات لا توضع في المعركة . ولكن ملايين وملايين الدنانير ، **ولا سيما بترول بات اليوم بالفعل ، ومنذ وجد حكام وزعماء وقادة عرب يستعملونه سيفا بتارا ، جنرالا عربيا لا يقاوم . ويدعمها العالم الاشتراكي ، وخصوصا الاتحاد السوفياتي الصديق الوفي ،**

وكل احرار العالم في غرب او شرق . وقد اصبحنا نحن من يحاصر اسرائيل كلها الذن ، في المدى الكبير .

لا تزال اسرائيل واميركا تترددان في الاقرار بانتصارنا ، والنزول على حكمه . وتراوغان في تنفيذ شروطنا فيه . وهي شروط قرارات الامم المتحدة نفسها . وقد تواضعت لاسباب سياسية مرحلية كثيرة في الحاضر فانحصرت من ناحيتنا « الرسمية » بالعودة الى حدود ما قبل حزيران ، والى ضمان حقوق الشعب الفلسطيني، لقاء الاعتراف بحدود « مكفولة » لاسرائيل .

ولكن هاهي اميركا والغرب كله ، واليابان ولو اخذت تتحرر شيئا فشيئا من اميركا ، تدفع الثمن . وتواجه عواقب هذا التردد . ونحن ما زلنا في بداية الشعور بقوتنا ، وضخامة امكاناتنا البشرية والبترولية والمالية . بل كانما في بداية استخدامها ايضا . ولن تكون النهاية في هذه الحال ، الا ان يعترف بانتصارنا وعدالة قضيتنا ، او ان نستأنف الحرب . فتقف الحياة عندئذ في الغرب تقريبا . ولا نستثني اميركا المضطرة الى نجدته يومها . والا انفصل عنها انهائيا . وكفر بحلفها الاطلسي ، وبكل علاقة معها . احتمال اخر . فلربما عصف الجنون ببعض الرؤوس الصهيونية الاميركية ، فحاولت احتلال مصادر الطاقة البترولية العربية . عندئذ ، ولا يجب ان يشكوا لحظة في ذلك ، سيجدون ان هذهالمصادر، قد نسفت وتعطلت . اغوار الارض العربية السحيقة قد ابتلعتها لاعوام واعوام ، واستردتها الى جوفها ، ثأرا للقدس ، ودفاعا عن الحقوق العربية ، في الارض العربية . واغرقت العالم كله معها في الظلام . واسرائيل ولو ملكت القنبلة الذرية ، قبل الجميع . عهد رجال ،

لا شقشقة لسان . ياخذه على انفسهم من اليوم ، ملوك ورؤساء وزعماء عرب ، شرفهم هو شرف امتهم .

شوهد على اثر وقف اطلاق النار بقليل ، بعض الشبان السمر ، يدخلون مكتبة اسكواير البيروتية ، ويطلبون كتبا ومجلات علمية اجنبية . لهجتهم محببة ومستغربة ، مختلفة شيئا عن اللهجات العربية المالوفة، في الاخوة السعوديين ، والعراقيين ، والكويتيين ، وغيرهم من الخليجيين . دارت احاديث معهم تطرقت الى الحرب. وقد ظهر انهم متحمسون لها جدا ، وعلى اتصال وثيق تام بها . رووا تفاصيل معززة بالادلة عنها في الجبهة السورية الشمالية ، لم نعرفها في بيروت القريبة منها ، كل هذا القرب . من كان هؤلاء الشبان ؟ اطباء ومساعدو اطباء من مسقط وعمان ، تخرجوا حديثا ، وجاؤا يسهمون في الحرب . عرب من اقصى الارض ، تحرك في عروقهم دم الاجداد العظام ، ودعاهم للواجب ، فلبوا نداء الدم ، وقطعوا بمثلهم ، وما هو بالوحيد ، وبما قد لا يقل عن اغلاق باب المندب وحصار اسرائيل فيه ، **بوجود امة عربية كبرى واحدة ، تعلمت دروس حزيران ، وافادت منها في تشرين .**

ولئن كان لابد من كلمة اخيرة في حرب تشرين هذه تأتي فتمحو الكثير من عار حزيران . فهي انها حرب لا يمكن ان ندري اليوم اين ستقف ، بعد ان توافقت ولم تتوقف ، وكيف ستنتهي بالفعل ، أفي مؤتمر سلام كما يقولون ، او ميدان في الارجح ؟ لكن الشيء الاكيد في كل الاحوال ، هو انها حرب تضاعف ، بما اسفرت لنا عنه من ثقتنا بانفسنا ، واجباتنا كافراد وشعوب وامة واحدة ، في متابعة اهدافنا الباقية ما بقينا ، في الحرب والسلم ،

والمتمثلة في تحرير كل ارضنا ، واقامة دولتنا العربية الانسانية في فلسطين ، تحت رايات وحدتنا العربية الكاملة ، مهما يطل او يقصر الزمن .

ثم مجد عال وعرفان لشهدائنا . ولكل من احيوا ميت الامال . ولا ننسى اولا الروح الكبيرة الرائدة الثائرة ، روح ناصر . فلقد ضربوا للعرب ، موعدا جديدا مع التاريخ ، في ايلياء عمر ، وقدس صلاح الدين !!..

بيروت في ٨ كانون الاول سنة ١٩٧٣

(ك. ب)

الثمن : ٨،٥ ل.ل. - ودينار كويتي أو ما يعادلـه خارجاً